

علم الاجتماع العائلي

د. مهدي محمد القصاص
أستاذ علم الاجتماع المساعد
كلية الآداب - جامعة المنصورة

2008

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾

صدق الله العظيم

مقدمة

الأسرة نواة المجتمع ينمو فى رحابها الصغار حتى يبلغون مرحلة البلوغ والنضج . ومنذ ولادة الطفل يتلقى خلاصة الخبرة من أسرته ، وبفضل رعاية أسرته له صحيا واجتماعيا يشب وينمو وتكتمل ملكاته وقدراته الذهنية . ولقد عرفت المجتمعات بأشكالها المختلفة (سواء بدوية أو ريفية أو حضرية) الحياة الزوجية والحياة الأسرية . والأسرة بمفهومها الاجتماعى تعمل على استمرار بقائها ورسوخها واستقرارها عن طريق استمرار العلاقات الاجتماعية والثقافية ، ومن خلال التعليم والتدريب . وتنظم الأسرة سلوك النشئ وتراقب علاقاته بغيره من أفراد المجتمع .

والأسرة بشكلها البسيط تتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين . ويطلق على هذا الشكل الأسرة النواة لأنها تتكون من جيلين فقط. وقد تتكون الأسرة من جيل واحد فى حالة العقم أو عدم الرغبة فى الإنجاب . والأسرة هى الخلية الأولى فى المجتمع وهى الوحدة الأساسية فى البناء الاجتماعى .

وكما تتأثر الأسرة بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع وتؤثر أيضا فى البناء الاجتماعى كله عن طريق ما تورثه للأبناء من صفات حيوية أو وراثية ، ومن خلال الخبرات الأسرية والتراث الثقافى للأباء والأمهات . كما تتأثر صحة الطفل بالبيئة الداخلية والخارجية حتى قبل مولده ويعتمد ذلك على الظروف المادية والاجتماعية للوسط الذى تعيش فيه الأسرة متمثلا فى الإسكان والغذاء والحالة الصحية بالإضافة للعطف والحنان الذى يجب أن يتمتع به الأبناء فى الأسرة .

هذا ويتأثر سلوك الأبناء غالبا بدرجة ثقافة الوالدين ومدى التجانس بينهما . فالجهل وتناقض الثقافة يؤدي إلى السلوك المنحرف أو فشل الأبناء في التكيف مع ظروف البيئة والمجتمع .

ومما سبق يتضح أن الأسرة أهم الجماعات الإنسانية ، وأعظمها تأثيرا في حياة الفرد والمجتمع ، لذا فقد نالت اهتمام أغلب الباحثين ، خاصة دراسة تطور أشكالها أو تقلصها البنائي و الوظيفي ، حيث اعتقد البعض أنها تتقلص من أشكالها الكبيرة الممتدة إلى أشكال أصغر فأصغر باستمرار حتى تصل إلى الأسرة النووية ، والتي تمثل ذروة التطور . وبموجب ذلك تتحسر الأسرة الممتدة في المجتمع الحديث . ولكن هذا الاعتقاد لا يصمد أمام الشواهد التي تخالف ذلك فمازالت توجد بعض أشكال الأسرة الممتدة في المجتمعات الحضرية والريفية على حد سواء .

كما يعد موضوع تطور أشكال الأسرة ووظائفها من الموضوعات التي دار حولها الكثير من الجدل ، فهناك فريق من العلماء يرى أن الأسرة تأخذ شكلا خطيا في تطورها ، وفريق آخر يرى أن تطور الأسرة قد يتخذ شكلا دائريا في بعض الأحيان .

فأصحاب الفريق الأول يميلون إلى الاعتقاد بأن الأسرة تتطور من أشكال كبيرة إلى ممتدة إلى أشكال أصغر باستمرار. وتعتبر آراء دور كايم رائد في هذا المجال، حيث أطلق ما أسماه بقانون تقلص حجم الأسرة أو قانون التناقص.

أما أصحاب الفريق الثاني فيرون أن التطور في شكل الأسرة يتخذ شكلا إيقاعيا ، بل ودائريا بعض الأحيان وهذا يخضع لظروف معينة بالنسبة لكل مجتمع يجب الوقوف عليها وتحديدها في كل حالة .

ويعتبر الزواج عقدا منظما ومشاركة بين الرجل والمرأة يترتب عليه مجموعة من الحقوق والواجبات للطرفين. وتتحدد مشروعيته فى نطاق الشريعة الإسلامية بأنه عقد يفيد حال استمتاع كل من الطرفين بالآخر على الوجه المشروع. ويعضد ذلك قوله تعالى: "بسم الله الرحمن الرحيم ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم مودة ورحمة صدق الله العظيم . وفى الواقع ينظر إلى الزواج باعتباره عقدا شرعيا بين الرجل والمرأة يتم غالبا فى كنف الأُسرتين ، وتتحدد إجراءاته ، بشكل رسمى .

وعند الحديث عن الأسرة والعلاقات الأسرية لابد وان نتعرض للحقوق والواجبات والأدوار بين أفراد الأسرة ، تلك الأدوار التى تتعرض للتعديل كى تتناسب مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . كما ترتبط التغيرات فى بنية الأسرة ارتباطا وثيقا بعمليات التحديث والتصنيع ، حيث أصبحت ساعات العمل أقل عن ذى قبل وأصبح العمل اقل إرهاقا . هذا فضلا عما طرأ من ارتفاع متوسط العمر ، وقلة عدد أفراد الأسرة من خلال تنظيم الأسرة خاصة بعد أن تغيرت وجهات نظر الأمهات واتجه المجتمع لقبول مبدأ المساواة بين الرجل و المرأة فى الحقوق والواجبات والأدوار سواء فى داخل الأسرة أو خارجها.

والأسرة فى طبيعتها اتحاد تلقائى تؤدى إليه الاستعدادات والقدرات الكامنة فى الطبيعة البشرية النازعة إلى الاجتماع وهى ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشرى ودوام الوجود الاجتماعى ويتحقق ذلك بفضل اجتماع كائنين لبقاء أحدهما دون الآخر وهما الرجل و المرأة والاتحاد الدائم المستمر بينهما يتم بصورة يقرها المجتمع تتمثل فى الأسرة . ويرى بعض العلماء أن الإنجاب شرط ضرورى لاستكمال الأسرة لمقوماتها الذاتية غير أن هذا

الاعتبار خاطئ إذ أن عدد من الأسر عقيمة ولا تقل هذه الظاهرة من شأنها ويذهب كثير من المفكرين المحدثين وخاصة الأمريكان إلى إطلاق لفظ أسرة على كل وحدة إجتماعية مكونة من شخصين أو مجموعة أشخاص تكفل لنفسها استقلالاً اقتصادياً منزلياً سواء كانت تربطهم قرابة أم لا . وبذلك يطلق مصطلح أسرة على مجموعة من الأصدقاء ويعيشون عيشة منزلية واحدة ، وهذا التعرف ينطبق أيضاً على المؤسسات الاجتماعية التي ترعى مئات الأطفال ، ويذهب بعض المفكرين إلى أنه من الأفضل أن يطلق على مثل هذه الوحدات ذات الطابع الاقتصادي والمعيشة الخاصة اسم " العائلة " سواء كانت مرتكزة على القرابة أو لم تكن - أما لفظ أسرة بالمعنى العلمى الاجتماعى فيكون مقصوراً على نظم الأسرة الزوجية وما تنطوى عليه من اعتبارات متعلقة بنطاقها ومحور القرابة فيها هذا بالإضافة إلى الأشكال الزوجية التي تحددها والحدود والواجبات المتبادلة .

ويبدو واضحاً من نظرة سريعة عبر التاريخ ، أن الأسرة جماعة اجتماعية أساسية ودائمة ، ونظام اجتماعى رئيسى ، وليست الأسرة أساس وجود المجتمع فحسب بل هى مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذى يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية ، وربما كان ذلك هو مجمل منظور علم الاجتماع إلى الأسرة باعتبارها نظاماً اجتماعياً ، ومع ذلك فإن رواده لم يهتموا كثيراً بالوحدات الاجتماعية الصغيرة كالأسرة فى تحليلهم للمجتمع ، ولذلك لم تنتعش دراسات الأسرة إلا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على يد علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الآثار الذين اهتموا بدراسة الأسرة فى الثقافات البدائية وفى الحضارات القديمة . ومنذ ذلك الوقت بدأت دراسات الأسرة تحتل مكانة

هامة فى العلوم الاجتماعية .وقد أثار مؤلف ادوارد و سترمارك Edward Westermarck عن " تاريخ الزواج الإنسانى " The History of Human Mariage اهتماما كبيرا كمدخل لدراسة الأسرة .

وتواجه دراسات الأسرة مجموعة من الصعوبات ، أولها يكمن فى أنفسنا ، فكل فرد عضو فى أسرة ، وعضويته هذه تجعله يعتقد أن دراسة الأسرة أمر سهل وبسيط ، ومن المحتمل أيضا أن يتصور أن أى نسق أسرى آخر لا يتفق وأسرته لابد وأن يكون غريبا وشاذا ، ومن الملاحظ أن هناك ميلا عاما إلى مناقشة ما يجب أن يكون وليس ما هو قائم بالفعل ، ولهذا فإن ما قد يبدو للكثيرين من أن الذى لديهم من وضوح الرؤية بالنسبة لعلاقتهم الأسرية يمكن أن يحملهم على الاعتقاد بأنه ليس هناك ما يدعو إلى البحث فى هذا الموضوع لأنه يدور حول أشياء نعرفها ونعيشها ، ولكن لو تتبعنا الواقع فى أبعاده المتعددة لوجدنا أن كثيرا من المعتقدات المتصلة بالأسرة ليس لها أساس ، وحينئذ تصبح " المسألة الأسرية " ، بحاجة إلى دراسة عميقة حتى يمكن فهمها بصورة أفضل وفى نفس الوقت يتعين أن نختبر كثيرا من ملاحظتنا الفردية المترجمة عن الخبرات الأسرية فى النمط الذى ننتمى إليه لنذكر كيف نتشابه أو نختلف مع المجتمعات الأخرى ، بل ربما أيضا مع أنماط أسرية أخرى قائمة فى مجتمعنا . ويؤيد ذلك أن الدراسات المتنوعة فى ميدان الأسرة أظهرت اختلافات هامة فى أنماطها فى المجتمع الواحد . فأسر الطبقة العليا تختلف عن طبقة العمال من حيث التكوين البنائى ، والأيدولوجية وفرص الحياة والأدوار الزوجية ، وفى أسلوب الحياة . وهذا فضلا عن الاختلافات الثقافية الواسعة النطاق إذا أدخلنا عددا من المجتمعات فى الاعتبار . وربما كان ذلك هو الذى أدى بكثير من المهتمين بعلم

الاجتماع الأسرى إلى القول بأن تعدد أنماط الأسرة فى المجتمع يعتبر من أبرز ملامح المجتمعات المعاصرة ويأتى دور التقدم فى وسائل الاتصال وما يترتب عليه من تغير وتبدل فى العلاقات الأسرية وغيرها فى ظل المتغيرات الدولية وفيما يلى نعرض لوصف المقرر وهدفه .

وصف المقرر وهدفه

يهدف هذا المقرر إلى تعريف الطلاب بمحتوى علم الاجتماع العائلي وأهمية دورة في المجتمع، لأن مسألة تكوين الأسرة والمحافظة على العائلة واستمرارها مسألة أساسية فبعد انتهاء مرحلة التعليم والبحث عن فرصة عمل يريد كل شاب أن يستقل بحياته ويختار الشريك الآخر لهذه الحياة ويعد الزواج عقدا منظما وشرعيا بين الرجل والمرأة يترتب عليه مجموعه من الحقوق والواجبات للطرفين .

ولأن كل فرد فينا عضو في أسرة وعضويته هذه تجعله يعتقد أن دراسة الأسرة أمرا سهلا وبسيطا ،وربما يتصور أن أى نسق أسرى آخر لا يتفق وأسرته لابد أن يكون غريبا وشاذا من هنا تأتي أهمية الحاجة إلى دراسة الأسرة والمعتقدات المتصلة بها دراسة عميقة حتى يمكن فهمها بصورة أفضل من حيث (أنماطها-تكوينها- الأيديولوجية وفرص الحياة - الأدوار الزوجية -أسلوب الحياة -الاختلاف الثقافي ..) .

والأسرة بشكلها البسيط تتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين ويطلق على هذا الشكل الأسرة النوواة لأنها تتكون من جيلين فقط والأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع وهي الوحدة الأساسية فى البناء الاجتماعى وتتأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع وتؤثر أيضا فى البناء الاجتماعى للمجتمع ككل فهي أساس وجود المجتمع ومصدر التنشئة الاجتماعية والأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذى يتلقى فيه الإنسان أولى دروس الحياة الاجتماعية . والعلاقة الأسرية هذه تفرض حقوق وواجبات وادوار بين أفراد الأسرة .

والعائلة والأسرة أهم الجماعات الإنسانية وأعظمها تأثيراً فى حياة الفرد والجماعات لذا فدراستها ومعرفة مفهومها ونشأتها والتغير فى أشكالها ودورها وأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع ووظائفها البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

وأهمية الزواج والتأكيد عليه والعلاقة بين الزوجين ومهام كل من الزوج والزوجة وعلاقة الآباء بالأبناء والعكس. وأدوار الرجل الاقتصادية والاجتماعية والمرأة وأدوارها المتعددة كربه منزل ومربية وعملية الإنجاب والتنشئة الاجتماعية وشروطها والمشكلات الأسرية وأساليب علاجها والتغير فى المجتمع وانعكاساته على الأسرة وأهمية صلاح العائلة لصلاح الأمة .

وذلك بهدف إكساب الطلاب مجموعة من الخبرات لما يمكن أن تكون عليه الأسرة والعائلة للوصول بها إلى أفضل نمط حياة قادرة على التعايش وحل المشكلات لذا فقد قمنا بعرض لثلاث مشكلات بحثية أجريت ميدانيا تهم الأسرة المصرية - البطالة - الإعاقة - سلوكيات الشباب .

وفيما يلى وصف المحتوى ويهدف هذا المحتوى إلى تعريف وإفهام

وتحليل واستخدام الطالب لـ :

- 1- مفهوم الأسرة والعائلة ومقومات وأشكال الأسرة ودورة حياة حياتها.
- 2- المداخل النظرية لدراسة العائلة والتغير والتصنيع وانعكاسه على بناء الأسرة وشكلها وأهميتها واستقرارها .
- 3- الزواج وتكوين العائلة من حيث النشأة والتأكيد على أهمية الزواج والعلاقة بين الزوجين وتوقعات الدور والتوافق فى الزواج ومهام كل منهما .
- 4- العائلة بعض القضايا والأدوار والوظائف والاهتمامات والتنشئة الاجتماعية والمشكلات وأساليب مواجهتها .

5- المرأة والحياة العائلية من حيث تعليمها ودورها كربة منزل وأدوارها وعملية الإنجاب .

6- الاقتصاد ومشكلات الأسرة من حيث مصادر الدخل وعمل المرأة .
ثم عرض الجزء الثانى للدراسات التطبيقية التى تشغل بال العائلة المصرية وتناقش عدد من المشكلات الحياتية التى تتعرض لها فى ضوء المتغيرات الدولية وهى :

7- سلوكيات الشباب فى ظل المتغيرات الدولية .

8- البطالة وأثرها على الأسرة ومصاحباتها الاجتماعية.

9 - التمكين الاجتماعى لذوى الاحتياجات الخاصة .

- لتحقيق الهدف من ذلك المحتوى يستلزم استخدام بعض الوسائل منها :-

1- جهاز عرض الشفافيات .

2- جهاز كمبيوتر .

3- داتا شو .

4- سبورة بيضاء وأقلام بألوان مختلفة .

- ويتم قياس ذلك من خلال التقويم وفق الأساليب الآتية:-

1- مناقشات وأوراق عمل .

2- مجموعات عمل لحل الأسئلة .

3- تقييم شهرى للطلاب .

4- الاختبار التحريرى .

الفصل الأول العائلة - الأسرة ودورة حياتها

- أولاً : مفهوم العائلة .
- ثانياً : مفهوم الأسرة .
- ثالثاً : مقومات الأسرة .
- رابعاً : دورة حياة الأسرة .

أولاً: مفهوم العائلة

هناك العديد من المفاهيم المرتبطة بالعائلة وهى :

1 - العائلية Familism

شكل من أشكال التنظيم الاجتماعى يتميز بسيادة القيم العائلية التى تؤكد تبعية المصالح الفردية لمصالح ورفاهية العائلة ككل ، ويتميز هذا التنظيم بإحساس أعضائه القوى بالتوحد والولاء العائلى والعون المتبادل والاهتمام باستمرار ووحدة العائلة (1).

2- عائلة ملتحمة (متصلة) Family , Joint

مصطلح يستخدم عموماً للإشارة إلى نمط من الأسر المركبة أو الممتدة ، يتكون من عدة أسر نووية ترتبط ببعضها البعض بروابط القرابة أو النسب (2) .

3- العائلة الأصلية (الكبيرة) Stem Family

صاغ هذا المصطلح فريدريك لوبلاى (1855) للإشارة إلى شكل معين من أشكال الأسرة كان منتشرًا بين عائلات كبار الملاك الأثرياء فى المناطق الريفية من أوروبا . وكانت حقوق ملكية الأرض أو الثروة تنتقل من جيل إلى جيل ، وكان كل وارث يصبح بؤرة التنظيم العائلى فى هذا الجيل (3).

4- عائلة ممتدة Extended family

امتداد عضوية الأسرة إلى ما بعد حدود الأسرة النووية . وهذا الامتداد يمكن أن يشمل أفراداً من نفس الجيل أو من عدة أجيال . ويمكن تصنيف أشكال العائلة الممتدة طبقاً للروابط بين الأسر النووية التى تكونها . فيمكن القول مثلاً أن هناك العائلة الممتدة التى تضم أسر الأخوات أو أسر

الإخوة ، فى فرع الأم أو فى فرع الأب . وقد شاع استخدام تصنيف أنماط الأسرة إلى ممتدة أو نووية كثيرا فى علم الاجتماع ، إلا أنه لا يعد ذا قيمة تحليلية فى علم الأنثروبولوجيا ، حيث أن الدراسات الأنثروبولوجية للجماعات والشبكات القرابية ، تستخدم مجموعة من الفئات والتصنيفات المعقدة بدلا من التفرقة البسيطة بين الأشكال النووية والممتدة (4).

5- أسرة (عائلة) Family

أ- يمكن تعريف الأسرة الإنسانية . أنها جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تكون من رجل وامرأة (يقوم بينهما رابطة زواجية مقررة) وأبنائهما .

ومن أهم الوظائف التى تقوم بها هذه الجماعة ، إشباع الحاجات العاطفية ، وممارسة العلاقات الجنسية ، وتهيئة المناخ الاجتماعى الثقافى الملائم لرعاية وتنشئة ، وتوجيه الأبناء .

ويلحظ أن الجماعة التى تتكون على الأساس السابق وتمارس هذه الوظائف تختلف فى بنائها إختلافا واضحا ، ومن ثم يتعين عند تعريف الأسرة أن يتضمن التعريف الإشارة إلى النماذج المحتملة لهذه الجماعة .

ب- وتتألف الأسرة الإنسانية البيولوجية العامة من الآباء وأبنائهم، وقد تشتمل الأسرة البسيطة أبناء بالتبنى الرسمى ويطلق على هذا الشكل مصطلح الأسرة النواة Nuclear Family أو الأسرة المباشرة أو البيولوجية أو الأسرة الأولية أو الأسرة المحدودة .

ويتفق معظم العلماء على أن هذا الشكل البسيط للأسرة منتشر فى كافة المجتمعات .

ج- ويقوم على هذا النموذج من نماذج الأسرة نماذج أخرى متعددة كالأسرة الممتدة Extended Family والأسرة الممتدة الزوجية التي تتكون عن طريق إضافة أزواج آخر (زواج الأخوة من امرأة واحدة البوليجامى).
د- وقد واجهت علماء الاجتماع صعوبة بالغة فى معالجة الأسرة نظرا لأنها تخط بين سمات بيولوجية عامة لدى البشر ، وسمات أخرى عديدة .

ف نجد مثلا ماكيفر يكتب عن الأسرة قائلا : " أن الأسرة جماعة تعرف على أساس العلاقات الجنسية المستمرة على نحو يسمح بإنجاب الأطفال ورعايتهم " غير أن هذه المحاولة للتوصل إلى تعريف ينطبق انطباقا عاما . تعتمد أساسا على الأهمية الاجتماعية لإحدى الوظائف البيولوجية الأساسية ، ومن ثم فهي تتجاهل طائفة كبيرة من الجوانب الثقافية الكامنة فى الأسرة . على أن ماكيفر وأن كان قد اهتم بالعامل البيولوجى ، إلا أنه يؤكد مدخلا تاريخيا هاما فى علم الاجتماع وهو الطابع النظمى الذى تتخذه الأسرة لما تؤديه من وظائف مجتمعية هامة . ومع أن هذا المدخل يعد ضروريا لدراسة الأسرة ، إلا أنه يتعذر استخدامه كأساس وحيد لتعريفها ، لأنه يتجاهل العديد من الوظائف الشخصية للأسرة ونتيجة ذلك ، يتحدث علماء الاجتماع فى الوقت الحاضر عن التحول الذى طرا على نظام الأسرة ، حين تتجه إلى أن تصبح نوعا من الرابطة أو التفاعل المستمر بين بعض الأشخاص أو ما يسمى " بالمرافقة " .

لكن هذه النظرة أيضا تغفل أهمية الأسرة كجماعة إنسانية عامة .
ونجد روبرت لوى R.H Lowie يكتب عن الأسرة قائلا : "أن الأسرة هى الوحدة الاجتماعية القائمة على الزواج" ، أى أنه يجعل من الأسرة ظاهرة

ثقافية خالصة ، على حين انه يلاحظ أن بيلز و هيوجر يصفان الأسرة " جماعة اجتماعية تربط بين أعضائها روابط القرابة " .

ويحتاج هذا التعريف بالطبع إلى تحديد معنى القرابة أو روابط القرابة ، حتى يمكن إدخال الزوجين ضمن الأسرة . وهكذا ، نلاحظ أن أى تعريف مقبول للأسرة يجب أن يأخذ فى الاعتبار كلا من الجانب الثقافى والبيولوجى ، ويحسب حسابا للخصائص النظامية والشخصية على السواء .

هـ- ويحاول جيلين أن يحدد أهم خصائص الأسرة من خلال وضعها فى الإطار البيولوجى الثقافى الملائم ، فهى : أولا : تتميز بوجود رابطة زواجية بين عضوين على الأقل من جنسين مختلفين ، ثانيا : تعترف ببعض صلات الدم التى تتبنى عليها مصطلحات القرابة والتزاماتها ، وثالثا : تشير إلى شكل معين من أشكال الإقامة . ورابعا: تقوم على مجموعة وظائف شخصية ومجتمعية تمارسها الأسرة .

و- ويعرف بيرجس E.W Burgess ولوك H.J.Locke الأسرة

فى كتابهما The Family بأنها :

"جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج والدم أو التبنى ويعيشون معيشة واحدة ، ويتفاعلون كل مع الآخر فى حدود أدوار الزوج والزوجة ، الأم والأب ، الأخ و الأخت ، ويشكلون ثقافة مشتركة " .

غير أن هذا التعريف الذى يقدمه بيرجس ولوك لا يعد تعريفا كافيا للأسرة لأن الروابط الأسرية التى أشارا إليها قد تتطلب فى بعض المجتمعات اعترافا اجتماعيا بحيث لا يقتصر فيها على مجرد أنجاب الطفل فى الأسرة . ففى بعض المناطق بميلانيزيا مثلا قد لا تتحدد الأسرة التى ينتمى إليها الطفل عن طريق الولادة ، بل تتحدد عن طريق أداء بعض الأفعال الاجتماعية .

فالرجل الذى يدفع أجر القابلة يعتبر أبا للطفل كما تعتبر زوجته أما له . كما أن هناك مجتمعات لا يعرف فيها بوضوح الدور الفسيولوجى للرجل فيما يتعلق بإنجاب الطفل.

وعموما ، فإن من اهم الانتقادات التى توجه إلى تعريف بيرجس ولوك . أنهما أغفلا الاختلافات الجوهرية التى تظهر حول طبيعة بناء الأسرة واهتمامها .

ز- وتعرف الأسرة النواة بأنها " جماعة صغيرة تتكون من زوج وزوجة وأبناء غير بالغين وتقوم كوحدة مستقلة عن باقى المجتمع المحلى " . ويعتبر هذا الشكل الخاص من أشكال الأسرة من اهم خصائص المجتمع الصناعى الحديث ، لأنه يعبر عن الفردية التى تنعكس فى حقوق الملكة والأفكار والقوانين الاجتماعية العامة حول السعادة والإشباع الفردى . كما يعبر أيضا عن عمليات التنقل الاجتماعى والجغرافى فى هذا المجتمع .

وتعد الأسرة النواة ظاهرة بارزة فى المجتمعات الصناعية المتقدمة ، لأنها تعتمد فى تماسكها على الجذب الجيسى والصدافة التى تقوم بين الزوج والزوجة ، وبين الآباء والأبناء . غير أنه سرعان ما تضعف الروابط الأسرية عندما يكبر الأبناء. سواء من خلال تأثير جماعات الأصدقاء ، أو نتيجة لعمليات التنقل الاجتماعى والجغرافى .

إلا أنه فى المجتمعات البسيطة أو التقليدية توجد رابطة تجمع عددا من الأسر النواة أو قد تخضع لبناء أسرى كبير ومركب . ولذلك يسمى فوجل P.F Vogel وبل N .W. Bell " كل تجمع أوسع من الأسرة النواة وتقوم روابطه على أساس من الانحدار أو الدم أو الزواج أو التبني الأسرة

الممتدة " . وفى هذا الصدد يميز ميردوك G.P Murdock بين شكلين أساسيين من أشكال الأسرة المركبة : الأسرة الممتدة التى تتكون من أسرتين صغيرتين أو أكثر يرتبطان فيما بينهما من خلال إمتداد علاقة الابن المتزوج بوالديه ومثال ذلك ارتباط الأسرة النوواة التى يكونها الابن المتزوج بأسرة والديه (أسرة التوجيه) . ويختلف هذا الشكل عن الأسرة التعددية التى تتكون من ارتباط أسرتين صغيرتين أو أكثر عن طريق الزيجات الجمعية أو عن طريق الاشتراك فى سلف واحد ، ويعرف هذا الشكل باسم الأسرة المتصلة (5) .

ثانيا : مفهوم الأسرة

مصطلح خلافى فى علم الأنثروبولوجى يكتنف تعريفه المشكلات وعدم الاتفاق ، وإن كان شأنه شأن مصطلح وحدة المعيشة يستخدم بشكل غير دقيق ودون التزام بتعريف دقيق . وقد استعرض يانيجا ساكو Yanigasako . هذا الموضوع . وقد لنا تلخيصا ممتازا لكثير من القضايا الرئيسية المرتبطة بتعريف هذين المفهومين . وهناك اتفاق عام على أن جوهر الأسرة هو علاقات القرابة ، على حين أن جوهر وحدة المعيشة هو الأنشطة المنزلية . وعلى ذلك فالأسرة ووحدة المعيشة يمكن تمييزهما عن بعضهما ، كما أنهما فى الواقع الإمبريقي كثيرا ما يختلفان أيضا عن بعضهما البعض . وفى دراسات المجتمعات القروية يستخدم مصطلح " أسرة " فى الغالب للإشارة إلى جماعات قرابية مشتركة - ذات تعريف قانونى محدد ، وظيفتها الأساسية هى التحكم فى الثروة (خاصة الأرض الزراعية) . ولكن مثل هذا التعريف الوظيفى للأسرة لا يصلح للاستخدام فى كثير من المجتمعات (سواء القبلية أو الصناعية) . حيث تكون مسئولية حيازة

الثروة والأرض الزراعية وغيرها من الأنشطة الاقتصادية من اختصاص جماعات أخرى غير الأسرة . وهناك محاولات أخرى لتعريف الأسرة على أسس وظيفية ، من بينها تلك التي تعرفها بالإشارة إلى وظائفها الجنسية ، أو الإنجابية ، أو تنشئة الأطفال ، أو غيرها من الوظائف المنزلية . ومع ذلك ، وكما أوضح يانيجا ساكو ، فليست هناك وظيفة واحدة ، أو مجموعة وظائف يمكن القول بأنها منتشرة عالميا ، وأنها تمارس بواسطة مجموعة من الأفراد الذين تربطهم قرابة الدم ويمكن أن نطلق عليهم إسم " أسرة " لهذا السبب اتجه كثير من علماء الأنثروبولوجيا إلى رفض التعريفات الوظيفية، مفضلين عليها التعريفات البنائية .

وهكذا يعرف جود إنف Goode الأسرة النووية العالمية بأنها تلك الجماعة التي تتكون من امرأة وأطفالها الذين تقوم على تربيتهم وعندما تضم تلك الجماعة الأسرية فضلا عن ذلك الأب (زوج المرأة) ، يطلق عليها جود إنف اسم " الأسرة الزوجية الأولية " . أما عندما تضم هذه الجماعة إلى جانب ذلك أقارب دمويين للمرأة (غير أطفالها) فيسميها " الأسرة القرابية " (أو الأسرة ذات القرابة الدموية) . غير أن جود إنف لم يحدد المكونات الوظيفية لتلك العلاقات .

وقد توصل فورتس إلى صياغة تعريف يمكن أن يلقي قبولا لدى كثير من الأنثروبولوجيين حيث اعتبر الأسرة هي " النواة الإنجابية " للجماعة المنزلية . وهذه الجماعة الإنجابية قد تضم وقد لا تضم في فترة معينة زوج المرأة . ولذلك فإن العلاقات الدموية القرابية أو المصاهرة يمكن أن تدرس تحت الموضوع العام : القرابة ، الذي لا يفترض سلفا أولوية معينة لأى جماعة أو وحدة بذاتها . وقد ذهب ليفي شتراوس إلى أن مفهوم الأسرة

النوعية بالاستخدام التقليدي غير ملائم وناقص من ناحية التحليلية ، لأن البناء الأساسى للعلاقات القرابية يتضمن دائما موضوع تقديم الزوجة أو علاقات التحالف ، وهو يمثل جزءا لا يتجزأ من ذلك البناء .

الأسرة النووية كما عرفها ميردوك باعتبارها تتكون من الأم ، والزوج ، والأطفال ليست عالمية الوجود فى كل المجتمعات على نحو ما نرى على سبيل المثال عند شعب النايار Nayar فى جنوب الهند حيث تتم علاقات الزواج فى أضيق الحدود ، وان الوحدة الاجتماعية المكونة من الأم وأطفالها ليست لها علاقة مهمة مع الأب أو زوج الأم.

لذلك نلاحظ أن الاتجاه الموروث عن مالمينوفسكى وغيره من الأنثروبولوجيين الذين يكزون دائما على الوظيفة الإيجابية ويعتبرونها جوهر وأساس الأسرة ، هذا الاتجاه يقعدنا عن دراسة التنوع الثقافى المقارن فى دلالة هذه الوظيفة الإيجابية ، وتفسيرها من النواحي الاجتماعية الثقافية . ويلاحظ يانيجا ساكو أن دراسات الأسرة فى ميدان الأنثروبولوجيا كثيرا ما تميزت بالتعصب السلالى والتعصب للرجل ، مما دفعها إلى تجاهل المكون السياسى لعلاقات المرأة ولوجهة نظر المرأة فى بناء الأسرة وعمليتها (6) .

وقد اهتم عدد كبير من البحوث الأنثروبولوجية بدراسة التنوع الثقافى المقارن فى وظائف الأسرة وأشكالها ، رغم عدم الاتفاق حتى الآن على تعريف للأسرة يصدق على كل الثقافات . وهكذا ظهرت عمليات تتميط متضاربة،ركز بعضها على اختبار الفروض المتعلقة بالعموميات النفسية الاجتماعية ، على حين ركز بعضها الآخر على اختبار الفروض التطورية . ويلاحظ أن كثيرا من الدراسات الأنثروبولوجية للأسرة وبناء الجماعة المنزلية يستند إلى فرض تطورى و/ أو نفسى مؤداه : أن الأسرة (النووية)

تمثل الوحدة الإنتاجية والإنجابية والاجتماعية الأساسية فى كل المجتمعات . وأن كل التجمعات أو التكوينات القرابية أو المكانية أو السياسية هى كيانات يدل التاريخ على أنها قامت واعتمدت عليها. ويرتبط هذا الرأى فى أعمال فورتس بنظرية تحليلية نفسية تعطى الأولوية للعلاقة بين الأم والطفل ، وأن كل العلاقات العاطفية والاجتماعية الأخرى إنما تتبع من تلك العلاقة ويعارض هذا التصور مفكرو النظرية البنوية ونظرية التحالف(وخاصة ليتش ونيدهام) الذين يرون أن أساس الأنساق القرابية هى علاقة بين فئات وليس عموميات نفسية.

ويلاحظ أن التمييز الشائع فى علم الاجتماع بين أشكال الأسرة النووية والممتدة لم يستخدم كثيرا فى إطار الأنثروبولوجيا .ذلك أن الأنثروبولوجيا تتجه بدلا من ذلك إلى استخدام أسلوب أكثر دقة وإحكاما فى دراسة وتصنيف الأنماط العديدة للأسرة والجماعة المنزلية فى المنظور الثقافى المقارن .ومع ذلك فإن جانبا كبيرا من الجدل الذى دار عن الأسرة انصب حول ثنائية النووية والممتدة والفرض الشائع بأن التصنيع يؤدى إلى انهيار روابط الأسرة الممتدة . ويرى يانيجا ساكو أن الجانب الأكبر من تلك المناقشات زائف فى الحقيقة ، لأنه ينطلق من ثنائية شديدة الفجاجة تميز بين أشكال الأسرة الممتدة . لذلك يتعين إعادة صياغة تلك المناقشات فى ضوء استمرار وتحول الأشكال والوظائف الأسرية فى المجتمعات التى تشهد التصنيع والتغير الاجتماعى .

وقد ازدهرت المناقشات حول موضوع مستقبل الأسرة فى المجتمع الصناعى فى جانب منها بفضل الشواهد الأنثروبولوجية عن النسبية الثقافية لأشكال الأسرة ، وعن الفرض الشائع بان العلاقات الأسرية مسألة " طبيعية

"كما ركزت تلك المناقشات على موضوع العلاقة بين الأسرة والتنشئة الاجتماعية والأنساق السياسية أو الإيديولوجية .

وتلك قضية معقدة لأن البحوث التاريخية عن الأسرة قد أوضحت أن هناك بعض صورة التناقض وعدم الاتساق بين أشكال الأسرة وقيمها من ناحية ، والنظم السياسية والاقتصادية الدينية في المجتمع الكبير من ناحية أخرى . إن الأسر تعمل -من بعض النواحي -من خلال عملية التنشئة الاجتماعية على استمرار الأنساق الإيديولوجية وأنساق القيم في المجتمع الكبير ، ولكنها يمكن أن تعمل -من نواح أخرى ، وفي ظل ظروف أخرى - على مناوأة أو محاربة تلك الأنساق ، خاصة في فترات التغيير الاجتماعي أو خلال عملية تكون الثقافات الفرعية (7) .

الأسرة تنظيم اجتماعي

تعتبر الأسرة جماعة ذات تنظيم داخلي خاص ، كما أنها وحدة في التنظيم العام للمجتمع . وعلى حين أننا نستطيع أن نبدأ بدراسة بعض مظاهر التنظيم الداخلي للأسرة ، إلا أن العلاقات التي تتميز بها ، والعمليات التي تجرى فيها لا يمكن تفهمها إلا إذا اعتبرناها إنعكاسا لموقف الأسرة كجزء متفاعل في مجتمع معين (8) .

وهناك تقسيمات متعددة للأسرة من بينها : -

1- أسرة نواة Family Atomistic

نموذج أسرى تميز أعضاؤه بدرجة عالية من الفردية وبالتحرر الواضح من الضبط الأسرى ، مما يترتب عليه أن تعلق مصالح الفرد مصالح الأسرة ككل . وتمتاز الأسرة النواة بصغر حجمها ، حيث تتكون عادة من زوج وزوجة وأبناهما غير المتزوجين ولا يحدث إلا نادرا وفي ظل

ظروف استثنائية أن يعيش أحد البناء المتزوجين مع والديهم . ويرى كثير من الباحثين فى علم الاجتماع الحضرى أن هذا النموذج من الأسرة هو الذى يتزايد انتشاره فى المجتمعات الحضرية (9) .

2- أسرة زواجية Family , Conjugal

أحد نماذج التنظيم الأسرى الذى تكون العلاقات الأساسية فيه قائمة على محور العلاقة بين الزوج والزوجة أكثر من قيامها على العلاقات الدموية وتقوم بالأدوار الهامة فى هذا النموذج الزوج والزوجة وأبناؤهما غير المتزوجين وإذا ضمت الأسرة أقارب آخرين فإن دورهم يكون سطحيا وثانويا ولا تشكل الأسرة فى هذه الحالة أو تتحول إلى أسرة ممتدة (10) .

3- أسرة المرافقة (الرفقة) Family, Companionship

الأسرة التى يقوم السلوك فيها على " العاطفة والاتفاق المتبادلين بين الأعضاء " . وقد وصفها كل من أرنست بيرجيس F.W Burgess وهارفى لوك H .J Locke بأنها " نموذج مجرد أو نمط مثالى فى مقابل النمط المثالى للأسرة النظامية .

وقد ارتبط ظهور أسرة الرفقة بانتهاء الاقتصاد التقليدى ، واختفاء الوظائف التربوية والدينية والترفيهية التى كانت تقوم بها الأسرة التقليدية ، وتلاشى علاقات الجوار والمظاهر التقليدية الأخرى التى كانت تشكل احد مصادر الضبط غير الرسمى وخصوصا فى المدينة الحديثة . ويرى كثير من دارسى الأسرة فى الوقت الحاضر وخاصة فى المجتمعات الغربية أن تبادل العواطف أصبح يمثل وظيفة جوهرية لأسرة اليوم ومصدرا هاما لضبط سلوك أعضائها (11) .

4- أسرة مركبة Family,Compound

نموذج أسرى يصاحب نظام تعدد الزوجات أو تعدد الأزواج حيث تتحد أسرتان نوويتان أو أكثر عن طريق الزوج المشترك أو الزوجة المشتركة (12) .

5- أسرة قرابية (دموية) Family , Consanguine

أحد نماذج التنظيم الأسرى الذى ينصب التأكيد الأساسى فيه على روابط الدم بين الآباء والأبناء أو بين الأخوة والأخوات أكثر مما ينصب على العلاقة الزوجية بين الزوج والزوجة . ومعنى هذا أن علاقات القرابة الدموية تعلق على علاقة الزوجين وتشكل الأسرة القرابية أو تتحول عادة إلى أسرة ممتدة يعيش فى نطاقها جيلين أو ثلاثة (13) .

6- أسرة التوجيه Family of Orientation

وتسمى أيضا " أسرة المولد " وهى تشير إلى الأسرة النووية التى ولد وتربى فيها الفرد (14) .

7- أسرة زواجية Family of Marriage

تعرف أيضا باسم " أسرة التناسل " وهى أسرة نووية يكونها الفرد بالزواج وإنجاب الأطفال (15) .

8- الأسرة المشتركة المتصلة Joint Family

يستخدم هذا المصطلح بنفس المعنى الذى يستخدم به مصطلح الأسرة الممتدة كما أنه يستخدم لوصف أشكال معينة من الأسرة الممتدة . ويدل بهذا المعنى الأخير ، أحيانا على أشكال الأسرة الممتدة التى تتكون من أسر نووية ترتبط فيما بينها بروابط القرابة (والزواج كالأخوة والأخوات المتزوجين وأسرهم) أو يدل على ترتيبات أخرى خاصة ناتجة عن ترابط عدة أسر نووية (16) .

ثالثا : مقومات الأسرة

ترجع اهم مقومات الأسرة وخصائصها بصفة عامة إلى الاعتبارات

الآتية : -

أ - الأسرة أول خلية يتكون منها البنيان الاجتماعى وهى أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشار فلا ترى مجتمع يخلو بطبيعته من النظام الأسرى لأنها أساس الاستقرار فى الحياة الاجتماعية .

ب - تقوم الأسرة على أوضاع ومصطلحات يقرها الدين و المجتمع فهى ليست عملا فرديا أو إراديا ولكنها من عمل المجتمع وثمره من ثمرات الحياة الاجتماعية وهى فى نشأتها وتطورها وأوضاعها قائمة على مصطلحات المجتمع فمثلا الزواج ومحور القرابة فى الأسرة والعلاقات الزوجية والواجبات المتبادلة بين عناصر الأسرة كل هذه الأمور وما إليها يحددها المجتمع ويفرض عليهم الالتزام بحدودها .

ج - تعتبر الأسرة الإطار الذى يحدد تصرفات أفرادها فهى التى تشكل حياتهم وتضفى عليهم خصائصها وطبيعتها ، والأسرة هى بؤرة الوعى الاجتماعى والتراث القومى والحضارى فهى التى تنتقل هذا التراث من جيل إلى جيل آخر وهى مصدر العادات والتقاليد والعرف والقواعد السلوكية والآداب العامة ، وهى دعامة الدين والوصية على طقوسه ووصاياها ويرجع إليها الفضل فى القيام بأهم وظيفة اجتماعية وهى عملية التنشئة الاجتماعية . والأسرة هى المعلم الأول الذى يقوم بعملية الترويض الاجتماعى ، هذا ولكل أسرة سماتها الثقافية المستمدة أساسا من الثقافة العامة للمجتمع .

د- الأسرة بوصفها نظام اجتماعى تؤثر فيما عداها من النظم الاجتماعية وتتأثر بها فإذا كان النظام الأسرى فى مجتمع ما فاسدا فإن هذا الفساد يتردد صداه فى وضعه السياسى وإنتاجه الاقتصادى ومعاييره الأخلاقية وبالمثل إذا كان النظام الاقتصادى أو السياسى فاسدا فإن هذا الفساد يؤثر فى مستوى معيشة الأسرة وفى وضعها القومى وفى تماسكها .

هـ- تعتبر الأسرة وحدة اقتصادية وتبدو هذه الطبيعة واضحة إذا رجعنا إلى تاريخ الأسرة فقد كانت قائمة فى العصور القديمة بكل مستلزمات الحياة واحتياجاتها وكانت تقوم بكل مظاهر النشاط الاقتصادى وهو " الاقتصاد المغلق " (الإنتاج لهدف الاستهلاك) (17) .

وعندما اتسع نطاق الأسرة واستقرت أوضاعها أصبح معظم الإنتاج العائلى من خصائص المرأة بينما ساهم الرجل بنصيب كبير فى الأعمال الإنتاجية خارج نطاق الأسرة .

و - الأسرة وحدة إحصائية اى يمكن أن تتخذ أساسا لإجراء الإحصاءات المتعلقة بعدد السكان ومستوى المعيشة وظواهر الحياة والموت وما إليها من الإحصاءات التى تخدم الأغراض العلمية ومطالب الإصلاح الاجتماعى . ويمكن ، أن تتخذ كذلك عينة للدراسة والبحث وعمل التجارب والمتوسطات الإحصائية وذلك للوقوف على طبيعة المشاكل الأسرية للقضاء عليها .

ز- الأسرة هى الوسط الذى أصطلح عليه المجتمع لتحقيق غرائز الإنسان ودوافعه الطبيعية والاجتماعية وذلك مثل حب الحياة وبقاء النوع وتحقيق الغاية من الوجود الاجتماعى وتحقيق الدوافع الغريزية والجنسية

والعواطف والانفعالات الاجتماعية مثل عاطفة الأبوة والأمومة والأخوة والغيرية وما إليها .

هـ - يمكن أن تستخدم الأسرة كأداة لتحديد وضع الفرد في نظام طبقى معين . فوضع الفرد الاجتماعى يتحدد من خلال انتمائه الأسرى ، كما أن شخصيته الثقافية الاجتماعية تتكون وتأخذ ملامحها وسط الجماعات التى ينتمى إليها وأهمها الأسرة، وفى هذا الصدد يجدر الإشارة إلى تقسيم الأنثروبولوجى الأمريكى رالف لنتون للمكانة الموروثة والمكانة المكتسبة وخلاصة هذا التقسيم أن هناك مجتمعات يتحدد فيها وضع الفرد من خلال وضع أسرته فى المجتمع " المكانة الموروثة " أو أن تتحدد مكانة الفرد من خلال إنجازاته الفردية التى تجعله بالمثل محل تقدير المجتمع " المكانة المكتسبة " (18) .

1-العلاقة بين الزوجين

الملاحظة فى الوقت الذى ضعفت فيه العلاقات، بين الوالدين وأبنائهما وأصبحت ذات طابع ذاتى وشخصى واضح ، ازدادت فيه قوة العلاقة بين الزوجين ،فازداد اقترابهما وتركزت علاقتهما وطالت مدة حياتهما التى يقضيانها مع بعضهما . وذلك بالطبع بافتراض سيطرة الزواج الواحدى ، واستمرار العلاقة الزوجية مدى الحياة ، أما الأسرة التى ينهى فيها الطلاق الحياة الزوجية فهذه لا نعنيها فى حديثنا هنا .

ويشر بعض المؤلفين إلى شواهد واضحة تؤكد هذه الظاهرة الجديدة حيث نجد اغلب التشريعات الحديثة فى أكثر البلاد الغربية الصناعية تضع قانون الزواج اسبق من قانون الأسرة . ولا يرجع ذلك فقط إلى أن الأسرة

تبدأ حتماً بالزواج ، ولكنه يرجع كذلك إلى أن الزوجين فى الأسرة الحديثة قد أصبحا يحتلان أهمية كبرى من الناحية البنائية .

وهكذا أصبح الزواج كما أصبح الزوجان يمثلان البؤرة الأساسية لهذا النمط الجديد الذى عرفناه عن الأسرة الحديثة ، والذى يتمتع الأطفال منذ سن مبكرة نسبياً بقدر من الاستقلال والتباعد عن الوالدين . وحتى بعد بلوغ أولئك الأولاد السن القانونية أو اكتمال تأهيلهم للحياة العملية فإنهم يتركون بيت الأسرة ، ويبقى الزوجان وحدهما من جديد . ومن ذلك يتضح أن الزوجين ليسا هما البؤرة الأساسية فحسب ، ولكنهما كذلك الوحدة الوحيدة المستمرة باستمرار الأسرة ، منذ عقد الزواج وحتى الموت (19) .

الزواج فى كل مجتمع عبارة عن مجموعة من الأنماط الثقافية لإقرار الأبوة وتهيئة الأساس المستقر للعناية بالأطفال وتربيتهم، فالزواج هو بالفعل الوسيلة الثقافية الأساسية لضمان استمرار الأسرة والجماعة الأخرى القائمة على القرابة .

ويرى برنارد باربر Bernard Barber أن الزواج علاقة مستمرة مقبولة اجتماعياً بين رجل وامرأة أو أكثر ، وهى تسمح بالعلاقات الجنسية بينهما بغرض الأبوة ، ويعد الزواج نمطاً خاصاً من العلاقات المقبولة بمجتمعنا وهى تتم وفق معايير وضوابط معينة ومن الممكن أن تنتهى تحت ظروف خاصة يحددها المجتمع . وأهمية الزواج ليس فى إقامة علاقة بين شريكين ولكن أهميته فى العلاقات التى تربط بين عائلتيهما .

وتعكس الأمثال خصوصية العلاقة بين الزوجين " الرجل ومراته زى القبر وأفعاله " ، " الراجل ومراته زى الحلة وغطاها " ، إن كان الرجل بحر تكون المرة جسر " (الرجل والمرأة : - الزوج والزوجة) .

وتبدو المرأة فى الأمثال الشعبية التى تدور حول العلاقة الزوجية لا حيلة لها غير أن تكون تابعة للرجل ، خاضعة له وفى حاجة إليه فهى تفضل الزواج مع التبعية أفضل من أن تكون بلا زواج " ضل راجل ولا ضل حيطه " " جوز من عود ولا القعود " أى أن الزوج مهما كان نحيف وضعيف فإنه أفضل من أن تقعد الفتاة بدون زوج ، وكذلك " أقل الرجال يغنى النسا " ، أى يجعلهن لا يحتجن أحد " خودى لك راجل بالليل غير وبالنهـار أجير " . أى انه يجعلها لا تحتاج لأحد فهو يحميها فى المساء ويسعى للعمل فلا تحتاج لأحد (20) .

وقد تناولت العديد من الدراسات العلاقة بين الزوجين داخل نطاق الثقافات السائدة فى المجتمعات المختلفة ، وخاصة ما يتعلق بأدوار الرجال والنساء ومكانة كل من الزوج والزوجة فى الأسرة من خلال قوة اتخاذ القرارات الأسرية ، حيث أكدت أراء عديدة أن مساهمة الزوجة فى دخل الأسرة يكسبها سلطة إتخاذ القرارات الأسرية ، إلا أن تلك الآراء تواجه بعض الاعتراضات ، فهناك دراسات أخرى توضح أن هناك عوامل اجتماعية واقتصادية تواجه الربط بين المكاسب الاقتصادية أو الدخل للزوجة وتبوئها لمكانة أعلى أو اكتسابها قوة اتخاذ القرارات نظرا لأن نسق التدرج الجنسى السائد فى أغلب المجتمعات التقليدية والنامية يقوم على أساس أن الرجل مكانته أعلى من المرأة لإعتماد النساء عليهم ومسئوليتهم الاقتصادية عن الأسرة . وفى إطار الأدوار التقليدية لكل منهما .

أما فيما يتعلق باتخاذ القرارات فإن الأمثال الشعبية تسفه من استشارة المرأة ، بل نجعل من سمات الرجولة ألا يستشيرها فى اتخاذ القرارات فنجد

الأمثال "شاور مراتك واخلف شورتها" ،شورة المرة تأخر سنة " ،" الراجل ابن الراجل عمره ما يشاور مرة " ، " شورة المرة عوجة"
كما أن رضا الزوج عنها يكسبها سعادتها " اللي جوزها يحبها
الشمس تطلع لها " وأيضا الدعوة لحسن معاملة الزوجة ليحترمها الناس "
اللى يقول لمراته يا عورة الناس تلعب بيها الكوة واللى يقولها يا هانم الناس
تقف لها على السلالم " .

كما تشير الأمثال إلى أن الزوجة تعاني في حياتها الزوجية " جت
العازبة تشكى لقت المتجوزة تبكى " ،ومع ذلك تفضل الزوجة بيت زوجها
مهما عانت فيه من مشاكل وتدعوها بعدم العودة لبيت والدها بعد خروجها
منه لأنهم لن يرحبوا بعودتها مرة أخرى وتقول " يحرم على بيت الأهلية
لحسن يقولوا العاوزة جاية " قعدتى بين اعتابى ولا قعدتى بين احبابى".
(الأحباب : الأهل) ، وأيضا " جهنم جوزى ولا جنة أبويا " ،وتتصح
الأمثال الشعبية الزوجة بالصبر وان تتحمل زوجها خير من طلاقها " الحرة
صبرت فى بيتها عمرت " .

كما نجد الزوج مرتبط بزوجه وأهلها " سألوا جحا بلدك فين قال
اللى فيها مراتى " ويدعوا المثل الشعبى الرجل بالتقرب لأم زوجته " بوس
إيد حماتك ولا تبوس إيد مراتك " وهو ما يؤكد تأثير الأم على إبنيتها لإسعاد
زوجها (21) .

2- سيطرة الطابع الذاتى على العلاقات داخل الأسرة

يمكن القول بصفة عامة بان العلاقات الموضوعية ، بل إن كل
العلاقات التى يمكن صياغتها فى صورة رسمية ، داخل الأسرة الحديثة آخذة
فى التراجع . ونلاحظ بادئ ذى بدء دخول تعديلات ملحوظة على سلطة

الأب على الزوجة وعلى الأولاد ، حيث أنها تسير فى اتجاه التخفيف الواضح . ويشير رينيه كونيغ فى هذا الصدد إلى اتجاه بعض القوانين الوضعية فى كثير من البلاد إلى الكلام عن " سلطة الوالدين " لا عن سلطة الأب . فقط كما تعتبر الزوج " ممثلاً " لسلطة الوالدين فى التعامل مع المجتمع خارج الأسرة .

كذلك نلاحظ أن الأطفال لا يخضعون اليوم لسلطة الأب أو سلطة الوالدين من خلال قوة الجماعة الأسرية ، وإنما هم يخضعون لتلك السلطة بسبب كونهم قصرًا ، أى بسبب عجزهم المؤقت عن الاستقلال والاعتماد على أنفسهم .

وفى مقابل هذا تزداد العلاقات الشخصية والذاتية داخل الأسرة أهمية واتساحًا ، بحيث تتفوق فى أهميتها على العلاقات الموضوعية أو الرسمية . ومن شأن هذا التطور أن يضيق نطاق تلك العلاقات الموضوعية ذات الصياغة أو التحديد القانونى، ويوسع مجال العلاقات الحميمة التى تعتمد على التقرير الذاتى والذوق والحكم الشخصى .

وهناك اعتبارات من طبيعة مختلفة هى المسئولة عن هذا التطور الجديد . فنلاحظ فى البداية أن تحول طابع العلاقات داخل الأسرة هو صدى لسيطرة الطابع الفردى على الحياة الاجتماعية ونمو الشخصية الفردية كما يرجع هذا التطور إلى الاكتشاف الهام الذى أبرز لنا بوضوح انه من الصعب فى ظل ظروف الحياة الحديثة إخضاع تلك العلاقات ، الأسرية للتنظيم والتحديد القانونى . فهى إما تخضع للتحايل على القانون بسهولة ، أو أن أطراف العلاقة لا يهتمون بفرض حقوقهم القانونية على الطرف الآخر . والظاهرة العامة على أى حال أننا لم نعد نستطيع تدخل القوانين فى صياغة

كثير من أمور حياتنا الشخصية . على خلاف الوضع فى الماضى البعيد حيث كان التراث الاجتماعى (ممثلا فى القواعد الدينية أو العرفية أو غيرها) يتدخل إلى تحديد أدق تفاصيل السلوك الشخصى للفرد ، خاصة على مستوى العلاقات الأسرية،علاقة الزوج مع الزوجة، ومع والديه، ومع أبنائه ،وبين الأبناء وبعضهم إلخ (22) .

3- تصنيفات الأشكال الحديثة للأسرة : -

وضع علماء الاجتماع عدة تصنيفات لأشكال الأسرة من بينها الأسرة الثابتة وغير الثابتة ، والأسرة الاستبدادية والديمقراطية والأسرة الكبيرة الممتدة والصغيرة المحدودة ،والأسرة كنظام اجتماعى وكمشاركة وزمالة ،إلى غير ذلك من التصنيفات التى سنتناول بعضها فيما يلى : -

أ - الأسرة من حيث الثبات

كان الفرنسى لبلاى Leplay أول من ميز بين الأسرة الثابتة Stable والغير ثابتة Unstable وذلك خلال

دراساته عن أسر العمال فى أوروبا فى منتصف القرن التاسع عشر ومثل الأسرة الثابتة بالأسرة الأموية حيث العلاقات ثابتة ودائمة وحيث يتمسك أفرادها بالتقاليد ويشرف فيها رب الأسرة على المتزوجين حديثا يراقبهم ويرعاهم. أما الأسرة غير الثابتة فروابطها ليست دائمة بشكل ثابت بل تتأثر بالتغير الاجتماعى ومثل هذا النوع بالأسرة الحضرية التى تبدأ بزواج الوالدين ثم يزيد حجمها نتيجة إنجاب الأطفال ثم ينقص حجم الأسرة عندما يكبر الأبناء ويستطيعون إعالة أنفسهم فيتركون الأسرة ثم تختفى تلك الأسرة بوفاة الوالدين . وقد اهتم Leplay فى تحليله بثبات الأسرة من حيث

تكوينها وبنائها ولم يعالج ثبات الأسرة من الناحية الوظيفية والديناميكية أى تفاعل أفراد العائلة مع بعضهم والعلاقة بينهم وبين المجتمع الخارجى .

ب - الأسرة من حيث الوظيفة

فرق ولكوكس Willcox منذ أكثر من ستون عاما بين نوعين من الأسرة من الناحية الوظيفية ،الأسرة الاستبدادية Despotic حيث تكون الزوجة ملكا للزوج وليست لها شخصيتها القانونية أى ليس لها حق الملكية أو التصرف فى الشئون المالية إلا بموافقة الزوج حيث تدمج شخصيتها القانونية فى شخصيته والأسرة الديمقراطية Democratic التى تقوم على أساس التآلف والتفاهم والمساواة بين الزوجين . وقد أشار ولكوكس إلى تطور السلطة فى الأسرة من الاستبدادية إلى الديمقراطية .

ج - الأسرة كنظام اجتماعى وكزمانة ومشاركة

فرق برجس ولوك Burgess & Lok بين الأسرة كنظام اجتماعى حيث يكون سلوك أفرادها خاضعا للعرف والقانون والرأى العام ، والأسرة فى صورة زمانة ومشاركة حيث يتعامل الأفراد على أساس التفاهم والود والتوافق المتبادل بينهم . وقد قرر أن هذين شكلان مثاليان Ideal Types يمثلان قطبين متباعدين ..الأول يحدده تماما الضغط الاجتماعى على أفراد الأسرة والثانى يرتكز على دعائم الود المتبادل والعلاقة الوثيقة بين أفراد العائلة .

والواقع أن الأسرة كنظام اجتماعى صرف أو باعتبارها زمانة ومشاركة صرفه لم توجد فى الحياة الواقعية قديما أو حديثا بشكلها النظرى المطلق وإنما هناك تقارب بين الأسرة الأبوية الكبيرة وبين الأسرة كنظام زمانة ومشاركة (23) .

د - الأسرة الأبوية الكبيرة أو الديمقراطية الصغيرة

يمكن حصر أوجه الخلاف بين الأسرة الأبوية الكبيرة (الممتدة) Extended Family والأسرة الديمقراطية الحديثة الصغيرة (المحددة) Nuclear Family فى النقاط الخمسة الآتية : -
- تتكون الأسرة الأبوية الكبيرة من ثلاثة أو أربعة أو خمسة أجيال بينما تقتصر الأسرة الحديثة الصغيرة على الزوج والزوجة دون أطفال أو بطفل أو أكثر .

- تتركز سلطة استبدادية فى الأسرة الأبوية فى يد رئيس الأسرة ويتبع أوامره الزوجات والأولاد والأحفاد بينما تقوم الأسرة الحديثة على أساس المساواة والتفاهم والمشاركة بين الزوج والزوجة والأولاد كلما كبروا.
- فى الأسرة الأبوية يرتب الوالدين زواج أولادهما وفقا للاعتبارات الاقتصادية والمركز الاجتماعى أما فى الأسرة الحديثة فيتم الزواج بين الشباب المتزوجين على أساس الاختيار والحب والتوافق الشخصى بينهما .
- يدعن أفراد الأسرة الأبوية لتقاليدها ومبادئها بينما يتزعزع ذلك فى الأسرة الحديثة حيث يسعى أفرادها لابتغاء السعادة وابتداع الأشياء الجديدة .

- توجد فى الأسرة الأبوية الكبيرة الوظائف التقليدية للأسرة فى النواحي الاقتصادية والتعليمية والدينية والصحية والترفيهية فلقد تخلصت الأسرة الحضرية الحديثة من معظم هذه الوظائف .

ومما هو جدير بالذكر أن عالم الاجتماع الإنجليزى هربت سبنسر Herbert Spencer ذكر فى عام 1876 انه بظهور قانون وحدانية الزوج والزوجة فى ذلك الوقت كانت الناحية القانونية هى الناحية الهامة فى الزواج

بينما كادت تنعدم الناحية العاطفية ، وتتبا سبنسر بأنه سوف يأتى الوقت الذى تكون فيه الناحية العاطفية أساسا للرابطة الزوجية ، ويبدو أن تنبؤات سبنسر فى طريقها حاليا إلى التحقق ليس فقط فى المجتمع الأمريكى وأوربا بل وأيضا فى معظم الزيجات فى الدول المتقدمة أو الدول التقليدية مثل أفريقيا وأسيا (24) .

رابعا : دورة حياة الأسرة

يشير هذا المصطلح إلى تتابع الأحداث التى تمر بأسرة معينة منذ قيام الزوج حتى وفاة الزوجين وما يحدث خلال هذه الفترة . طالت أم قصرت ، من ميلاد أو زواج للأبناء ، وكذلك العمليات والمناسبات المختلفة التى توجهها ، وتربية الأطفال وتنشئتهم وهذا إلى جانب الظروف العديدة التى تصاحب سن الشيخوخة (25) .

1- دورة حياة الأسرة

بصرف النظر عن العدد الضئيل من الأسر الممتدة فى المجتمعات الصناعية المعاصرة يمكن القول بان الأسرة الحديثة تقتصر فى العادة على الزوجين وأبنائهما القصر غير المتزوجين. وهذا هو تعريف الأسرة النووية بالمعنى الدقيق للكلمة ، ولو أن تعريفنا هذا للأسرة النووية لا ينبغى احتمال أن تضم تلك الأسرة أشخاصا آخرين عدا هؤلاء ، وذلك حسب ما تقضيه بعض الظروف المعينة أحيانا ، والتى قد تتضح من مناقشاتنا فيما بعد .

ولاشك أن سيطرة الطابع الفردى العام على الحياة الاجتماعية المعاصرة قد أحدثت تغيرات أساسية فى دورة حياة الأسرة النووية التى نتحدث عنها. وتبدو تلك التغيرات بشكل أوضح عندما نأخذ فى الاعتبار

انخفاض سن الزواج فى أيامنا هذه ولناخذ فى اعتبارنا -على سبيل المثال- متوسط سن الزواج فى الولايات المتحدة اليوم وهو 23 سنة بالنسبة للفتى و20 سنة بالنسبة للفتاة ،ونفترض بعد هذا أن أبناء هذين الزوجين سوف يتزوجان فى نفس العمر تقريبا .معنى هذا أن دورة حياة الأسر الكاملة سوف تستمر 25 سنة على الأكثر .

وتبدأ الأسرة دورة حياتها بعقد الزواج ، ثم تتقضى فترة معينة قد تطول أو تقصر (حسب عدد الأطفال الذين تنجبهم الأسرة) حيث تعود الأسرة لتقتصر مرة أخرى على الزوجين بعد خروج الأولاد والملاحظ هنا أنه كلما ازداد متوسط العمر فى المجتمع كلما طالت المدة الزمنية التى يقضيها الزوجان وحدهما- مع بعضهما- بعد انتهاء دورة حياة أسرتهما .

وتنتهى دورة حياة الأسرة -على أقصى الأحوال- فى اللحظة التى يبلغ فيها الأطفال مبلغ الكبار وينهون تعليمهم (أو إعدادهم المهنى) ويغادرون بيت الأسرة لكى ينشئوا لأنفسهم أسرا نووية جديدة . ومن هنا نقول بأن مصطلح "الأسرة الزوجية" له وجاهته من الناحية البنائية الصارمة ،من حيث إنه ينصب على ذلك الجانب من الأسرة الذى يحدد مدى استمرارها .

ولا يعنى انفصال الأولاد عن بيت الوالدين -بعد انتهاء دورة حياة الأسرة- أن الاتصال بينهما قد انقطع كلية (على خلاف ما كان يعتقد فى الماضى) . ولكن الاتصال الجديد يتصف ببعض السمات والخصائص التى تميزه عن المرحلة السابقة ،فالصلة بين الأبناء وآبائهم فى مرحلة ما بعد انتهاء دورة حياة الأسرة لم تعد مباشرة ولا شاملة بنفس القدر الذى كانت عليه فى الماضى ومن هنا تفقد الصلة القديمة كثافتها وشدتها كما تفقد انتظامها واتصالها .كذلك تتغير طبيعة العلاقة تغيرا جذريا ،فلم تعد العلاقة

بين الطرفين علاقة بين "والدين" و"أطفال" ولكنها علاقة من نوع جديد تم بين أشخاص متساوين فى الحقوق .وبذلك تظهر فى لحظة معينة من دورة حياة الأسرة عملية اختيار حاسمة تمس كيان تلك الأسرة الحديثة (26) .

2- مراحل دورة حياة الأسرة

الملاحظ أن مفهوم دورة حياة الأسرة Family Cycle قد ازداد أهمية فى الكتابات الحديثة عن الأسرة .ولا عجب فى ذلك لأنه أمكن من خلال هذا المفهوم أن ندرك أن معنى أو مضمون "الأسرة" يختلف من حالة لأخرى حسب نوع المرحلة الزمنية التى تعيشها تلك الأسرة .ولاشك أن هذا الفهم الجديد للأسرة يطرح علينا طائفة جديدة من المشكلات ، نذكر منها: -

- (أ) الزوجان الشابان بدون أطفال .
- (ب) الزوجان مع أطفالهما فى سن ما قبل المدرسة .
- (ج) الزوجان مع أطفال فى مرحلة المراهقة المبكرة .
- (د) الزوجان مع أطفال فى مرحلة المراهقة .
- (هـ) دخول الأسرة فى مرحلة ما بعد الوالدية ، حيث يبقى الأولاد الكبار فى البيت ،أو يكونوا قد غادروه بالفعل .ومن ثم يعود الزوجان وحيدين كما كانا فى البداية .
- (و) الزوجان يعيشان وحيدين إلى أن تحين وفاة أحد الزوجين .
- (ز) وعند وفاة احد الزوجين تطرأ حالة جديدة يمكن مواجهتها باحتمالات عديدة : إما معيشة الطرف الباقي على قيد الحياة وحيدا إلى أن يموت ،أو أن يتزوج من جديد أو ينتقل للإقامة مع أحد أولاده الكبار (أو ينتقل بين بيوت أولاده يقضى فى كل بيت منها فترة معينة) ،أو أن ينتقل

للإقامة فى احد بيوت رعاية المسنين (على نحو ما هو شائع فى المجتمعات الغربية المعاصرة).

ولاشك أن كل مرحلة من مراحل دورة حياة الأسرة تؤثر على حياة تلك الأسرة من نواح متعددة . وملاحظتنا هنا مأخوذة عن دراسات الأسرة الغربية ،حيث نجد على سبيل المثال أن مرحلة حياة الأسرة تحدد مكان سكن تلك الأسرة ،إذ نرى أن الأسرة الجديدة ذات الأطفال تفضل فى العادة السكن على أطراف المدن ،على حين نجد أن الأزواج الشبان بلا أطفال يفضلون فى العادة السكن فى قلب المدينة .

كذلك نلاحظ أن دورة حياة الأسرة لا تتغير حسب سن الزواج فحسب (فتطول إذا تأخر سن الزواج ،وتقصر إذا انخفض سن الزواج)،ولكنها تتحدد كذلك حسب عدد الأطفال (فتقصر فى حالة الأطفال الكثيرين،وتطول فى حالة عدد الأطفال القليل)،وحسب معدل تتابع إنجاب الأطفال (فتطول إذا طالت الفترات بين كل طفل وآخر ، وتقصر إذا أنجب الأطفال الواحد بعد الآخر مباشرة أو بفواصل قصيرة).

والوضع السائد فى الأسرة المتوسطة الأوربية أن دورة حياة الأسرة العادية تطول بسبب تأخر سن الزواج ،وتباعد الفاصل الزمنى بين كل طفل وآخر . كما دلت الشواهد فى الولايات المتحدة على أن دورة حياة الأسرة تقصر فى حالة إنجاب أطفال كثيرين ،وتطول فى حالة إنجاب عدد قليل من الأطفال . كما أتضح هناك أن تقارب الفواصل الزمنية بين إنجاب كل طفل وآخر يقصر من دورة حياة الأسرة الأمريكية .ولكن النتيجة العامة التى نخرج بها من ملاحظة تلك الحقائق أن حالة الأسرة لا تستمر واحدة أمد الحياة ،ولكنها تتغير حسب مراحل حياة الأسرة (27) .

3- التنظيم الداخلى للأسرة

يعتبر الانتشار النسبى للأسرة الزوجية أو الأسرة المركبة فى نظام الأسرة مظهرا هاما فى ديناميكية العلاقات الداخلية فى الأسرة .ونلاحظ أن الاكتفاء الذاتى الذى تتمتع به الأسرة الزوجة يحدد بدرجة كبيرة حق الأقارب فى التدخل فى الشؤون الخاصة للأسرة كما يحدد التزاماتهم نحوها .ويختلف هذا عن النمط السائد فى بعض الأسر المركبة عندما يعيش الزوج مع أسرة الزوجة وأخواتها وأزواجهن ويشترك الزوجان فى كثير من أنواع النشاط العام فى الأسرة الكبيرة .

ويبدو الاختلاف الشديد فى مسائل الطلاق فى هذه الأنماط ومشاكل الاستقرار .ونلاحظ أن الطلاق فى الحياة الحضرية بل وحتى مجرد الخلافات والشقاق بين الزوجين يتطلب جهودا باهظة ونفقات متعددة بالنسبة لرعاية الأطفال ،كما يؤثر فى المشاركة الاجتماعية والحياة الانفعالية للطرفين .أما انفصال أحد الكبار عن الأسرة الممتدة فلا يتطلب سوى إجراءات اقتصادية طفيفة ،وقدرة سريعة على استعادة التكيف وسرعة استقرار الأطفال حيث يقوم جميع الكبار فى الأسرة الممتدة بصورة ما بأدوار الآباء . ولما كان الحب بين الزوجين لا يختلف كثيرا عن الحب القائم بين جميع الكبار فى الأسرة المركبة فإن الصعاب تنتج عن تغير موضوع الحب والتوحد بالنسبة للفرد تصبح ضئيلة وتعتبر مجرد مرحلة انتقال (28) .

4- دورة نمو الجماعة المنزلية

طور فورتس Fortes هذا المفهوم ،حيث أدرك الحاجة إلى دمج المادة التاريخية فى نموذج الجماعة المنزلية الذى يتميز فى جوهره بالنموذج الساكن أو الأنى ،كما تستخدمه المدرسة البنائية الوظيفية فلما اكتشف فورتس

التباين فى أنماط بناء الجماعة المنزلية التى تنتمى إلى مجتمع معين فى لحظة معينة، ذهب إلى القول بأنه يمكن النظر إليها باعتبارها مراحل مختلفة فى دورة نمو ذات شكل واحد عام لكل مجتمع .

وبسبب العوامل الديموجرافية، والمراحل المختلفة فى عملية إعادة إنتاج الأسرة فسوف نجد أن نسبة معينة- ربما تكون ضئيلة- من الجماعات المنزلية هى التى تتفق مع النمط المثالى فى لحظة بعينها .

ويربط هذا النموذج دورة حياة الفرد ببناء الأسرة والجماعة المنزلية ومن ثم أصبح مفهوم دورة النمو جزءا من الإجراءات الأنثروبولوجية - المتفق عليها- فى تحليل بناء الجماعة المنزلية وأنساق القرابة. وعلى أية حالة فإن مفهوم دورة النمو لا يقدم تفسيراً كاملاً لكل أنماط التباين فى أشكال الجماعة المنزلة، فبعض أوجه التباين قد لا ترجع إلى مراحل فى دورة تكاثر الأسرة، ولكنها تعود إلى عمليات تغير تاريخية أدت إلى التأثير فى طريقة بناء الأسرة والجماعة المنزلية. وبالمثل قد لا يكون هناك نمط مثالى واحد، ولكن قد توجد عدة أنماط مثالية لتنظيم الجماعة المنزلية فى مجتمع ما على اعتبار أن الجماعات أو الشرائح الاجتماعية المختلفة قد تتباين فيما بينها فى المثل العليا والممارسات الخاصة بالأسرة والقرابة، أو لأن تلك الشرائح والجماعات قد تأثرت بصورة مختلفة بعمليات التغير الاجتماعى والثقافى⁽²⁹⁾.

5- مفهوم الخصوبة وعملية الإخصاب

تعنى الخصوبة Fertility القدرة على إنجاب الأطفال بالنسبة للمرأة خلال فترة خصوبتها التى تتراوح ما بين 15-45 سنة من عمرها ويمثل معدلات الإنجاب عدد المواليد لكل ألف امرأة فى سن الخصوبة .

أما الإخصاب Fertilization فهو يعنى اتحاد بين الحيوان المنوى Sperm والبويضة (Ovum) egg للأنثى ليكونا البويضة المخصبة والتي تتم فى قناة فالوب للأنثى .

كيف تتم عملية الإخصاب تعتبر الخلايا التناسلية الأنثوية (oocytes) والبويضات قبل النضج اكبر خلايا الجسم ، وتتطور فى مبايض الإناث حيث تستمر عملية النضج حتى سن البلوغ عندئذ يكون عدد خلايا البويضة قد وصل إلى ذروته عند ميلاد الأنثى ولا يمكن إنتاج خلايا جديدة ، رغم وجود ما يقرب من نصف مليون خلية فى كل مبيض ، وإن كان عدد الخلايا القابلة للإخصاب أقل كثيرا . وهناك عدد كاف من البويضات تكفى فترات الخصوبة فى كل شهر حتى تصل المرأة إلى مرحلة انقطاع الدورة فى الخمسين من العمر تقريبا ، وعلى النقيض يستمر إفراز البلايين من الخلايا المذكرة حتى سن متأخر من العمر ، وإن كان عدد الحيوانات المنوية وقدرتها على الإخصاب ينخفض بتقدم العمر ، وعدم القدرة على إتمام تلقيح ناجح . وهناك هرمونات تُفرز بواسطة الغدة النخامية الموجودة أسفل المخ تقوم بالتحكم فى الهرمونات الجنسية الموجودة بالدم والتي تفرزها بصورة أساسية خصية الرجل ومبايض الأنثى . وتستعد بطانة جدار الرحم لاستقبال الجنين بواسطة إشارات كيميائية تنطلق من المبيض إلى تيار الدم مما يؤدي إلى زيادة عدد الأوعية الدموية فى سطح بطانة الرحم المعد لانزراع البويضة فإذا لم يحدث الإخصاب تموت البويضة ، ويبدأ المبيض من جديد عملية الإعداد لإطلاق بويضة جديدة ثم يموت غشاء الرحم المفرط فيترف عندما تبدأ الدورة الشهرية . إما فى حالة حدوث إخصاب البويضة بواسطة حيوان منوى فى قناة فالوب ، عندئذ تمر البويضة المخصبة أوال (زيجوت) zygote إلى

الرحم فتجد مع غشاء الرحم الذى ينشئ مزيدا من الأوعية الدموية ، وهكذا يتم بناء المشيمة ،وهى العضو المتخصص فى تغذية الجنين وتتكون من أوعية دموية تدخل وتخرج من الجنين النامى، بينما تحمل أوعية الأم الدموية الغذاء والأكسجين إلى الجنين وتأخذ منه الفضلات وثانى أكسيد الكربون ومن ثم تقوم المشيمة بتزويد الجنين النامى بداخل الرحم بالوظائف التنفسية والغذائية التى تؤديها فيما بعد الرئتان والمعدة والأمعاء .وعندما تحدث الانقسامات الخلوية الجنينية ،وتنشأ أعضاء أولية يستطيع الجنين الحركة "داخل حمام سباحته الخاص " فى التجويف الرحمى "مع نبضات القلب دافعا الدم من خلايا المشيمة ليعود منها الدم محملا بالغذاء والأكسجين ، وبعد تسعة أشهر يكون الجنين قد اكتمل نموه استعدادا للولادة ،إذ لا تستطيع المشيمة مواصلة تغذية اى زيادة فى حجم الجنين ،ويتم إعطاء الإشارة لعملية الولادة فينقبض الرحم ،ويتسع عنقه ،ويندفع الطفل من خلال قناة الولادة إلى خارج المهبل ،حيث يتنفس أول نفس فى حياته ويتم قطع الحبل السرى (30).

أسئلة على الفصل الأول

- 1- ما مفهوم الأسرة وأهمية دراستها ؟
- 2- قارن بين مفهوم العائلة ومفهوم الأسرة ؟
- 3- ما هي مقومات قيام الأسرة ؟
- 4- ناقش دورة حياة الأسرة ؟

المراجع

- 1- محمد عاطف غيث وآخرون ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1979، ص 176.
- 2- شارلوت سيمور - سميث ، موسوعة علم الإنسان : المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية ، ترجمة/ محمد الجوهري وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص: 499.
- 3- المرجع السابق، ص 499.
- 4- المرجع السابق ، ص 499.
- 5- محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ص، 176 - 178.
- 6- شارلوت سيمور - سميث، مرجع سابق ، ص 95-97 .
- 7- المرجع السابق ، ص، 97- 99 .
- راجع أيضا : جوردون مارشال ، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمه : محمد محى الدين وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، ج2، 2001، ص ، 716-722 .
- 8- محمود حسن ، الأسرة ومشكلاتها ، دار النهضة العربية ، بيروت 1981، ص ، 7 .
- 9- محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ، ص ، 178.
- 10- المرجع السابق ، ص، 179.
- 11- المرجع السابق ، ص، 178-179 .
- راجع أيضا : دلال البزى وآخرون ، المرأة العربية الواقع والتصوير ، دار المرأة العربية نور ، ط1، القاهرة، 1995 .

- 12- المرجع السابق ، ص، 179.
- 13- المرجع السابق ، ص، 179.
- 14- شارلوت سيمور - سميث ، مرجع سابق ، ص، 99.
- 15- المرجع السابق ، ص، 99.
- 16- المرجع السابق ، ص، 19 .
- 17- إجلال إسماعيل حلمى ، محاضرات فى علم الاجتماع العائلى ، إخوان زريق،مصر الجديدة،1987،ص ص 7-8 .
- 18- المرجع السابق ، ص ص: 9-10 .
- 19- علياء شكرى ، الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة ، دار المعرفة الجامعية ، 1996، ص 174.
- 20- فاتن محمد شريف ، الرؤية المجتمعية للمرأة و الأسرة : دراسات فى الأنثروبولوجيا الإجتماعية ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2007،ص ص 57-58 .
- 21- المرجع السابق ، ص ص 58-59 .
- 22- علياء شكرى ، مرجع سابق ، ص ص 173-174 .
- 23- إجلال إسماعيل حلمى ، مرجع سابق ، ص ص 28-30.
- 24- المرجع السابق ، ص ص 30-31 .
- 25 - محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ص 179.
- 26- علياء شكرى ، مرجع سابق ، ص ص 165-166 .
- 27- المرجع السابق ، ص ص 166-168 .
- 28- محمود حسن ، مرجع سابق ، ص 7 .
- 29- شارلوت سيمور-سميث،مرجع سابق،ص ص 36-369 .

راجع أيضا : سناء الخولى ، الأسرة والحياة العائلية ، دار المعرفة الجامعية ،
2000، ص ص14-23 .
30- فاتن محمد شريف ، مرجع سابق، ص ص 314-315

الفصل الثاني المداخل النظرية في دراسة العائلة

مقدمه

أولاً : المداخل السوسيولوجية في دراسة الأسرة

1 - الأسرة الحديثة

2 - الأسرة النووية والأسرة الممتدة

3 - التصنيع والأسرة النووية

ثانياً : التغيير في المجتمع وانعكاساته علي الأسرة

ثالثاً : أهمية الأسرة في الإسلام

رابعاً : صلاح العائلة صلاح الأمة

مقدمه

بالرغم من أن هناك إجماعاً عالمياً علي أن الأسرة هي اللبنة الأساسية التي ينهض عليها بناء المجتمع، إلا أن التغيرات السريعة التي شهدتها عالمنا المعاصر قد جعل من الأسرة موضوعاً للجدل الفكري والفلسفي.

فقد تأثرت الأسرة - مثلها في ذلك مثل بقية مؤسسات المجتمع - بهذه التغيرات مما دفع المفكرين إلي تأمل التهديدات التي تشكلها أعباء الحضارة علي الأسرة. وذهب المفكرون في هذا الصدد مذاهب شتى تتراوح بين التشاؤم والتفاؤل. فالمتشائمون يذهبون إلي أن الأسرة المعاصرة علي شفا الانهيار لأنها تعيش في مأزق وتتحول بالتدريج إلي مؤسسة تخلو من العاطفة والدفء، بينما يذهب المتفائلون إلي أن الأسرة قد نجحت في أن تتكيف مع التغيرات وأنها تستمر في الوجود صلبة رغم ما حولها من أمواج عاتية.

ولعل هذه الاعتبارات ترسخ في أذهاننا منذ البداية صعوبة تحديد المداخل النظرية في دراسة الأسرة لما يكتنف ذلك من تداخل وتشابك واتساع قد يستعصي علي الحصر. فإذا القينا نظرة علي تاريخ دراسات الأسرة لألفينا ظاهرتين بارزتين:

الأولي: هي التقدم المطرد في صياغة أطر نظرية علمية وفي تطوير الأساليب المنهجية.

والثانية: الاختلاف الواضح في الزاوية التي ينظر منها إلي الأسرة، وهو اختلاف له وجهان: الوجه التاريخي حيث يطرح التقدم العلمي زوايا جديدة للنظر إلي الأسرة، والوجه الآني حيث تكشف كل مرحلة عن اختلاف

آني في وجهات النظر. وهكذا تشعبت المداخل النظرية وتداخلت أطرافها، واختلف الباحثون حول تصنيفها. ويفرض علينا ذلك أن نحدد موقفنا من هذه التصنيفات وأن نعتمد تصنيفاً ملائماً.

يقصد بالمدخل النظري Theoretical Approach المنطلق العام الذي نطل من خلاله على الظاهرة موضوع الدراسة، فهو يضم مجموعة من القضايا المترابطة (أو التصورات المترابطة) التي توجه رؤيتنا للظاهرة موضوع الدراسة. ويقترَب مفهوم المدخل النظري بهذا الاستخدام من مفهوم الإطار التصوري Conceptual Frame أو مفهوم الإطار المرجعي Frame General Theory of Reference. كما يقترَب من مفهوم النظرية العامة التي قد تشتق منها مجموعات من الافتراضات أو القضايا التي تشكل كل مجموعة منها نظرية وسطي Middle Range Theory

ولقد اختلف الباحثون في تحديد المداخل النظرية الأساسية في دراسة الأسرة. ففي عام 1960 حدد هيل وهانسن خمسة مداخل لدراسة الأسرة هي: المدخل البنائي الوظيفي، المدخل التفاعلي، المدخل الموقفي، والمدخل النظامي، والمدخل التطوري. وهذه هي المداخل التي تبناها كتاب كريستنن الشهير عن الأسرة. ولقد دمج برودريك هذه المداخل في ثلاثة فقط هي: المدخل البنائي الوظيفي، والمدخل التفاعلي، والمدخل التطوري. أما روس أشلمان Eshleman فقد حدد خمسة مداخل بمسميات مختلفة إلي حد ما هي: البنائية الوظيفية، ومداخل الصراع، والتفاعلية الرمزية، ونظرية التبادل، والنظرية التطورية.

بينما صنف محررو كتاب "النظريات المعاصرة حول الأسرة" مداخل دراسة الأسرة إلي: نظرية التبادل، ونظرية النسق، ونظرية الصراع، والنظرية التفاعلية الرمزية، والنظرية الفينومينولوجية. ولا يخلو تصنيف من تحيز. فالركون إلي تصنيف بذاته يعكس أولاً: مستوي ما قطعه العلم من تطور، وثانياً: رؤية ذاتية للحدود بين النظريات المختلفة⁽¹⁾.

أولاً: المداخل السوسيولوجية في دراسة الأسرة:

من أكثر الملاحظات صدقاً في هذا الصدد، أن المداخل الحديثة في دراسة الأسرة ليست جديدة كلية، وإنما تمتد جذورها في المداخل والنظريات القديمة، ولكنها مع ذلك تكشف عن نمو متزايد من حيث السلامة المنهجية وعمق التحقيق الأمبيرقي ودقة النتائج، وزيادة قيمتها العلمية التي تستند إلي وضوح الفروض وتنمية أدوات البحث إلي جانب الكفاءة الفنية والاتجاه نحو إثراء النظرية العلمية السوسيولوجية بوجه عام.

ومع ذلك فقد واجهت أبحاث الأسرة صعوبات كثيرة، أهمها رغبة الأسرة العادية في الحفاظ علي أسرارها وشئون حياتها الخاصة. علي الرغم من التغيير الذي يتزايد تأثيراً خلال السنوات القليلة الماضية، حيث ترحب أعداد تزداد نسبياً بالدراسة لإدراكها أهمية تطبيق نتائج البحوث علي ظروفها الخاصة. ويسير في خط مواز لهذا التقدم في الدراسة العلمية للأسرة، تقدم مماثل في تطبيق نتائج البحوث.

وقد استغرق دارسوا الأسرة وقتاً طويلاً قبل أن يدركوا وجهة النظر العلمية، وربما كان هذا الوقت أطول بالقياس إلي بعض العلوم الاجتماعية الأخرى، ولو أننا نعلم أن العلوم الاجتماعية كانت أبطأ في نموها العلمي من

العلوم البيولوجية أو الفيزيائية. إن ما يميز دراسات الأسرة في الوقت الحالي، مثل أي دراسات أخرى تجري في ميدان علم الاجتماع، هو زيادة الاهتمام بالمنهج العلمي حيث أصبح الاتجاه في هذه الدراسات يسير نحو استخدام عينات أكثر تمثيلاً وازدياد الاعتماد علي الإحصائيات في تحليل المادة مع زيادة مصاحبة في الاعتماد علي الملاحظة المباشرة في جمع المادة، علي الرغم من الاستبيانات التي مازالت أكثر الوسائل انتشاراً، مع ما فيها من مثالب. وهذا إلي جانب التأكيد المستمر علي اختيار الفروض الموضوعية نظرياً واتخاذ المواقف التحليلية ذات الطبيعة الإحصائية، ويلاحظ أن البناء المنهجي للنظرية أصبح يمثل اهتماماً رئيسياً في دراسات الأسرة في المرحلة التي بدأت حوالي 1950. وربما كان هذا الاهتمام بالنظرية هو الاتجاه الأكثر بروزاً في المرحلة الراهنة من تطور علم الاجتماع العائلي..

وقد تعددت المداخل السوسولوجية في دراسة الأسرة، ويمكن حصرها في خمسة مداخل رئيسية هي مدخل دراسة الأسرة كنظام، المدخل البنائي الوظيفي والمدخل التفاعلي، ومدخل دراسة الموقف، والمدخل التطوري. ويعتبر المدخل الأول أقدم المداخل ظهوراً، واتصف في البداية باتساع نطاقه واتجاهه الوصفي والأخلاقي. وقد استخدم هذا المنهج علماء الاجتماع والانثروبولوجيا. وعندما طبق علي الدراسات الأسرية اهتم بأصل النظام العائلي وتطوره، واجراء المقارنات عبر المكان والزمان. وقد اتجه الباحثون الذين يفضلون هذا المدخل (في السنوات الأخيرة) إلي التخلص من الأحكام القمية والاعتماد علي البحث مع التركيز علي الاختبار والتحليل الأمبريقي، إلا أن مركز الثقل ظل مع ذلك تاريخياً ومقارناً.

أما المدخل الثاني وهو البنائي الوظيفي فهو ينظر إلي الأسرة كنسق اجتماعي ذي أجزاء معينة يربط بينها التفاعل والاعتماد المتبادل. ومن المسائل الهامة التي تحظى باهتمام ملحوظ في هذا المدخل، دراسة عناصر النسق من زاوية أدائه لوظائفه تحقيقاً لبقاء النسق وتوازنه أو تعويقه للتكامل الوظيفي للنسق الكلي، كما يتركز الاهتمام علي العلاقات الداخلية للنسق العائلي، وعلي العلاقات بين الأسرة والأنساق الاجتماعية الأخرى.

هذا ويركز المدخلان الثالث والرابع "التفاعلي" و"دراسة الموقف" علي تفسير الظواهر الأسرية في ضوء العمليات الداخلية مثل: أداء الدور، وعلاقات المركز، ومشكلات الاتصال، واتخاذ القرارات، وبينما يهتم المدخل التفاعلي بصفة خاصة بالتفاعل في حد ذاته، يأخذ مدخل "الموقف" الأسرة كموقف اجتماعي يؤثر في السلوك، أي كمجموعة من المثيرات الخارجية بالنسبة لافراد الأسرة تمارس التأثير عليهم.

ويشترك المدخل التطوري (وهو أحدث هذه المداخل جميعاً) مع مدخلي التفاعل ودراسة الموقف في النظر إلي الأسرة كوحدة من شخصيات متفاعلة. إلا أنه لا ينطلق من التفاعل في حد ذاته ولا من السلوك المتأثر بالموقف، وإنما من دورة حياة الأسرة أو مراحل التطور التي تمر بها الأسرة وأفرادها⁽²⁾.

كما استعار علماء الأسرة الأوائل كثيراً من مفهومات علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropologists وخاصة تلك التي تتعلق بالقرابة Kinship والثقافة Culture فكثير من الدراسات التي تمت علي المجتمع المحلي، مثل دراسات Swansea "سوانسيا" التي قام بها ريموند

فيرث وزملائه، هي في الواقع دراسات انثروبولوجية حديثة تستخدم القرابة كمفهوم رئيسي.

وأن الثقافة كان لها أهمية خاصة، حيث تنتشر افتراضات الحتمية الثقافية في كتابات الأسرة علي سبيل المثال العلاقة بين الثقافة والتنشئة والثقافة والشخصية. وكذلك اثر التكنولوجيا - وهي جزء من الثقافة - علي إحداث التغيرات في الأسرة عن طريق توفير موانع الحمل، الغسالات، وسائل النقل والكثير من الاختراعات الأخرى.

فقد قام كل من مالينوفسكي Mlinawski وتلميذه راد كليف براون Rad Cliffe Brown ، واتباعهما في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن بتطوير نظرية وظيفية للثقافة وبخاصة للانثروبولوجيا الاجتماعية. بينما قام هربرت سبنسر Harbert Spencer في منتصف القرن التاسع عشر بوضع أساس النظرية الوظيفية للمجتمع، عندما طور نموذج عضوي للمجتمع. فقد شبه المجتمع بالكائن البيولوجي الذي يتكون من ابنية مختلفة، يرتبط كل منها بالأخر لتكون في النهاية كلا مترابطا. فأجزاء هذا الكائن يعتمد كل منها علي الأخر ولذلك فان التغيرات التي تحدث في عضو ما تؤدي إلي تغيرات أخرى في الأجزاء المختلفة. من هذا العرض - الذي صمم ليسهل فهم المجتمع، وظائفه وبنائه - إنما تصور لعلم الاجتماع علي أنه تحليل للمؤسسات بما فيها الأسرة، وعلاقاتها المتشابكة. فقد أوضح فريدريك لو بلاي Frederic Le Play وهو من علماء الاجتماع الأوائل المهتمين أساسا بالأسرة مستخدما النموذج الوظيفي للمجتمع أن العمال ليسوا فقط وحدات عمالية ولكن لهم اسر كما استطاع أن يثبت من خلال المعلومات الامبريقية التي جمعها من ستة دول أوربية أن خبرات الأسرة تؤثر علي أداء العمل ومن ثم علي الاقتصاد.

ومن هذه البدايات وغيرها نمت مجموعة من الآراء التي تؤكد علي الاعتماد المشترك بين الأسرة والعمل, مثال العلاقة بين الإحباط الوظيفي والسلوك المتغطرس في المنزل. وكذلك كيف أن الأسرة ترتبط بغيرها من المؤسسات الكبرى مثل النظام التعليمي.

إن الأسرة ليست مجرد مؤسسة, ولكن يمكن أن نعتبرها نظاما اجتماعيا أيضا ويضيف مدخل النظام الاجتماعي, علي الرغم من انحصارها داخل النظرية البنائية الوظيفية, ابعاد الفرد والدور إلي مفاهيم المجتمع والوظيفة السائدة في المدخل المؤسسي. ويرتبط الأفراد بغيرهم بعلاقات اجتماعية ويشاركونهم مجموعة من القيم التي تنتج عن توقعات السلوك المشترك. وهناك العديد من الأمثلة علي سبيل المثال عند معالجة الطفل المريض لا تقوم الأم بتقدير طريقة العلاج والدواء. بل يقوم الطبيب بتلك المهمة, فكل فرد يدرك حدود ومطالب دوره. وتمكننا التفرقة بين المؤسسة والنظام الاجتماعي, المجتمع والفرد, الوظيفة والدور من فهم الطبيعة الزوجية للأسرة: تلك التي تحافظ علي بناء المجتمع وتلبي مطالب الأفراد. كما تسهل الأسرة ومؤسسة الزواج التي تتم بها, الهدف الاجتماعي الخاص بإبدال السكان, ولكن الزواج كمدخل لنظام الأسرة يختص أيضا بدور الرضا الشخصي لهؤلاء المشاركين فيه. ويرى تالكوت بارسونز T. Parsons الذي طور هذه الأفكار, كجزء من نظرية نظام اجتماعي كبير أن يدرج كل شكل من أشكال المجتمع داخل خطة نظرية شاملة, ومعالجة الأسرة علي أنها البناء الذي يربط خبرات الفرد في أدواره بالأجزاء الأخرى للنظام الاجتماعي فعلي سبيل المثال يرتبط دور الأب كعائل للأسرة بالاقتصاد.⁽³⁾

وقد اعتمد كارل زيمرمان Carle Zimmerman في كتابه "الأسرة والحضارة". علي مادة تطورية مقارنة استقاها من المجتمعات المتخلفة وأنماط أخرى من المجتمعات وصولاً إلي المجتمعات المتقدمة. وقد اعتمد تحليله إلي أقصى حد علي ما يعرف باسم "التقاليد الغربية" التي ظهرت ابتداء من اليونان القديمة والتي امتدت خلال روما والعصور الوسطي حتى القرن العشرين في أمريكا. وقد التزم خلال الكتاب بفكرة هامة، وهي أنه توجد علاقة وثيقة بين طبيعة الأسرة وتنظيمها وبين طبيعة المجتمع الكبير. ولذلك فإن حدوث تغير في أحدهما يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع التغيرات في الآخر. ومعني ذلك أن الأسرة والمجتمع يتبادلان التأثير من حيث أنهما عوامل أو نتائج في مسيرة التغير العامة. إلا أنه يضيف إلي الأسرة نظامين آخرين هما (الكنيسة والحكومة) كمصدرين للتغير الاجتماعي، حيث يتنافسان مع الأسرة في التأثير علي العلاقات الأسرية.

وقد وجد زيمرمان من خلال تتبعه لتاريخ الغرب ثلاثة نماذج أسرية هي: نموذج أسرة الوصاية The Trustee Family ونموذج الأسرة العائلية The Atomistic Family والأسرة النووية The Domestic Family وتشتق "أسرة الوصاية" اسمها من الحقيقة القائلة بأن الأعضاء لا ينظر إليهم كأعضاء في الأسرة بل كأوصياء علي اسمها وأملكها ونسبها. والأسرة في حد ذاتها "خالدة" بعض النظر عن وجود الأفراد. وإلي جانب درجة عالية من "الأسرية" فليس هناك أي تصور لحقوق الأفراد أو أي تساؤل عن رفاهية الفرد ترتبط برفاهية الأسرة كجماعة.

وأسرة الوصاية لها سلطة كبيرة علي أفرادها، وتستمد سلطة الزوج أو الأب المطلقة من كونها قوة منبعثة من دوره كوصي علي الأسرة ومن

تحمله مسئوليتها. وتنظيم الأسرة في عشائر لتكون الدولة في نهاية الأمر. وعند تشكل الحكومة فإنها لا تتدخل في شئون الأسرة إلا نادرا. أما عضوية الأسرة فإنها تعتمد علي طقوس معينة. ويمكن للجماعة أن ترفض أو أن تقبل أعضاء جدد إلي جانب فرض قيود عديدة علي الطلاق, والنوع الوحيد المسموح به هو حق الزوج في طلاق زوجته إذا شعر أنها لا تتعاون في العمل علي تكامل الجماعة.

يأتي بعد ذلك في سلم تطور نظام الأسرة "الأسرة العائلية" وهي نوع متطور أو مشتق من أسرة الوصاية حيث تضعف سيطرة الأسرة علي أفرادها وتزداد سلطة الدولة التي تحد من حق الأسرة في معاقبة أفرادها. وتتهيئ الظروف لممارسة الحقوق الفردية لكي يتمكن أعضاء الأسرة من مواجهة سلطتها. ومع أن نظام العشيرة يميل إلي الاختفاء إلا أن الأسرة كوحدة تبقى قوية. علي الرغم من نمو فكرة الحقوق الفردية وإمكانات تحطيم القيود المفروضة علي الطلاق.⁽⁴⁾

أما "الأسرة النوواة" فهي علي النقيض من النوع الأول, حيث حلت الفردية محل الأسرية, وتناقصت قوة الأسرة وسلطتها إلي الحد الأدنى. وأصبحت الدولة أساسا منظمة لأفرادها, وإذا كانت التضحية بالنفس في سبيل أهداف الجماعة من السمات المميزة لأسرة الوصاية, فإن مذهب النفعية أو اللذة هو ما يميز الأسرة النوواة. وقد أصبح الزواج عقدا مدنيا, ليست له القدسية التي كانت له في الماضي مما جعل الطلاق أمرا شائعا وهذا إلي جانب أدلة أخرى علي تفشي الفردية مثل الحركات النسائية وعدم الرغبة في الإنجاب. ومشاكل الشباب. وكثير من الاضطرابات التي ترتبط بحياة الأسرة عامة.

ومن أجل هذا يري زيرمان أن الأسرة النوواة فقدت المقدره علي انجاز وظائف الأسرة الضرورية، ولم يعد بإمكانها إرضاء المتطلبات المتزايدة للفردية.

وقد انتهى زيرمان من تحليله لتطور نماذج الأسرة خلال تاريخ المجتمع الغربي منذ عام 1500ق.م حتى الآن، إلي أن التغيير الاجتماعي عامة وتغيير النسق الأسري يتفاعلان بصورة حتمية حيث يتبادلان موقع السبب والنتيجة، أما التغيير الاجتماعي في الوقت الحاضر فإنه يسير في طريق غير واضح، ويتنبأ كما يتنبأ الكثيرون بأن الحضارة الحديثة سوف تنهار كما انهارت الحضارات القديمة.

ويري زيرمان أن دورة التغيير مستمرة، لأن أسرة الوصاية تحمل في داخلها بذور انهيارها وتفككها. فبينما يتيح قانونها البدائي للعدالة قيام مجتمع منظم، ويزيد من تراكم الثروة، ويؤكد علي العمل الإنتاجي، إلا أن سلطتها المطلقة علي أفرادها تؤدي إلي سوء الاستعمال، فقد تظلم الزوجات، وقد يتعرض الأولاد للخطر أو يصبحون عرضة للطغيان والظلم، كما أن حقوق الأفراد قد تقمع بوجه عام. وهذا يؤدي إلي نشأة المنازعات بين الأسر. وبتطور المجتمع تتناقص قوة الجماعة القرابية الممتدة وتبدأ الأسرة العائلية في الظهور.

وتعتبر الأسرة العائلية أكثر الأنماط الأسرية شيوعا في المجتمعات الأكثر تحضرا، وقد أصبحت النمط السائد في المجتمع نتيجة لقوى وعوامل داخل الأسرة وخارجها. وقد كان السبب في ظهورها الرغبة في معاملة أكثر عدلا من جانب أعضاء الأسرة إلي جانب تأثيرات الحكومة والدين، وهي لذلك لا تشبه أسرة الوصاية، حيث انها لا تحمل داخلها بذور انهيارها. ولكن

التغيرات ما لبثت أن دقت بابها من الخارج، حيث بدأت نظم أخرى غيرها تحدد سلطتها. كما زادت القوانين التي تمنح الحقوق للأفراد.⁽⁵⁾

1 - الأسرة الحديثة

أ - دورة حياة الأسرة :

يصرف النظر عن العدد الضئيل من الأسر الممتدة في المجتمعات الصناعية المعاصرة يمكن القول بأن الأسرة الحديثة تقتصر في العادة على الزوجين وأبنائها القصر غير المتزوجين. وهذا هو تعريف الأسرة النووية بالمعنى الدقيق للكلمة، ولو أن تعريفنا هذا للأسرة النووية لا ينبغي احتمال أن تضم تلك الأسرة أشخاصاً آخرين عدا هؤلاء، وذلك حسب ما تقتضيه بعض الظروف المعينة أحياناً، والتي قد تتضح من مناقشاتنا فيما بعد.

ولا شك أن سيطرة الطابع الفردي العام على الحياة الاجتماعية المعاصرة قد أحدثت تغيرات أساسية في دورة حياة الأسرة النووية التي نتحدث عنها. وتبدو تلك التغيرات بشكل أوضح عندما نأخذ في الاعتبار انخفاض سن الزواج في أيامنا هذه ولنأخذ في اعتبارنا - على سبيل المثال - متوسط سن الزواج في الولايات المتحدة اليوم، وهو 23 سنة بالنسبة للشباب و20 سنة بالنسبة للفتاة، ونفترض بعد هذا أن أبناء هذين الزوجين سوف يتزوجان في نفس العمر تقريباً. معنى هذا أن دورة حياة الأسرة الكاملة سوف تستمر 25 سنة على الأكثر.

وتبدأ الأسرة دورة حياتها بعقد الزواج، ثم تنقضى فترة معينة قد تطول أو تقتصر (حسب عدد الأطفال الذين تتجهم الأسرة) حيث تعود الأسرة لتقتصر مرة أخرى على الزوجين بعد خروج الأولاد. والملاحظ هنا أنه كلما

ازداد متوسط العمر فى المجتمع كلما طالت المدة الزمنية التى يقتضيها الزوجان وحدهما- مع بعضهما- بعد انتهاء دورة حياة أسرتهما. وتنتهى دورة حياة الأسرة- على أقصى الأحوال- فى اللحظة التى يبلغ فيها الأطفال مبلغ الكبار، وينهون تعليمهم (أو إعدادهم المهني)، ويغادرون بيت الأسرة لكي ينشئوا لأنفسهم أسرا نووية جديدة. ومن هنا نقول بأن مصطلح "الأسرة الزوجية" له وجاهته من الناحية البنائية الصارمة، من حيث إنه ينصب على ذلك الجانب من الأسرة الذى يحدد مدى استمرارها. ولا يعنى انفصال الأولاد عن بيت الوالدين- بعد انتهاء دورة حياة الأسرة- أن الاتصال بينهما قد انقطع كلية (على خلاف ما كان يعتقد فى الماضى). ولكن الاتصال الجديد يتصف ببعض السمات والخصائص التى تميزه عن المرحلة السابقة، فالصلة بين الأبناء وأبائهم فى مرحلة ما بعد انتهاء دورة حياة الأسرة لم تعد مباشرة ولا شاملة بنفس القدر الذى كانت عليه فى الماضى ومن هنا تفقد الصلة القديمة كثافتها وشدتها كما تفقد انتظامها واتصالها. كذلك تتغير طبيعة العلاقة تغيرا جذريا، فلم تعد العلاقة بين الطرفين علاقة بين "والدين" و"أطفال" ولكنها علاقة من نوع جديد تتم بين أشخاص متساوين فى الحقوق. وبذلك تظهر فى لحظة معينة من دورة حياة الأسرة عملية اختيار حاسمة تمس كيان تلك الأسرة الحديثة.

ب- مراحل دورة حياة الأسرة:

الملاحظ أن مفهوم دورة حياة الأسرة Family cycle قد ازداد أهمية فى الكتابات الحديثة عن الأسرة. ولاعجب فى ذلك لأنه أمكن من خلال هذا المفهوم أن ندرك أن معنى أو مضمون "الأسرة" يختلف من حالة لأخرى حسب نوع المرحلة الزمنية التى تعيشها تلك الأسرة.⁽⁶⁾

والأسرة نسق اجتماعي يقوم على:

- 1 - معيشة رجل وامرأة أو أكثر معا في مكان مشترك.
- 2 - قيام علاقات جنسية يقرها الدين والمجتمع.
- 3 - إنجاب أطفال ورعايتهم.
- 4 - علاقات متينة تتسم بالخصوصية والاستمرار لفترة طويلة .
- 5 - سلسلة من الحقوق والواجبات (حقوق الزوج والزوجة والأولاد وواجباتهم إزاء بعضهم وإزاء الغير).

ولا تزيد الأسرة أساسها عن أنها جماعة انسانية صغيرة الحجم، تختلف عن أى جماعة أخرى فى أنها تقوم بطريقة قانونية أو شبه قانونية.. وفى تقارب أفرادها لدرجة عظيمة تجعل منهم كيانا موحدا.. وفى استمرارها لسنوات طويلة فى العادة.. وفى تألفها مع نسيج المجتمع كوحدة اجتماعية اقتصادية أساسية يقوم عليها المجتمع كله. وبالإضافة إلى أن الأسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع الذى تقوم فيه فإنها أيضا وحدة أساسية للمجتمع المتغير.. فكما أنها أساس الربط بين الفرد والجماعة فى المجتمع، فإنها أيضا أساس الربط بين جيل وجيل، فعن طريقها- من خلال التنشئة الاجتماعية- ينقل المجتمع ثقافته عبر الزمن، فهى بذلك بمثابة الغراء الذى يربط المجتمع زمنيا، وبمثابة الذاكرة التى تتجمع من خلالها خبرات الإنسان وعاداته وأعرافه وتقاليد ومهاراته ومبادئه وأساليبه لتبنى ثقافته التراكمية النامية.

والأسرة أنواع، فمن ناحية يمكن تصنيفها إلى نوعين أساسيين:

1- أسرة التوجيه، Family of orientation

2- أسرة الأنجاب، Family of procreation

فكل فرد فى المجتمع يمر أثناء حياته فى أسرتين على الأقل..
الأسرة التى يولد فيها وينمو إلى أن يصل إلى درجة النضج البدنى النفسى
والاقتصادى الذى يمكنه من أن يكون أسرة بنفسه فيتزوج وينجب ويوجه إلى
أن ينمو أولاده فينفصلون مكونين أسرة جديدة بالتالى وهكذا.
ومن ناحية أخرى يمكن تصنيف الأسرة إلى عدة أنواع:
النووية والمركبة والمشاركة والممتدة والعائلة والأسرة متعددة
الزوجات.

1- الأسرة النووية Nuclear Family

تتألف من الأب+ الأم بدون أولاد, أو الأب+ الأم+ الأولاد المعالين،
أو الأب+ الأم+ الأولاد غير المعالين (يعملون أو يمكنهم العمل).
وقد يكون هؤلاء وحدة اجتماعية اقتصادية- كما هو الحال فى الريف كما قد
يكونون وحدة اجتماعية فقط كما هو الحال فى الحضر.

2- الأسرة المركبة Compound Family

تتألف من الأب+ الأم+ الأولاد غير المتزوجين+ الأولاد
المتزوجين+ الأحفاد، كما قد يدخل فى هذه الأسرة أخ أو أخت مع أسرهم.
وفى هذه الحالة تكون هذه الأسرة وحدة اقتصادية واجتماعية نفس الوقت..
بمعنى أن جميع أفراد هذه الأسرة المركبة يعملون تحت إشراف الجد(أحياناً
الأخ الأكبر) الذى يملك وسيلة الإنتاج (أرض أو ورشة.. إلخ) وتنشط
نساءهم داخل المنزل وخارجه مع بقيادة الأم الكبيرة (رعاية الأبناء- طبخ-
العناية بالحيوانات والدواجن- إعداد الخبز- احضار الماء- غسل الملابس..
إلخ). فإذا انتفى هذا الشرط فإن الكيان لا يدخل تحت مفهوم الأسرة المركبة،
بمعنى أنه إذا اضطر أحد الشباب أن يتزوج ويبقى فى منزل أسرته أو أسرة

الزوجة لظروف أزمة السكن .. مستقلا فى حجرة أو أكثر..فإن تعريف الأسرة المركبة لا يندرج على هذا الوضع حيث أن الشباب فى هذه الحالة لا يعمل تحت سلطة الأب أو الجد ولكنه يعمل منفصلا فى مكان آخر.. وحيث أن الزوجة الشابة لا تنشط فى المنزل تحت قيادة الأم الكبيرة وإنما تعيش فى العادة وكأنها فى منزل مستقل معترضة على أى تدخل كان من جانب الأم الكبيرة وأن هادنتها فى بعض الأحيان.. قد يحدث أن تشترك أسرة الشاب أو الشابة مع أسرة الأب أو الأم فى بعض نواحي الحياة كأن تساهم الأسرة الصغيرة بمبلغ معين من المال فى مقابل المعيشة المشتركة الكاملة، ولكن هذا ينتهى فى أغلب الأحيان بانفصال الأسرة الجديدة وقيامها كوحدة مستقلة.⁽⁷⁾

هذا الشكل الطارئ على الحياة المصرية، والذى بدأ فى الظهور من جديد بعد استئصال أزمة الإسكان، لا يشكل بأى وضع عودة للأسرة الكبيرة حيث أن الظروف الاقتصادية- والاجتماعية بالتالى- التى كانت تحتم ظهور الأسرة المركبة فى طريقها للزوال.

3- الأسرة المشتركة Joint Family

تتألف من أب قد يكون له أولاد من زوجة سابقة+ أم قد يكون لها أولاد من زواج سابق+ أولادهما معا إذا وجدوا.. وهذا المفهوم لا يمتد بطبيعة الحال لى يغطى مجموعة من الأسر تسكن فى شقة مشتركة.

4- الأسرة الممتدة Extended Family

هى مجموعة من الأسر النووية الأقارب (الأخوة فى العادة) يسكنون فى مساكن منفصلة ولكن متجاورة فى أغلب الأحيان، ويكونون وحدة متلازمة ومستمرة عن طريق الاتصالات اليومية، وتبادل الخدمات، والأنتاف على أعمال المنزل، والتعاون فى المشتريات، والتشاور فى أمور كل أسرة

من الأسرة, والخروج معا إلى السوق, وقضاء وقت الفراغ معا, والتعاون الوثيق في مقابلة الحاجات المشتركة مثل رعاية الأطفال والمسنين والمرضى وغير ذلك من مظاهر التكافل الاجتماعي.. وبظهور وسائل الاتصال والمواصلات الحديثة (كالتليفون- السيارة) أصبح من الممكن أن تتكون أسر ممتدة بالمفهوم الموضح رغم بعدها بعضها عن بعض في المسكن بقدر ما.

5- العائلة Wider Family *

هي امتداد لمفهوم الأسرة المباشرة Immediate Family وأختصار لمفهوم العشيرة Clan وتتألف من الأخوة والآباء والأعمام والخالات وأولاد العم وأولاد الخال ومن في حكمهم والأصهار والأبناء.. يتقابلون في المناسبات كالزواج والأعياد والوفاة وزيارة المقابر.. إلخ, وينشطون في المصالح المشتركة مثل القضايا والأرث والأموال المشتركة.. إلخ.

6- الأسرة متعددة الزوجات Polygamous Family

تتألف من الأب + زوجاته + الأولاد.

علي أن هذا لا يعني أن الأسرة في مصر تأخذ وضعاً ثابتاً, فقد حدث تغيير كبير فيها بتغيير المجتمع من مجتمع قبلي إلى ريفي إلى مجتمع حضري حديث, فتحولت الأسرة من أسرة مركبة في إطار عائلة مترابطة إلى أسرة نووية مفردة مرورا بالأسرة الممتدة و الأسر المشتركة في بعض الأحيان.⁽⁸⁾

2- الأسرة النووية والأسرة الممتدة:

* لا توجد كلمة انجليزية مقابل كلمة العائلة بالوصف الموضح أعلاه, على أنه كثيرا ما يستخدم تعبير Family Immediate للإشارة إلى مفهوم الأسرة, كما يستخدم أحيانا تعبير Wider Family للإشارة إلى مفهوم العائلة .

يمكن القول بأن الكثرة الغالبة من علماء الاجتماع البارزين - خاصة من جيل الرواد - كانوا يميلون إلى الاعتقاد بأن الأسرة تتطور من أشكال كبيرة إلى ممتدة إلى أشكال أصغر فأصغر باستمرار. من هذا مثلاً، رأى دوركايم الذى كان يعتقد أن الأسرة أخذت فى ظل الثقافات الراقية القديمة تنقلص من أكبر أشكالها المعروفة إلى أشكال أصغر فأصغر. ولو أنه لم يستبعد احتمال بقاء بعض الأشكال القديمة فى فترات أحدث تاريخياً. وهكذا استطاع أولئك العلماء أن يحددوا الأنماط الأسرية التالية التى كانوا يعتقدون أنها كانت موجودة فى مجتمعات العالم القديم.

(أ) الجماعات القرابية الشديدة الاتساع، من ذلك النوع الذى كان موجوداً فى الإمبراطورية الرومانية القديمة.

(ب) الأسرة الكبيرة التى كانت تتكون من الإخوة وزوجاتهم وأولادهم الذين يعيشون معاً فى ظل حياة مشتركة لا تعرف تقسيم الميراث.

(ج) الأسرة الأبوية الكلاسيكية، وهى الأسرة التى تضم أجيالاً متعددة فى خط الذكور.

(د) أسرة الأب، وهى التى تتكون من الزوج والزوجة (أو الزوجات)، والأطفال القصر، والأقارب الذين يشاركون الأسرة حياتها لسبب أو لآخر.

فإذا قارنا هذه الأنماط الأسرية على أساس عدد الأفراد الداخلين فى تكوين كل منها، فسوف نصل بالضرورة تدريجياً مع اضطراد التطور الاجتماعى. إلى الأسرة الزوجية. وقد أطلق دوركايم على هذه الظاهرة

اسم "قانون تقلص حجم الأسرة" أو قانون التناقص Loi de Contraction وتتقسم التفسيرات التى قدمت لتعليل هذا التطور إلى قسمين رئيسيين هما:

(أ) التفسيرات البنائية.

(ب) التفسيرات التاريخية.

والملاحظ أن دوركايم فى تفسيره لتطور أشكال الأسرة قد لجأ إلى كل من التفسيرين دون أن يراعى بما فيه الكفاية اختلافهما عن بعضها اختلافاً أساسياً. فالتفسير البنائى ينطلق من قضية مؤداها أن كثافة العلاقات المتبادلة داخل أسرة الأب(وهى أقرب الأشكال السابقة للأسرة النووية) تنخفض عن كثافة تلك العلاقات فى الأشكال الأسرية السابقة. وهنا نلمس بوضوح أن دوركايم قد ركز على القضية المفضلة لديه، أعنى قضية التضامن Solidarite، وهو هنا التضامن الأسرى، أو درجة العماسك داخل الأسرة، وهى القضية التى عالجها فى دراسته عن الانتحار Suicibe . أما التفسير التاريخى فينطلق من فرض مؤدا، أن التتابع البنائى لتلك الأنماط الأسرية هو نتيجة تطور تاريخى فى اتجاه واحد(أو هو تطور خطى- Luieart لا عودة فيه إلى الوراء).⁽⁹⁾

وهنا تبدأ المشكلات وتثور الاعتراضات التى سنحاول أن نفصل الكلام فيها فما يلى. من الأمور المعروفة، والتى أشار إليها أكثر من دراس من المتخصصين فى الأسرة أنه ليس لدينا حتى الوقت الحاضر تأريخ سليم وشامل لنظام الأسرة يغطى مراحل تطورها منذ العصور القديمة حتى الوقت الحاضر. ولم يوجه المؤرخون بعامة، ولا علماء التاريخ الاجتماعى والتاريخ الاقتصادى عناية كافية لهذا الموضوع، اللهم بعض الاستثناءات القليلة. ولعل من أبرز الشواهد على نقص معلوماتنا التاريخية عن تطور الأسرة الانطباع الذى نخرج به من دراسة بانوس بارديس Panos Bardis من أن كلاً من العبريين، والإغريقين، والرومانيين القدماء والمسيحيين الأوائل.. إلخ، لم يكونوا يعرفون سوى نمط واحد من أنماط الأسرة. وهو تصور متخلف

بالقياس إلى تصورات دوركايم عن تطور الأسرة. إذ أنه من المؤكد أن كل مجتمع من المجتمعات المذكورة كان يعرف أكثر من نمط من أنماط الأسرة. ومن الواضح أن إدراك هذه الحقيقة البسيطة يفتح أمامنا الباب لعديد من التساؤلات عن النسبة العددية لكل نمط من تلك الأنماط بالنسبة لبعضها، وعن توزيع هذه الأنماط بالنسبة لطبقات كل مجتمع من تلك المجتمعات وعن عوامل الثقافة التي كانت تحكم كل نمط منها.. الخ.

وقد أشار رينيه كونيغ R. Konig إلى رأى أكده فى أكثر من مناسبة ورددّه بعده ويليام جود W. Goode مؤداه أن فهم هذا الوضع على حقيقته يتطلب منا أن نأخذ البناء الطبقي لأى مجتمع فى الاعتبار خاصة وأنه من الأمور الواضحة أن الأسرة النووية فى كل تلك الجمعيات كانت هى النمط السائد عند الطبقات الدنيا، على حين أن الأشكال المختلفة للأسرة الممتدة كانت قاصرة على الطبقات العليا أساساً. (وذلك على فرض ألا تكون الطبقات الدنيا- كالأرقاء-مثلا-محرومة من حق الزواج).⁽¹⁰⁾

فبالأسرة الممتدة تشكل نمطا شائعا فى المجتمعات البدائية والمجتمعات غير الصناعية، وهذه الأسرة عبارة عن جماعة متضامنة الملكية فيها عامة والسلطة فيها لرئيس الأسرة أو الجد الأكبر، أو بعض آخر هى الجماعة التى تتكون من عدد من الاسر المرتبطة، سواء كان النسب فيها إلى الرجل أو المرأة، ويقيمون فى مسكن واحد، وهى لا تختلف كثيرا عن الاسرة المركبة أو العائلة.

والعائلة هذه أو الاسرة الممتدة توجد فى القرية أكثر مما توجد فى المدن، حيث ترتبط الاسر وتترابط فيما بينهما حيث إن انتماءهم يكون لجد واحد.

أما الأسرة النوواة فتعتبر الان ظاهرة اجتماعية عالمية- وترجع عالمية الاسرة النوواة إلى الوظائف الاساسية التي تؤديها والمشكلات التي قد تترتب على قيام جماعة أخرى بهذه الوظائف- ويمكننا ان نلمس أربعة وظائف أساسية تؤديها الأسرة النووية للحياة الاجتماعية الانسانية هي الوظائف: "الجنسية والاقتصادية والتناسلية والتربوية". ويمكننا أيضا التمييز بين هذه الوظائف الاجتماعية والسيكولوجية التي تؤديها الاسرة النووية. فلقد ميز كنجزلى دافيز بين أربعة وظائف اجتماعية أساسية هي: التناسل والرعاية للأطفال والصغار والوضع والتنشئة الاجتماعية. ومن بين الوظائف نجدوظيفتين الاوليين والوظيفة الرابعة تحتل الأهمية الكبرى، ذلك لأن وظيفة الوضع التي تعنى ربط الفرد بنسق مهني أو تسلسل رئاسي ليست وظيفة عالمية للأسرة النووية فهي توجد فقط في المجتمعات الصناعية الحديثة، أما الوظائف السيكولوجية فتتمثل أساسا في اشباع الحاجات الجنسية للزوجين، ثم تحقيق الامان العاطفي للزوجين والاطفال على السواء.

ويستند البناء الأساسي للأسرة النووية على مبدأ تحريم الزواج من المحارم ويترتب على ذلك نتيجة هامة هي أن الاسرة النووية لا تستمر عبر الزمان بل انها تقتصر على جيلين. أما الجيل الثالث فيمكن أن يظهر فقط عندما تتشكل أسر جديدة عن طريق تبادل ذكور واناث الاسر النووية القائمة، ومعنى ذلك أن كل راشد طبيعي في كل مجتمع ينتمي لأسرتين نوويتين على الأقل: اسرة التوجيه التي يولد فيها ويرتبي بها والتي تضم أباه وأمه وأخوته وأخواته، وأسرة التناسل التي يقيمها بزواجه والتي تشمل زوجته وأولاده.

وتعد الأسرة النووية المستقلة خاصة هامة من خصائص المجتمعات الصناعية الحديثة ويعود شيوع هذه الأسرة إلى عدد من العوامل أهمها

سيطرة النزعة الفردية التي انعكست على كثير من المظاهر كالملكية والقانون والأفكار الاجتماعية العامة المتعلقة بسعادة الفرد ورضائه الذاتى، كما يعود إلى شدة كل من الحراك الجغرافى والاجتماعى.⁽¹¹⁾

وينقلنا هذا الرأى إلى ضرورة رؤية الموضوع من منظور مختلف، حيث إننا نتساءل عن تجاوز أشكال مختلفة من الأسرة فى فترات معينة من حياة كل مجتمع بدلا من التساؤل عن عمومية الأسرة النووية فى إطار الأسرة الممتدة، على نحو ما يفعل ميردوك Murdock أو بوتومور Bottomore على سبيل المثال فالفكرة لم تعد الآن كما لو كان نمط معين (يتحول) على نحو ما إلى نمط آخر، دون أن يتخلف عن النمط أى آثار. وإنما أصبح محور الاهتمام فى حالة الاعتقاد بوجود أنماط متنوعة متجاوزة، هو الجوانب البنائية والثقافية لهذا النمط أو ذاك، كذلك مظاهر تقارب الأنماط المختلفة أو تباعدها، أى امتزاجها ببعضها أو انفصالها واستقلالها عن بعضها البعض. ويمكن أن نلاحظ بعض هذه الظواهر بشكل واضح عند المجتمعات التى تتعرض لتحولات سريعة. حيث تؤدى أسباب مختلفة إلى تقلص الأسرة الممتدة من الطبقات العليا سريعا، دون أن يؤدى ذلك إلى اختفاء النظام القانونى للأسرة الممتدة نفسها. وهنا تقترب أشكال الأسرة فى الطبقات العليا من شكل الأسرة النووية السائد عند الطبقات الدنيا بحيث يستعصى على الباحث موضوعيا أن يميز هذا الشكل الجديد عن الشكل القديم. وبهذا يحدث نوع من التقارب بين نمطين من أنماط الأسرة كانا مختلفين فى الأصل. فيتكون بذلك نمط جديد يكون هو الشكل السائد عند غالبية المجتمع. وهذا فى الوقت الذى توجد فيه فى نفس هذا المجتمع أسر ممتدة طالما أنها تحقق وظيفة معينة، كالحفاظ على ثروة الأسرة مثلا فى يد

واحدة. وبذلك تتحول هذه الأسرة إلى أقلية وسط المجتمع الكبير وتفقد أهميتها الثقافية، ولكنها يمكن مع ذلك أن تظل قائمة كمجتمعات غير رسمية حتى بعد اختفاء القواعد القانونية التي تنظمها، كما هو الوضع على سبيل المثال فى معظم المجتمعات الغربية فى أوروبا وأمريكا الشمالية. على حين نجدها قد اختلفت اختفاء كاملاً فى المجتمعات الاشتراكية (بالطبع بسبب فقدانها الوظيفة التى تبرر وجودها). ولو أنه ليس من المستبعد تماماً أنها ربما تعاود الظهور من جديد فى يوم ما بما بعد تلقائياً إذا ما تغيرت الظروف الموضوعية.

ومهما يكن اختلافنا على تصوير التفاصيل الدقيقة. فإن النقطة الحاسمة فى مناقشتنا هى أن التحليل البنائى الوظيفى قد حل محل النظرية التى تقول "بترسب" بعض الأشكال القديمة كتفسير لتجاوز أكثر من شكل من أشكال الأسرة فى مجتمع واحد فى فترة معينة. على أن هذا التحليل البنائى الوظيفى لم يعد اليوم يربط الأسرة بالمجتمع الكبير ككيان واحد، وإنما ينظر إليها فى ضوء الطبقة الاجتماعية على اعتبار أن الضرورات الاجتماعية والأسس الموضوعية تختلف - اختلافاً قد يكون كبيراً - من طبقة لأخر. وبذلك تستطيع أن تفسر تجاوز عدة أنماط أسرية مختلفة فى أى مجتمع طبقي مركب تفسيراً بنائياً وظيفياً.

وبديهى أن هناك بعض حالات "الترسب" التى قد تكون غير وظيفية من وجهة نظر هذا التفسير. ولكننا يجب أن نسأل أنفسنا فى هذه الحالة إلى أى مدى يمكن أن يظل أحد النظم غير وظيفى دون أن يتحول إلى نظام غير سوى وظيفياً dysfunction كما أنه يمكن أن يكون وظيفياً ظاهرياً فقط دون أن يؤدي وظيفة حقيقية، كأن يكون مصدرًا لإضفاء هوية اجتماعية، أو إكساب صاحبه اعترافاً اجتماعياً معيناً، على الرغم من أن الجميع يعرفون تماماً أنه

لا يؤدي أى وظيفة فعلية(كنظام النبلاء بألقابهم وأعرافهم فى معظم البلاد الأوربية المعاصرة). وكن القاعدة تظل على أى حال أن هناك أشكالاً متباينة من الأسرة, وأنها تختلف تبعاً للبناء الطبقي للمجتمع.

أما عن "التقلص" Contraction بالمعنى المحدد فإننا لايمكن أن نتكلم عنه إلا بالنسبة للأسر الممتدة التى تقلص حجمها. على حين نجد أن الأسر النووية عند الطبقات الدنيا لم تتعرض طوال تلك الفترة لأى تغير على الإطلاق. أو يحتمل فى حالات معينة أن يحدث تطور مضاد لفكرة التقلص, وأعنى أنه يرتفع مستوى الأسرة الاجتماعى وتتحول إلى أسرة ممتدة على النحو ما أوضح رينيه كونيج R. Konig فى مقاله الهام "مشكلات قديمة ونظريات جديدة فى علم الاجتماع العائلي". معنى هذا من الناحية البنائية أن التطور الذى حدث مضاد تماماً لحركة التقلص, التى يعبر عنها قانون دوركايم. ثم معنى هذا تاريخياً, عكس التسلسل التاريخى المزعوم.⁽¹²⁾

الأسرة النووية- والتى يعتبرها البعض نهاية المطاف- لقد تأثرت بالهجرات الداخلية والخارجية فليس غريباً علينا أن نرى أسرة بعض أفرادها فى أسوان والبعض الآخر فى القاهرة أو الاسكندرية.. وليس عجباً أن نرى أسرة بعضها فى مصر والبعض الآخر فى البلدان العربية.. هذا, وأن كان يبدو وكأنه شئ طارئ إلا أن الدراسات الدولية المقارنة فى هذا المجال توحي بأن هذا الوضع سوف يستمر بل ويزداد فتنشأ بذلك أسرة نووية من نوع جديد يتسم أفرادها بالفردية المطلقة.. وتتراخى العلاقات بين أفراد الأسرة.. وينشأ تعاون من نوع جديد.. تعاون طوعى بين وحدات مستقلة.. لا تعاون قصرى تفرضه ظروف الإنتاج المشترك.⁽¹³⁾

وهكذا يمكن أن نخلص إلى أنه ليس هناك مبرر للقول بحدوث تطور خطى مستقيم من أشكال أسرية صغيرة، ولعل الأصواب - ولكنه ليس قاعدة أيضاً - الاعتقاد بأن هذا التطور اتخذ شكلاً "إيقاعياً" معيناً بل ودائرياً في بعض الأحيان، يخضع لظروف معينة بالنسبة لكل مجتمع، وهى ظروف يجب الوقوف عليها وتحديدها فى كل حالة.

فمن الظروف التى تشجع على وجود الأسرة الممتدة: العزلة السياسية والجغرافية، وضعف نظام الدولة، وبعض الظروف الاقتصادية المحددة (مثل تربية قطعان كبيرة من الماشية والملكية الجماعية للأرض) ثم هناك من ناحية أخرى عوامل تشجع على تقلص حجم الأسرة نذكر منها: زيادة حق الأب الذى خفض الأسرة الكبيرة فى الحجم ووصل بها إلى الأسرة الأبوية الكلاسيكية وزيادة الملكية المنقولة (لأنها تيسر عملية تقسم الإرث)، ونمو التجارة ونمو النمرعة الفردية. لهذا نجد أن المؤرخين يستطيعون فى بعض الأحيان التدليل على تحول الأسرة الكبيرة إلى أسر صغيرة والتدليل فى أحيان أخرى على التطور العكسى، وأعنى التكون التلقائى لأسر ممتدة جديدة. ثم يختلف عن هذا كله ظواهر التقارب والامتزاج بين النمطين الرئيسيين، والتي أشرنا إلى طرق منها فيما سبق. ثم علينا علاوة على هذا كله أن نتوقع وجود مستويات مختلفة، متجاورة معا فى بعض المجتمعات، كالقبيلة والفخذ والعشيرة والعائلة الكبيرة والأسرة النووية. إذ من الخطأ فى هذه الأحوال أيضاً اشتقاق مستوى من مستوى آخر أو ترتيب مستوى على مستوى آخر. هذه الجماعات عبارة عن جماعات تعبر عن انتماءات مختلفة بحيث يبرز الانتماء إلى أحدهما فى ظرف معين أو يتخلى عن هذا الانتماء فى ظرف آخر. (14)

3- التصنيع والأسرة النووية:

من أبرز الأسباب التي يعزو إليها الباحثون تقلص الأشكال الممتدة من الأسرة سببان يرتبطان ببعضهما ارتباطاً عضوياً إلى حد ما، هما التصنيع والتحضر. غير أن البحوث الحديثة قد ألفت أضواءً جديدة على طبيعة هذه العلاقة وأبعادها المختلفة بحيث أننا نجد بعض الدارسين مثل وليام جود W. Goode يطلب مراجعة كاملة للآراء السائدة حول هذا الموضوع. والعجيب أنه لم يكن أى من علماء الاجتماع يجروا منذ ثلاثين عاماً مضت على التشكك فى هذه العلاقة، أو على التفكير فى تعديلها بحال من الأحوال. وسنشير فيما يلى على عجل إلى أبرز وجهات النظر الحديثة التى تفرض عليها مراجعة هذه القضية مراجعة شاملة.

فهناك فى المقام الأول معلومات كشف عنها متخصصون فى التاريخ الاجتماعى توضع تفكك الأسر الريفية فى كثير من الأحيان بسبب حقوق الإرث إلى جماعات أصغر فأصغر. وقد حدث هذا فى وقت لم يكن فيه للتصنيع أى أثر بعد.

كما دلت بعض المعلومات التاريخية على وجود علاقة متناقضة بين الأسرة النووية والتحضر، حيث اتضح أن الأسرة الممتدة كانت أكثر فى المدن بالذات، كما تميزت الفترة المبكرة من الرأسمالية، أو كما تسمى الرأسمالية، بالدور القيادى البارز الذى لعبته مختلف أشكال الأسرة الممتدة فى تنمية الرأسمالية، وقد أشار بعض الباحثين إلى هذه التناقض مثل ويليام جود الذى كتب يقول "إن أكثر الأسر نجاحاً فى ظل النظام الصناعى والحضرى هى بالتحديد تلك الأسر التى كانت أبعد ما تكون من نمط الأسر الزوجية التى يعتقد أنها أكثر أنماط الأسرة تواءماً مع التصنيع" كذلك أشار رينيه كونيج

R. Konig إلى نفس الحقيقة قبل هذا التاريخ بنحو عشر سنوات حينما كتب يقول:

"من الواضح أن التغيرات الأساسية في البناء الأسرى قد حدثت قبل ظهور التصنيع بوقت طويل". ويفسر كونيج رأيه هذا بالتغيرات التي أثرت على النظام الزراعي مثل بدء استخدام الخيول بدلاً من الثيران من العمل الزراعي في يوغسلافيا خلال القرن التاسع عشر. فقد أثر التطور بشكل عنيف على الأسرة الزراعية الكبيرة "الزادروجا Zadruga" فأدى إلى تفككها. ذلك أن قدرة الحصان الفائقة بالقياس إلى الثيران. على العمل قد جعلت فلاحه نفس المساحة من الأرض تحتاج إلى عدد من الرجال أقل كثيراً من العديد الذي كان يفلحها من قبل.⁽¹⁵⁾

ثانياً- التغيرات في المجتمع وانعكاساته على الأسرة

1- حدثت تغيرات كثيرة في المجتمع المصري في الفترة

1952-1980:

(أ) أدى الضيق والقلق الذي انتاب الشعب المصري إبان حكم الملك فاروق إلى قيام الشعب بعدة حركات مضادة للحكم القائم. كان آخرها حريق القاهرة في يناير 1952. وفي هذا المناخ. الذي تحول إلى غضب عام، قام الجيش بثورة 23 يوليو 1952 معبراً عن إرادة شعبية شبه إجماعية.

(ب) أصدر مجلس قيادة الثورة قوانين الإصلاح الزراعي، وأعطى هذا دفعة لقضية عدالة توزيع الأراضي، كما أعطى المواطنين شعوراً عاماً بالإطئنان على مستقبلهم ومستقبل أولادهم وإحساساً بأن الوطن للجميع لا للقلّة المحظوظة.

(ج) تسارعت حركة التصنيع بمعدلات كبيرة جعلت من الصناعة ركناً أساسياً في الاقتصاد القومى.

(د) صدر عدد من القوانين الاشتراكية لحماية الفئات محدودة الدخل فى الريف والحضر، ولعل أهمها قوانين الأجور والدعم وحق المواطنين فى العمل.

(هـ) تخلصت مصر من كل أنواع التبعية السياسية الاقتصادية، لا بطرد المستعمر فحسب، ولكن بالتخلص من التبعية للشرق أو للغرب، ويتمصير الاقتصادى المصرى.

(و) تزايد البترول فى البلدان العربية، فتزايدت بذلك هجرة المواطنين المصريين إلى البلدان العربية.

(ز) تسارعت معدلات النمو فى التعليم، وخاصة تعليم البنات، وأصبح التعليم مجانياً فى جميع المراحل.

(ح) انتقلت مصر إلى عصر الإنفتاح الاقتصادى والثورة الاستهلاكية فى بداية السبعينيات.

(ط) اشتركت مصر فى عدد من الحروب.

(ى) اتسع المد الدينى مما كان له أثره على الشباب وعلى الدولة.⁽¹⁶⁾

ثالثاً- أهمية الاسرة فى الاسلام:

لقيت الاسرة اهتمام القرآن الكريم على عدة أسس ثابتة أهمها:

1- وحدة الاصل والمنشأ: فجميع أفراد الاسرة من اصل واحد، وأن

الرجل والمرأة من منشأ واحد. وجاءت الآية الكريمة مؤكداً لذلك: "يا أيها الناس

اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً

كثيراً ونساء"، وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة".

2- **المودة والرحمة:** فمن اهداف الاسرة تحقيق المودة والرحمة لاقامة مجتمع قوى متماسك فاضل "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا". "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا". "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن".

3- **العدالة والمساواة:** فقد وزع القرآن الكريم الحقوق والواجبات على كل فرد من افراد الاسرة بالعدالة والمساواة، وذلك فى قوله تعالى، "ولهن مثل الذي عليهن بالمعرف". وقوله تعالى "من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون"

4- **التكافل الاجتماعى:** حيث ينظر القرآن الكريم للأسرة على أنها مجموعة مترامنة تقوم على أساس التعاون بين جميع أفرادها وعلى هذا الاعتبار شرعت احكام النفقات والميراث والوصية: بقوله تعالى "ليس البران تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل".

ومن خلال الآيات البيئات والسنة النبوية وما استنبطه الفقهاء من احكام، تتحدد الحقوق والواجبات لكل من الزوجين التى يجب أن تكون واضحة حتى تستقيم حياة الاسرة. ولذلك اهتم القرآن الكريم باحكام الاسرة، حيث وردت معظمها حول الميراث والزواج والطلاق والوصية مفصلة غير مجملة. وذلك فيما عدا الأمور التى من شأنها أن تتغير وتتبدل بحيث جاءت احكامها فى القرآن مجملة بمبادئ عامة وقواعد كلية وترك للزمّن امر تطورها وتطبيقها مثل احكام المعاملات ونظام الحكم..... وغير ذلك. ولقد

ربط الاسلام احكام الاسرة بالعقيدة. ووصف الزواج بأنه من آيات الله, وشواهد قدرته وعظمته, وجعل الزوجة كالزوج فى الحقوق والواجبات, الا ما جاء النص على خلاف ذلك فى اصل المساواة, فحق الزوج على زوجته الطاعة وحققها عليه النفقة كما جاءت احكام الاسرة فى القرآن الكريم مقسمة لنوعين: احكام خلقية ودينية, واحكام واقعية قضائية الزامية. وجعل احكام الاسرة وحدة متكاملة واحاطها باطار يمنع الاعتداء عليها بمخالفة احكامها او المس من كرامتها وسمعتها, فشرع من القواعد ما يكون وقاية لها, وما يكون علاجاً, وما فيه التحذير والتوجيه والارشاد. ولم يكتف القرآن الكريم بجعل الضمير والوازع الدينى رقيباً وحده وكفيلاً لتطبيق احكام الاسرة, بل اعطى للقاضى ممثل المجتمع الحق فى الاشراف والتوجيه لحسن تطبيق هذه الأنظمة لأنه يجب أن نفرق دائماً بين هذه التشريعات كنظام وبين واقع المسلمين كتطبيق.⁽¹⁷⁾

وإذا كان ما سبق يوضح بعض الأسس التى بينها القرآن الكريم, فان تأكيد الاسلام على أهمية الاسرة جاء تأكيداً لما تحققه الاسرة من اهداف اجتماعية واقتصادية وخلقية وصحية وسياسية وروحية. ويتمثل الهدف الاجتماعى من تكوين الاسرة فى تحقيقها لتماسك المجتمع وترابطه وتوثيق الأخوة بين افراده وجماعاته وشعوبه بالمصاهرة والنسب. فقد حث الاسلام على الزواج من الغرائب لانه يحقق ما لا يتحقق بزواج ذوى القربى. فالمرأة الغربية يكون الزواج منها سبباً فى ايجاد صلات جديدة لم تكن قائمة من قبل بين العائلات والقبائل وبين الشعوب والأجناس, وبالتالي يزداد المجتمع الاسلامى قوة واخوة.

ويأتى الهدف الاقتصادي لتكوين الأسرة من قول الرسول(عليه الصلاة والسلام) "تزوجوا النساء فأنهن يأتين بالمال" والمعنى أن الزواج من اسباب البركة فالزواج عاصما للنفوس من الخواطر ويرتفع بالمستوى الاقتصادي للزوجين ويعينهما على تقوى الله. ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وللأسرة أثر في نهضة الأمة ورفع مستواها فهي نتيجة طبيعية لتوفر الأيدي العاملة اللازمة لا ستصلاح الاراضى واستثمار الموارد واستخراج الثروات الطبيعية. وفي كل هذا وغيره قوة للأمة وتحقيق الاكتفاء الذاتى لا احتياجاتها وحماية لها من سيطرة الأعداء عليها.

أما الهدف الخلقى فينحصر فى اعتبار الأسرة وسيلة فعالة لحماية الشباب والنساء ووقاية للمجتمع من الفوضى, باعتبارها الوسيلة الوحيدة لاقامة العلاقات الزوجية. ومن الناحية الصحية يهدف الاسلام الى صيانة صحة الشباب وقوتهم من أن تستنفذها العادات الضارة وما يترتب عليها من انهيارات جسمانية ومعنوية لا تخفى خطورتها او ان تفتك بها الامراض الخبيثة. "ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط الا اصابهم الطاعون والابواء التى لم تكن فى أسلافهم".

وينظر الإسلام إلى تكوين الأسرة كوسيلة لتحقيق اهداف سياسية لها اثرها فى عزة الامة وسيادتها فقد بدأت الجماعة الاسلامية كقطرة فى بحر بالنسبة لقوى الشرك, ثم استجاب المؤمنون للتوجيه النبوى, "تناكحوا تناسلوا فاني أباهى بكم الأمم يوم القيامة" وكان التكاثر فى النسل من أهم العوامل التى حفظت للقلة المؤمنة كيانها وعاونتها على البقاء. كما ينظر الاسلام الى بناء الأسرة باعتبارها خير وسيلة لتهديب النفوس وتنمية الفضائل الانسانية اذ

تقوم الحياة فى محيطها على التراجم والتعاطف والتعاون فى اداء الواجبات. (18)

رابعاً- صلاح العائلة صلاح الأمة:

يتحدث أحمد لطفى السيد فى مقاله له عن أسس الاختيار فى الزواج فى العائلة المصرية فى زمانه، وهى القاعدة التى تبنى عليه العائلة، ومن ثم المجتمع بأسره. لأن الأسرة هى أساس المجتمع ولبنته الأولى.

ونراه هنا يقارن بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري مفضلاً أسس الاختيار للزواج فى المجتمع الريفي، وكذلك نمط العلاقات الزوجية، والعائلية فيه، مبرراً لرأية بمبررات واقعية ومنطقية.

كما أنه يتناول فى هذا المقال أهمية التعليم والمساواة بالنسبة للبنات، وضرورة المساواة بينها وبين أخيها فى التنشئة والتربية. ورأيه فى حجاب المرأة وسفورها.

يقول أحمد لطفى السيد فى مقالته هذه إذا رأيت العائلة المصرية ولحظت علاقات الزوجية خصوصاً فى الطبقة التى عقد بها الرجاء لترقى البلاد. وإذا رأيت فوق ذلك هذه الأزمة الفاشية فى سوق الزواج بين الشبان والشابات. إذا رأيت كل ذلك، حكمت أن علينا واجبات لا آخر لها، وجهادا شديدا وطويلا فى إصلاح حالنا الاجتماعية. وإنما يجب علينا أن نستخدم جميع القوى التى ندفع بها حريتنا الشخصية وحريتنا السياسية فى إصلاح حالنا العائلية. لأن نجاحنا فى الأولى، يتوقف دائما على نسبة تقدمنا فى الثانية. لا تتألف الأمة من الأفراد المجردة، بل هى تتألف من العائلات.

كنا نصبح أشد رجاء وأسعد حظا لو كانت العائلات المعول عليها فى رقى لأمة هى تلك العائلات الفلاحية التى ليس فيها بين الزوج والزوجة من

الفروق, إلا تلك الفروق الطبيعية أو الشرعية, التي لا مناص منها. ولكن مع الأسف إن السنة المطردة في نظام العالم تجعل هذه العائلات الفقيرة لا تحدث في جمعية الأمة أثرا إلا وراء العائلات الأخرى. عائلات الطبقة العليا. والطبقة الوسطى من الأمة. على أن هذه العائلات الفقيرة أو عائلات العمال في بلادنا, هي في الحقيقة قريبة في نظامها من المعقول لأنها مؤسسة على جانب عظيم من المحبة والتسامح والشعور بالمساواة بين الزوج وزوجته.

يرى الشاب الفلاح ابنة جار أبيه في البيت أو الغيط, أو يلمح ابنة نزيل عندهم في القرية أو ابنة أحد أقارب أو أصحاب أبيه أو غيرهم في بلد أخرى. يلمح هذه أو تلك فيبتدرها بالسلام. يسلم عليها باسمها من غير كلفة, وهي كذلك ترد السلام عليه باسمه, ثم يتحادثان كما يتحادث الأخ مع أخته. ثم يكون من بعد ذلك أن يجد الشاب في هذه البنت الصورة المرسومة في ذهنه من المرأة التي يبتغيها له شريكة في الحياة, فيخطبها له أبوه. وهكذا هي العامة. إلا ما شذ منها في العائلة التي يكون رئيسها غليظ القلب, جافى الطبع, يزوج ابنته كرها لمنفعة يرتجيبها. أو فخر يحلم به. أو يزوج ابنه بمن لا يحبها, لأنه يجب إرضاء مطمح له أيضا. ولقد علم الناس أن مثل هذا التصرف يأتي دائما على نتيجة تناقص ما في حساب الآباء, فكفوا عنه الآن كثيرا. وليست هذه الأمثلة في الواقع إلا شواذ من القاعدة العامة التي هي أن الشاب الفلاح والشابة الفلاحية, يتزوج كلاهما بعد ميل خاص وجاذبية حقيقية. إذا أخطأ الشاب في اختياره أو أخطأت الشابة في اختيارها. فخطؤهما شخصي خاص بهما لا بد لنظام الجمعية فيه, ولا مسئولية على النظام إلا في أنه لم يعط هذه الشبيبة الفلاحية من العلم قسطها, حتى يحسن اختيارها.

أما الطبقة الوسطى من الأمة, وهم طبقة الذين يحجبون نساءهم فى المدن, والموسرين فى القرى, الذين يقلدون أهل المدن فى حجب النساء, فتأليف العائلة عندهم مضحك. وشر البلية ما يضحك.

تخطب السيدة المصونة, والجوهرة المكنونة, على الطريقة التى نعرفها جميعا. لعبة فى علة. لا يشترط فيها إلا أن تروى عنها السيدات المكنونات أيضا ما شئن من الجمال الذى لا يعرفن له معنى, إلا السُمن والبياض. والأدب الذى لا يعرفن له صورة, إلا غض الطرف ووضع اليدين بانتظام على الركبتين كتماثيل سقارة. ثم تنقل هذه الشابة التى عقدت عقدها إلى بيت زوجها كما تنقا البضاعة الذى حصل اتفاق المتعاقدين عليها عقدا عاما, ليس فيه شرط. ولا خيار عيب.⁽¹⁹⁾

أسئلة على الفصل الثاني

- 1- ما أهم المداخل السوسيولوجية لدراسة الأسرة ؟
- 2- ما الفرق بين الأسرة النووية والأسرة الممتدة ؟
- 3- ما علاقة التصنيع والتقدم التكنولوجي بتغير نمط الأسرة ؟
- 4- ما أهمية الأسرة في الإسلام ؟

المراجع

- 1- أحمد زايد, فى علياء شكرى(اشراف), الأسرة والطفولة: دراسات اجتماعية وأنتروبولوجيه, ط1, دار المعرفة الجامعية, ب.ت, ص ص6-7.
- 2 - سناء الخولى, الزواج والعلاقات الأسرية, دار المعرفة الجامعية, ب.ت, ص ص 351 - 353.
- 3 - السيد رشاد غنيم, فى السيد عبد العاطى وآخرون, الأسرة والمجتمع, دار المعرفة الجامعية, 1998, ص ص 342 - 344.
- 4- سناء الخولى, مرجع سابق. ص ص 354- 355.
- 5- المرجع السابق, ص 356.
- 6- علياء شكرى, الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة, دار المعارف, ط2, 1981, ص ص 165 - 166.
- 7- المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية, المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى 1952- 1980, القاهرة, 1985, ص ص 133-134.
- راجع: ساميه الساعات, علم اجتماع المرأة: رؤية معاصرة لأهم قضاياها, مكتبة الأسرة, 2003, ص ص 15-25.
- 8- المرجع السابق, ص 135.
- 9- علياء شكرى, الاتجاهات المعاصرة, مرجع سابق, ص ص 194-195.
- راجع: على الطراح, التنشئة الاجتماعية وقيم الذكوره فى المجتمع الكويتي, مجلة العلوم الاجتماعيه, الكويت, صيف, 2000, ص ص 71-94.
- 10- المرجع السابق, ص 196.
- 11- السيد عبد العاطى وآخرون, مرجع سابق, ص ص 9-10.

- 12- علياء شكرى، الاتجاهات المعاصرة...، مرجع سابق، ص ص 197-198.
- راجع أيضا علياء شكرى(اشراف)، دراسات في علم الاجتماع العائلى، دار المعرفة الجامعية، 1991، ص ص 115-122.
- 13- المركز القومى للبحوث الاجتماعية، مرجع سابق، ص 136.
- 14- علياء شكرى، الاتجاهات المعاصرة...، مرجع سابق، ص 199.
- 15- المرجع السابق، ص ص 200-201.
- 16- المركز القومى للبحوث الاجتماعى والجنائيه، مرجع سابق، ص 137.
- راجع، محمد أحمد بيومى، المشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعيه، 1993، ص ص 113 - 125.
- راجع أيضا: سهير لطفى (اشراف) وآخرون، الأسرة المعيشيه والانفاق الاجتماعى: والواقع والتطلعات، دراسة مسحية بالعينة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائيه، القاهرة، 2000.
- 17- غريب سيد أحمد(وآخرون)، دراسات فى علم الاجتماع العائلى، دار المعرفة الجامعيه، 1995، ص ص 196 - 297.
- 18- المرجع السابق، ص 298.
- 19- ساميه الساعاتى، علم اجتماع المرأة: رؤية معاصرة لأهم قضاياها، مكتبة الأسرة، 2003، ص ص 176 - 177.

الفصل الثالث الزواج وتكوين العائلة

مقدمة

أولاً : نشأة الأسرة وأهميتها

1 - لماذا يتزوج الناس : الأسباب والتطلعات

2 - التأكيد علي أهمية الزواج

3 - السن عند الزواج

ثانياً : تعريف الأسرة وتطورها

1 - العلاقة بين الزوجين ونظرية التكامل

2 - توقعات الدور والتوافق في الزواج

3 - علاقة الأب بالأبناء

4 - مهام الزواج

5 - أشكال الزواج

مقدمه

الأسرة Family من أهم وأعرق الجماعات الأساسية في بنايات المجتمعات الإنسانية . لها وظائف ثابتة نسبيا - رغم ما عصف به التغيير من الوظائف الأخرى . فهي المكان الاجتماعي للإنجاب وبعض الإشباعات العاطفية والإنسانية الأخرى . وإذا كانت البحوث السوسولوجية والسيكولوجية الجادة قد بينت أن أنماط الأسرة وأشكالها البنائية , وعلاقتها ووظائفها , تشابكت وتفاعلت مع سيرورة التطور الاجتماعي الاقتصادي المتفاوت في عمقه وإيقاعاته , فجعلت أسر عدد كبير من المجتمعات تنتقل من الشكل البنائي الموسع أو الممتد Extended إلى الشكل البسيط أو الصغير " النواة " Nuclear , الذي نقلها في الوقت نفسه من وحدة اجتماعية اقتصادية ثقافية ذات وظائف شاملة ومتكاملة أو تكاد , إلى جماعة شبه متخصصة في الإنجاب والتنشئة المبكرة , حيث آلت وظائفها الأخرى إلى مؤسسات ومنظمات أخرى , تربوية وتعليمية وإعلامية واقتصادية و إلخ . كما أكدت تلك البحوث أن الحاجة الفردية والجماعية والمجتمعية , لأدوار الأسرة ووظائفها تكون أكثر إلحاحا غالبا - كلما انحسرت في المجتمع المحدد فرص إعداد البشر وإشباع حاجاتهم الأساسية , وتمكينهم من مقدراتهم, أي كلما انحسرت فرص تحقق الأمان النفسي والاجتماعي , الفردي والجماعي , عبر كفاءة وكفاية ما يسمى بشبكات الأمان الاجتماعي . Safety Nets .

وإذا كانت العولمة قد غيرت وعلي نحو شبه عميق وشامل وسريع في كثير من أبعاد أو أصعدة المجتمعات الإنسانية , الاقتصادية والسياسية والثقافية , فقد كانت تلك التغييرات أكثر تجسدا علي مستوي الأسرة , فذهب

بعض الباحثين , إلي أنك إذا أردت أن تفهم أوضاع بنية اجتماعية علي نحو بليغ وسريع فعليك بدراسة أوضاع الأسرة وأحوالها فيه , في علاقاتها بمواقعها الطبقية المحددة لفرصها الاجتماعية , وفي سياق مجتمعاتها المحلية, بدوية كانت أو ريفية أو حضرية , خاصة ما يحتضنه هذا السياق من قيم ومعايير ومفردات متنوعة لتوجيه الاختيارات الفردية والجماعية .

ولعل من بين أهم التغيرات العامة - رغم الاعتراف بوجود استثناءات في هذا المجتمع أو ذاك - مايلي .

أ - تغيرت الأشكال البنائية للأسرة , - وكانت مستعدة لهذا - واتجهت في معظمها إلي الشكل الصغير الذي كاد أن يختزل في الزوجين والأبناء الذين يعيشون مع الأسرة , ولفترات تكاد تتحدد في مرحلة ما قبل المراهقة . وإذا كان هذا قد حدث في المجتمعات الصناعية الغربية , فمن المحتمل أن تتزايد فرص حدوثها في المجتمعات الأخرى . وإن كان بأشكال ومستويات متباينة تدخل ثقافتها طرفا فيها . ففي الحالة العربية حتى مع سكني الأبناء بعد الزواج في وحدات مستقلة وشبه مستقلة , إلا أن ثمة علاقات بينهم وبين الآباء تكاد ترتبط بمدي حاجة الآباء والأبناء لبعضهم البعض, وهو ما جعل البعض يفترض وجود شكل ممتد معدل , لا يرتبط بالضرورة بالسكني المشتركة , وإنما بالتفاعلات الممتدة عبر المكان.

ب - حدث تفكيك Deconstruction في العلاقات والتفاعلات الأسرية نتيجة لتفاعل وتداول مجموعة من العوامل: منها تقلص أوقات التفاعلات الأسرية , نتيجة لانشغال أحد الأبوين أو هما معا بمشاغل تستغرق أوقاتا أطول من النهار , وأيضا غياب أحدهما لهجرته خارج النطاق المكاني لإقامة الأسرة - هجرة داخلية أو خارجية - وحتى في حال وجود أعضاء

الأسرة معا, فقد صاحب التغيير في وسائل الاتصال والإعلام عزلة نسبية لأفراد الأسرة لمشاهدة التلفزيون أو التعامل مع الحاسب الآلي وشبكة المعلومات أو الانشغال بالهاتف الجوال إلخ , ويعني هذا بروز الفردية والخصوصية في مواجهة الجماعي والمشارك علي مستوى الأسرة. لقد حدا هذا ببعض الباحثين إلي افتراض أن بعض الأسر , من المواقع الوسطي والعليا, أضحت مؤسسات "إيواء ليلي" لأعضائها.

ت - لقد تفاعل مع ما سبق توتر في علاقات بعض الأسر - يخشي من تزايد في الأحوال العربية - يصل أحيانا إلي صراعات في القيم بين الأجيال , وصراعات في الأدوار علي مستوي النوع Gender وصراعات بين المصالح الفردية , تكشف عنها تزايد حالات العنف الأسري , الرمزي والمادي , وأحيانا حالات الانفصال النفسي والاجتماعي داخل " دار الأسرة " تصل ذروتها بالطلاق .

ث - برزت مشكلات نفسية واجتماعية لأعضاء من الأسر : اغتراب الشباب , نتيجة لعدم التكافؤ بين ثورة التطلعات والمفاهيم والقيم التي يتزايد دور الاتصالات الكوكبية في كثافتها وبين الفرص المتاحة لإنجاز الأهداف . ولعل من بين مظاهر هذا الغبن الواقع علي الشباب اغتراب فقدان القوة Powerlessness نتيجة للانفصال المتزايد بين ما حصله من تعليم وبين المتطلبات السريعة التغيير والتجدد لأسواق العمل , والذي تدلل عليه زيادة معدلات البطالة ومن ثم تأثير تلك البطالة علي فرص الحراك الجيلي Generational Mobility وأيضا الفجوة بين النضج النفسي والاجتماعي وإحاح الحاجة للإشباع ذات الصلة , واتساع المدى الزمني لفرص إشباعها والذي يدل عليه من بين أدلة أخرى - تأخر سن الزواج , بل

والإحجام عنه لدي فئات ذات وعي نوعي بضرورة الزواج وتكوين الأسرة . كما برزت بعض مشكلات المرأة , نتيجة لتنامي أفكار ومفاهيم تحريرها وتمكينها وانتشارها عبر وسائل عدة , وبين واقعها اليومي المباشر . هذا فضلا عن تزايد وطأة مسألة المعمرين أو كبار السن نتيجة لارتفاع معدلات الأعمار , في مقابل مشكلات أسرية متنامية في الدخل والسكن وتنامي القيم المادية الفردية.(1)

أولا : نشأة الأسرية وأهميتها

تنشأ الأسر بخطوة لها كيان تصوري في ذهن الناس يطلق عليها اسم "الزواج" ويعطي المجتمع هذه الخطوة قدرا كبيرا من الأهمية فيتشاور ويرتب ويفاضل ثم يقرر , ويجتمع الأهل والأصدقاء للاحتفال بالمناسبة ويعلن الجميع أن الزواج قد تم , وأن في قدرة العروسين ممارسة حياتهم كوحدة مستقلة باعتراف المجتمع وتباريكه, ولكي يتم زواج رجل وامرأة فانهما يكتبان عقدا - يشهد عليه الشهود- يتعهدان فيه ضمنا برعاية بعضهما البعض ويتعهدان برعاية أولادها , ويتم الزواج - إلا في حالات نادرة لا يقرها المجتمع المصري عامة - عن طريق عقد مسجل بين رجل وامرأة تضمنه الحكومة بقوانينها ويضمنه المجتمع بأعرافه وتقاليده , ويضع هذا العقد كلا من الطرفين تحت مسؤولية المعيشة المشتركة والعلاقة الدائمة بينهما . وفي جميع أنحاء العالم تحاول المجتمعات بتقاليدها وأعرافها وإحساساتها تدعيم الزواج بكل الطرق المختلفة حتى تنتج عنه أسرة ناجحة .. ومن هنا كانت المراحل والخطوات التي تمر بها كل زوجة .

تبدأ العملية بالتعارف ثم الخطبة والشبكة.. وفي هذه المرحلة تعتبر الوعود التي يقدمها كل طرف لرفيقه ارتباطات هامة وملزمة لدرجة أنه من

الممكن أن يقع الطلاق بعد الزواج لعدم وفاء أحد الطرفين بما وعد به في هذه المرحلة , وتنتهي هذه المرحلة بكتب الكتاب (الزواج الرسمي) ثم الدخلة (الزواج الفعلي) بعد إعداد بيت الزوجية.

ويتزوج الناس لأغراض مختلفة منها الأمان الاقتصادي العاطفي والرغبة في الإنجاب والحاجة إلي الصحبة, كما قد يتزوج الناس في بعض الأحيان لأغراض أخرى مثل تحسين المركز الأدبي, أو الحاجة إلي الرعاية الصحية.. الخ. ولقد نظم المجتمع نفسه بطريقة تجعل الزواج أمرا ضروريا وحتميا ويكاد يكون إجباريا في المجتمع المصري حيث يعتبر عدم زواج البنات في أغلب المجتمعات المصرية وصمة .

ويضع القانون في مصر بعض الحدود للزواج مثل "الحد الأدنى للسن عند الزواج" فحدد للفتي 18 عاما وللفتاة 16 عاما كما نص علي ضرورة تسجيل العقد.

ولا يعترف القانون كذلك بالعقد العرفي بالنسبة للزوج أو الزوجة وإن كان يعترف ببنوة الأطفال الناتجين عن مثل هذا الزواج (نسبهم إلي الأب).

ويتم الزواج في أنحاء مختلفة من العالم بطرق مختلفة, ففي بعض الجهات لابد للمجتمع من قصة حب قبل الزواج, بينما تحرم مجتمعات أخرى الزوجات عن مثل هذا الشعور ويعتبر ذلك خارجا عن الآداب والتقاليد في هذه المجتمعات الأخيرة يعتقد الناس أن الزواج يكون ناجحا إذا كانت لدي الزوج القدرة علي الإنفاق علي زوجته, وإذا كانت الزوجة قادرة علي رعاية البيت, وإذا كان الاثنان قادرين علي إنجاب الأطفال ورعايتهم. وبين هذا وذاك (وجود علاقة حب قبل الزواج أو تحريم وجودها) متصل تتوزع عليه

طرق الزواج في المجتمعات المختلفة, فبعضها يعترف بالحب في حدود, وبعضها يقبل الحب غير المعلن, بينما لا تزال كثير من المجتمعات ترى أن في ذلك مساسا بكرامة الأسرة بل وبشرفها في بعض الأحيان. ولا يخرج المجتمع المصري عن هذا الإطار العام وان كانت العلاقة بين الفتى والفتاة مازالت غير مباحة إلا في حدود في أغلب المجتمعات المصرية , وعلي الأخص في الطبقات المتوسطة في المدن وذات الدخل المرتفع في الريف.

وتمارس المجتمعات المختلفة ألوانا متنوعة من الزواج, فتمارس أغلب المجتمعات الزواج الفردي أو الأحادي Monogamy بينما تسمح مجتمعات أخرى بشكل من أشكال التعدد Polygamy فإذا تزوج رجل بأكثر من زوجة أطلق علي هذا التعددي الذكري Polygany أما إذا تزوجت امرأة بأكثر من رجل سمي هذا الزواج التعددي الأنثوي Polyandry (غير موجود في مصر) وينتشر في مصر الزواج الأحادي مع بقاء ظاهرة الزواج التعددي الذكري بنسبة محدودة.

قلنا أن القانون - حماية للأسرة - أوجب ألا يقل سن الزواج عند العقد عن 18 عاما بالنسبة للرجل وعن 16 عاما بالنسبة للمرأة.. ولو تابعنا الوضع في مصر نجد أن هناك ارتفاعا مستمرا في سن الزواج لكل من الذكور والإناث, وقد يرجع هذا إلي انتشار التعليم وتأخر النضج الاقتصادي بالنسبة لكل من الذكر والأنثى, وقد يرجع أيضا إلي ارتفاع تكاليف المعيشة وتفشي أزمة الإسكان وإصرار الزوجين علي المعيشة المستقلة.

وبنظرة عامة, يمكن القول بأن الزواج المبكر بالنسبة للرجل (قبل الثلاثين) هو الأمر الشائع في مصر, وأن الزواج المبكر للفتاة مازال شائعا وخاصة في الريف, ففي عام 1952 كان متوسط سن الزواج للفتى حوالي

25 سنة وللفتاة حوالي 20 سنة وفي عام 1980 أصبح المتوسط حوالي 29 سنة للفتي و22 سنة للفتاة كما يمكن القول بأن زواج الرجل بأكثر من واحدة أخذ في النقصان بين المتعلمين حتى أنه يكاد يختفي في الزواج بأكثر من زوجتين. (2)

أما الآن فأصبح سن الزواج يتجاوز في المتوسط 35 سنة للفتي و30 سنة للفتاة .

1 - لماذا يتزوج الناس : الأسباب والتطلعات

لا يحدث الزواج بصورة طبيعية تلقائية, كما أنه ليس نتاجاً لأنماط سلوكية وراثية وهي التي تسمى أحياناً بالغررائز Instincts, بل إنه نظام Institution, أي أنه يشمل مجموعة متناسقة من العادات والتقاليد , والاتجاهات والأفكار فضلاً عن التعريفات الاجتماعية والقانونية . وهكذا فإن الغريزة الجنسية ليست سوي واحدة من العوامل الجوهرية التي تقوم عليها , ومعنى ذلك أن الزواج يعني أكثر من الاستجابة النظامية لدوافع الجنس, لأنه إذا كان الزواج والتزاوج يعنيان شيئاً واحداً فإنه لا مجال لمعنى الشرعية, فالناس يتزاوجون وهم أيضاً يتزوجون, إلا أنه في حالة الزواج تلعب الغريزة دوراً ثانوياً نسبياً. إذن إذا كان الناس لا يتزوجون بسبب الغرائز , فلماذا يتزوجون؟.

يتزوج الناس لأسباب عديدة, منها: تبادل الحب مع شخص آخر, والبحث عن الأمن الاقتصادي والمنزل المستقل, وإنجاب الأطفال, وتحقيق الأمن العاطفي, والاستجابة لرغبات الوالدين, والهروب من الوحدة أو من منزل الوالدين أو من موقف غير مرغوب فيه أو الحصول على المال والرفقة, أو الجاذبية الجنسية, أو طلباً للحماية والشهرة, أو الوصول إلي

وضع اجتماعي معين, أو الوفاء بالجميل أو الشفقة أو النكايّة أو المغامرة , واهتمامات أخرى عديدة لا نهاية لها . وفي بعض الحالات عندما يفشل ما في الحب , أو يفسخ خطبته أو يعاني من تجربة مؤلمة مشابهة لذلك , فإنه يحول عاطفته من الحب الأول إلى حب ثان , ويشعر نحو هذا الثاني نفس شعوره نحو الأول حتى لو كان الثاني مختلفاً عنه تماماً , وحتى لو كان لا يعرفه فترة كافية يبادلها أثناءها الحب فهو في هذه الحالة يختار قبل أن يكون قد استعاد توازنه العاطفي , ويمكن اعتبار مثل هذا الزواج رد فعل مباشر وتلقائي للتعثّر أو الأزمة التي مر بها .

ويلاحظ أن بعض الزيجات تحدث نتيجة لضغوط مختلفة تبعاً للظروف , إلا أن هذه الضغوط لم تعد بالصورة التي كانت عليها في الماضي , فلم يعد مقبولاً الآن الضغط على الشباب لكي يتزوجوا . بالإضافة إلى أنه في بعض الحالات يتزوج الناس لأن معظم أصدقائهم تزوجوا ولا يرغبون في البقاء بمفردهم دون زواج .

وعموماً فإن الناس يتزوجون لأن الزواج هو النمط الاجتماعي الذي يجد قبولاً واسعاً ومشروعية لإقامة علاقة بين الجنسين . فاقترار ممارسة الجنس مع شخص واحد كنوع من العفة والنقاء , والتعاون من أجل الإبقاء على الحياة , والوالدية , والحياة المنزلية والقيم المتشابهة , كل هذا يجذب الأفراد نحو الزواج . ولهذا يبحث كل فرد عن الزواج الذي يلائمه ويرضيه , كما يفشل الكثيرون في الحصول على الزواج الذي يستطيعون الاستمرار في احتماله , ولكن بين هذين الطرفين المتناقضين يوجد ملايين الأشخاص يحصلون على نمط من الزواج يعتبر بالنسبة لهم أفضل من أي بديل حتى وإن لم يصل إلى النموذج المثالي.⁽³⁾

ومع أن الزواج ليس محددًا بمواعيد إلا أن الدراسات الإحصائية في مصر تشير إلى إقبال الناس علي الزواج في أوقات معينة من السنة مثل الأعياد والمناسبات الدينية والعطلات الصيفية , كما أنها ترتبط بمواسم جني المحاصيل في الريف .. ويحجم المسلمون عن الزواج في شهر رمضان علي سبيل المثال , كما يحجم المسيحيون عن الزواج في أيام الصوم , ويبدو أن الأمر ليس قاصرا علي مواسم معينة في السنة وإنما يفضل الناس الزواج في أيام معينة في الأسبوع تختلف بين الريف والحضر فيتزوج الناس في المدن أيام الخميس والأحد بينما يتزوجون في الريف أيام الجمعة أو الخميس أو السبت.

(بهذا الترتيب) ومن ناحية اختيار الزوج لزوجته يختلف الوضع من الريف إلي الحضر, فالثقافة الريفية توفر الالتقاء بين الذكور الإناث, ولم تكن هناك في يوم ما صعوبة لشباب الريف في اختيار الزوجة - وللوالدين دور كبير في هذا الاختيار في العادة - أما في الثقافة الحضرية فالأمر مختلف كل الاختلاف فقد اتجه الشباب في هذا المجتمع إلي الاعتماد علي نفسه في الاختيار دون الرجوع إلي الوالدين إلا للمشورة أو مجرد التعريف في بعض الأحيان, ويحدث التعارف في المصنع أو في الجامعة أو في النادي , والواقع المصري يقول بأن الاختيار الحر يكاد يكون هو الأسلوب السائد الآن في القرية والمدينة وأن عمليات الفرض والإجبار قد انحسرت بشكل يكاد يكون تاما - خاصة في ظل ثورة الاتصالات - وأن الزواج المرتب لأسباب اقتصادية أو اجتماعية في طريقه للاختفاء أما من ناحية القرابة فلا يزال كثير من الرجال والنساء (حوالي النصف) يتزوجون من أقاربهم.⁽⁴⁾

ويفضل الزوج في زوجته صفات معينة فعند سؤال بعض الآباء الحضريين (بحث ميداني) رتب هؤلاء أسس الاختيار علي النحو التالي: (5)

1 - الأصل 2 - الأخلاق والسمعة

3 - الشطارة في عمل المنزل 4 - الجمال

5 - التعليم 6 - الغني

أما الأبناء الحضريون من طلاب الجامعة فيرونها كالاتي :

1 - الأخلاق والسمعة 2 - الأصل

3 - الجمال 4 - التعليم

5 - الشطارة في شغل المنزل 6 - الغني

أما الآباء الريفيون فقد رتبوا أسس اختيار الزوجة كما يلي :

1 - الأصل 2 - الأخلاق والسمعة

3 - الشطارة في شغل المنزل 4 - الغني

5 - الجمال 6 - التعليم

أما الأبناء الريفيون فيرتبون أسس الاختيار كما يلي:

1 - الأصل 2 - الأخلاق والسمعة

3 - الشطارة في شغل المنزل 4 - الغني

5 - الجمال 6 - التعليم

إلا أن هناك استثناءات عديدة فقد يتأثر عامل تكافؤ المكانة الاجتماعية الاقتصادية بعدد من المتغيرات الأخرى التي تقلل من أهميته لدي كثير من الأسر , من ذلك عامل السن علي سبيل المثال . فالرجل عندما يتقدم في السن ويرغب في الاقتران بزوجة شابة , عادة ما يتغاضى عن

ضرورة أن تكون من أسرة تتكافأ إجتماعيا واقتصاديا مع أسرته . وكذلك الحال بالنسبة للمرأة المتقدمة في السن إذا ما صادفت شاباً يوافق علي الزواج منها. ويميل كثير من الرجال إلي الزواج بمن هم أقل منهم تعليماً ودخلاً وذكاء فهذا يحقق لهم تمام الهيمنة علي زوجاتهم ويضمن لهم تبعية الزوجة وعدم تمردھا.

والرجل عادة , يخشى المرأة التي تكافئة تماماً أو التي تلو عليه في مكانتها الاجتماعية والاقتصادية لما يرتبط بهذا الوضع من نديه ومشاركة في الحياة الزوجية . ولهذا السبب كلما ارتقت المرأة في السلم الاجتماعي كلما قلت فرصة زواجها , فالمرأة التي تحصل علي شهادة الدكتوراة , يتردد الرجل الذي يحصل علي مؤهل دراسي أقل منها في التقدم للزواج بها , وكذلك الحال بالنسبة للمرأة التي تنتسب إلي عائلة من الطبقة الراقية المتشددة في قبول أشخاص أدني منهم مرتبة كأعضاء جدد في العائلة . بعبارة أخرى , إن الفتاة التي تنتمي للطبقة العليا تجد منافسة من بنات طبقتها ومن فتيات الطبقات الأدنى اللاتي يطمحن إلي الحراك الاجتماعي لأعلي مما يضيق فرصتها في الزواج.(6)

ويري بعض علماء علم الاجتماع. أن العوامل العقلية المحددة لعملية "الاختيار الزوجي" Mate - Selection لم تحظ بالدراسة الكافية, كما أن دراسة مدي التماثل والتجانس في الاختيار الزوجي من وجهة النظر السوسولوجية لا تعني إلا بعرض المشكلة, دون أن تضع لها الحلول, أما التشابه أو الانتماء فإنه يقوم علي أساسين:

أ – إمكان اعتبار الاختيار الزوجي وظيفة للفرص Oppoetunities ومعني ذلك إمكان تفسير التماثل بين الزوجين علي أساس

إقامتهما في مناطق محددة , ويعزز ذلك أن الاختلافات في أنماط الأنشطة بين الفئات الاجتماعية المختلفة يؤدي إلي تحديد نوعية ومدى اتصالات الفرد إلي حد كبير , الأمر الذي تسنح معه الفرصة لمقابلة أفراد متشابهين في جوانب عديدة مما يزيد من احتمالات التقارب والألفة , ويشكل ذلك ما يمكن أن يسمى بالتفسير التفاعلي .

ب - إمكان اعتبار أنماط التشابه نتيجة لمفاضلات شخصية نابعة من الشخص ذاته الذي يفضل الاتصال بأشخاص يتشابهون معه , ويشكل ذلك ما يمكن أن يسمى بالتفسير المعياري . وقد حاول عالمان من علماء الاجتماع في دراسة حديثة نسبيا صياغة القضيتين السابقتين في نظرية معيارية تفاعلية واحدة , تقوم علي فرضين : الأول يري أن الزواج معياري والثاني يري أنه من خلال المجالات المعيارية للمرشحين أو المؤهلين للزواج , فإن إمكانية الزواج تختلف بصورة مباشرة مع إمكانية التفاعل.⁽⁷⁾

وهناك صورة أخرى للتفسير المعياري يمكن أن توضع موضع الاعتبار إذا إفترضنا وجود معيار أو قاعدة للتشابه أو التجانس تتحقق بدرجات متفاوتة عن طريق الأشخاص في المجتمع. فإذا أمكن التحقق من وجود هذا المعيار بالفعل, جاز لنا أن نفترض وجود قاعدة عامة تؤدي إلي القول بأن "الشبيه يتزوج الشبيه" أو أنه يوجد نسق شامل من المعايير المقررة مثل "المسلم يتزوج المسلمة" و "الزنجي يتزوج الزنجية" و "الجامعي يتزوج الجامعية" وواضح أن هذه المعايير تركز أساسا علي الجنس Race والعقيدة Religion والطبقة الاجتماعية Social Clase الخ . أي أن القاعدة في الاختيار تؤكد الميل بصورة عامة إلي البحث عن الشخص القريب أو الشبيه.

إلا أن الفرص والمعايير تختلف باختلاف قطاعات السكان، ومثال ذلك أن أفراد الطبقة المتوسطة يتميزون بحلقة واسعة من الاتصالات بمقارنتهم بأفراد الطبقة العاملة. كما أن درجة " التجانس، تختلف في الطبقتين، لان تجارب الحياة المختلفة يمكن أن تؤدي إلي اختلاف درجات التجانس، ولهذا يكون الشخص كثير التنقل والاتصالات قادرا علي إنشاء علاقات متعددة أكثر من أمثاله في نفس الطبقة.

وعموما فإن البيانات المتاحة لمعرفة عناصر التجانس تركز علي درجه التشابه بين الزوجين، لأنها تهتم بنتيجة الاختيار الزواجي وليس بالعملية ذاته. وهناك مجموعة من المتغيرات التي يقوم عليها التجانس وهي: الجنس والعقيدة والطبقة الاجتماعية، والتجمعات المهنية الواسعة، ومكان السكن والدخل، والسن، ومستوي أو درجة التعليم ، والذكاء.. الخ. ووظيفة هذه المتغيرات أن "ترشد" أو توجه كل فرد إلي "نوع" الناس الذين يستطيع التفاعل معهم.

وينتج عن هذا أن الناس الذين نعمل أو نلعب معهم أو نرتبط بهم بصورة أو بأخرى يشبهوننا في كثير أو قليل تبعاً لهذه المجموعة من المتغيرات، وكذلك تبعاً للاهتمامات الثقافية والقيم. وإذن طالما أن هذه المتغيرات تحدد "مجال الارتباط" للأفراد والجماعات، فمن المعتقد أنها تحدد أيضاً "مجال ترشيح الزوجة أو الزوج المرغوب فيه" والذي من خلاله نختار شركاء الحياة.(8)

2 - التأكيد على أهمية الزواج:

يلاحظ بعض الكتاب أن ذلك التأكيد غير العادي لأهمية دور الزواج في عملية تكوين الأسرة (بل واتخاذ هذا التأكيد طابعا أيديولوجيا في أحيان

كثيرة) ليس ظاهرة إنسانية عامة عبر الزمان والمكان. ولكن الاحتمال الأقرب في رأي أولئك الكتاب أن هذا الاهتمام قد نما وتطور في ظل ظروف معينة وتحت تأثير عوامل محددة يمكن أن نضع أيدينا عليها. ذلك أننا نجد مثلا أن أبسط الثقافات الإنسانية وأكثرها تخلفا كمجتمعات الصيادين ومجتمعات الالتقاط تعرف نظام الأسرة النووية فعلا , إلا أننا نجد في نفس الوقت أن نظام الزواج عندهم لم يتطور بعد بشكل واضح . بل أنه قد يصعب علي الملاحظ أن يتعرف علي ملامحه الدقيقة في بعض الأحيان ولكن الظاهرة الأكثر غرابة حقا أن بعض تلك الشعوب المعاصرة ذات الثقافة البسيطة كشعب الأوجيبوا Ojibwa في أونتاريو وشعب الباجو في أريزونا لا تعرف سوي نوع "غير رسمي من الزواج", أي أن العلاقة الزوجية تبدأ بين طرفيها دون التزام شكليات وطقوس معينة ينبغي تكرارها والالتزام بها كشرط لصحة هذه العلاقة الزوجية. والنتيجة الطبيعية لهذا أن الطلاق عندهم من النوع غير الرسمي, الذي ينطبق عليه نفس الإيضاح السابق.

والحقيقة أن نظام الزواج لا يبدأ في التبلور واتخاذ شكل محدد وواضح إلا في المستويات الاقتصادية والثقافية الأرقى, ومع ازدياد عمليات تبادل الهدايا بين الجماعتين القرابيتين للزوج والزوجة. ولم تكن تلك الهدايا في البداية مهرا (أو ثمنا للعروس, كما يقول البعض), ولكنها كانت في حقيقتها تعبيراً رمزياً عن تأسيس علاقات الارتباط والائتلاف بين هاتين الجماعتين وانطلاقاً من هذه العملية الأولى, وأعني عملية تبادل الهدايا بين الجماعتين القرابيتين للزوج والزوجة, ظهرت وتبلورت شعائر الزواج التي أخذت بمرور الزمن تزداد تنوعاً وثراءً, وبدأ نظام المهر يظهر مرة عند شعوب الحضارات القديمة: كالعرب والهندوس والصينيين واليابانيين وعند

غيرهم من الشعوب المعاصرة. وقد أساء بعض الكتاب الأوربيين فهم هذه العادة، حتى أن بعضهم سماها "ثمن العروس" أي أنهم فهموا الزواج علي أنه عملية شراء للعروس. وهذا خطأ تماماً، ذلك أن هناك إماء ومحظيات وغيرهن كن يشتريين بالمال. أما الزوجة فلا تشتري بالمهر. وإنما يؤدي المهر في تلك الحضارات - سواء القديمة منها أو المعاصرة - دور تحقيق مشروعية العلاقة الزوجية، وبصفة خاصة مشروعية الأولاد الذين سوف تثمرهم هذه العلاقة الجديدة.⁽⁹⁾

وما زال هذا الدور الهام الذي يلعبه المهر قائماً ويتصاعد أحياناً في شتى بقاع العالم. ولكننا نصادفه بشكل واضح في أفريقيا وآسيا بوجه خاص، ولدي بعض قبائل الهنود الحمر الأمريكي. ويعد تعديل هذا النظام وتقليمه من أهم أهداف الحركة النسائية والحركات الإصلاحية في كافة بلاد العالم الثالث، حيث يرتبط هذا الأسلوب في الزواج بتحقيق صفقات معينة تهدف في النهاية إلي تحقيق صالح الأسرتين المتصاهرتين أو أحدهما علي الأقل، حتى أن البعض سماه زواج الشراء.

ولما كان هذا النوع من الزواج يقترن في العادة بمعاملات عائلية واقتصادية وأحياناً ينطوي علي اعتبارات سياسية أيضاً، لذلك كان من البديهي ألا تهتم الجماعتان القرابيتان المتصاهرتان برأي العروسين، خاصة الفتاة، فلا يعد ترحيبها أو رفضها لشخص العريس أمراً ذابالاً بالنسبة للكبار في الأسرتين.

أما "زواج الاتفاق" أو "زواج الرضا" فيختلف عن هذا اختلافاً بعيداً، وهو لم يتطور علي نطاق واسع إلا بعد أن قطعت الاتجاهات الفردية في الحياة الاجتماعية شوطاً بعيداً في النمو والتطور، وأصبح الفرد هو وحدة

التعامل الاجتماعي منفصلا إلي حد بعيد - عن جماعته الاجتماعية. وأصبحت علاقة الحب بين العروسين ركنا أساسيا في قيام هذا النوع من الزواج حتى أنها أصبحت القاعدة العاملة في كثير من المجتمعات المتقدمة. علي أنه يجب ألا يغيب عن بالنا في الوقت نفسه أن زواج الرضا أو الاتفاق هذا كان وما زال موجودا في تلك القطاعات الاجتماعية التي لا ترتبط فيها علاقة الزواج بمصالح اقتصادية أو مالية، أعني في الطبقات الدنيا. ففي كافة المجتمعات الإنسانية كان هذا الأسلوب في الزواج هو الأسلوب السائد للاعتبارات التي أوضحنها، وسيظل الأمر كذلك طالما أن الاعتبارات الاجتماعية أو الاقتصادية لا تلعب دورا في قيام الأسر الجديدة (أي ليس الزواج فيها صفقة لتحقيق مصلحة مادية أو رفع المكانة الاجتماعية لأحد طرفي العلاقة الزوجية).

ولاشك أن هذه الحقائق تهدم النظرية القديمة التي لعبت في الماضي دورا هاما عند علماء تاريخ القانون ودارسي تاريخ الأسرة والزواج، الخاصة بتطور الزواج. إذ تري النظرية المذكورة (التي كان بوست A.H. Post من أول الداعين إليها) أن الزواج قد تطور عبر أشكال ثلاثة هي: زواج الخطف ، ثم زواج الشراء، ثم أخيرا زواج الرضا أو الاتفاق.⁽¹⁰⁾

3 - السن عند الزواج:

يبدأ سن الزواج بعد سن النضج البيولوجي بكثير أو قليل تبعاً لظروف الشخص المقبل علي الزواج. وفي استطاعة الشخص أن يختار من يتزوجه سواء كان مماثلاً له في السن أو أكبر أو أصغر (في حدود الشرعية) و سن الزواج المسموح به قانوناً في المجتمع المصري هو 18 سنة للفتي و 16 سنة للفتاة. ولكن يلاحظ أنه كثيراً ما يحدث انتهاك لهذه القوانين

وخاصة في المناطق الريفية، حيث يتم زواج فتيان وفتيات دون سن الزواج بكثير عن طريق استخراج شهادة "تسنين" والادعاء بفقد شهادة الميلاد الأصلية. إلا أنه نتيجة للتغيرات الاجتماعية والثقافية العالمية والمحلية، ارتفع سن الزواج وخاصة في المناطق الحضرية. لأن أعداداً كبيرة من الشباب يلتحقون بالتعليم بمراحله المختلفة، وتستغرق بعض أنواع التعليم سنوات عديدة، لا بد أن تتلوهما فترة من الاستقرار المادي والاستعداد للزوج مما جعل سن الزواج في الوقت الحالي يتراوح بين 23 - 28 سنة للفتيات، و 27 - 34 سنة للشباب.⁽¹¹⁾

ثانياً: تعريف الأسرة وتطورها

لقد انتهت الدراسات المعينة بتتبع أصل الإنسان إلي ترجيح فرضية جديدة حول أصل الأسرة، وبخاصة فيما يتعلق بتطورها إلي تلك الصورة التي تقوم علي وحدانية الزوج والزوجة Monogamy ولقد كانت هناك اتجاهات مختلفة في تفسير هذا التطور.. فقد رأي العلماء أن ظهور الأسرة التي يتزوج فيها رجل واحد من امرأة واحدة في الغالبية العظمي من الشعوب في الوقت الحاضر إنما يعزي إلي عوامل من أنواع مختلفة اقتصادية واجتماعية - كما يتمثل في كتابات لويس مورجان وانجلز وبريفولت Briffault - كما يعزي إلي عوامل سيكولوجية وثقافية وعوامل بيولوجية.. مثل ضرورة امتداد فترة العناية بالصغار أو بقول آخر امتداد فترة الطفولة، وهو ما يتبين في كتابات مالمينوفسكي. وكانت هناك أيضاً تفسيرات تقوم علي تأصل دوافع جنسية لايمكن البرهنة عليها.

ودون أن ننكر أن هناك بالتأكيد جانباً من الحقيقة في بعض تلك التفسيرات فان هناك اجتهادات أخرى حديثة لا بد من الإشارة إليها هنا.

ومثال ذلك إن هناك دراسات جادة في الوقت الحاضر ترجح أن نمو الأسرة التي تضم "رجلاً" زوجاً واحداً وامراًة "زوجة" واحدة يقوم بصفة جوهرية علي عوامل مختلفة تماماً لم تتح الفرصة لملاحظتها بدرجة كافية حتى الآن. وهي تتمثل في تلك النزعة الغيرية التي تتيح أفضل ظروف ممكنة للتثبت الوراثي Genetic Fixation.. وهي نزعة ذات أهمية قصوي في التطور البشري, حيث يعتمد عليها في الحقيقة التعاون داخل الجماعة الواحدة وبين الجماعات المتميزة.

والواقع أن الافتراض يقوم علي حقيقة يندر إبرازها في الكتابات السوسولوجية والأنثروبولوجية, وهي حقيقة لم يسبق أن رؤى الارتباط بينها وبين مسألة السلوك الغيري.. وهي تتمثل بإيجاز في أن التماسك بين الأبناء في الأسرة الأحادية يبلغ درجة قصوي بالمقارنة بمدى التماسك بين الأبناء في الجماعات الزوجية الأخرى.. حيث تبلغ درجة هذا التماسك بين الأبناء في الجماعات التي يسودها ما يسمى بالإباحية الجنسية Promiscuous Groups درجة الصفر. وهي تبلغ هذا المستوي في تلك الحالة المتطرفة التي يأتي فيها الأبناء في الجماعة دون تمييز تام بين آبائهم وأمهاتهم, كما إنها تبلغ درجة النصف في تلك الحالات الخاصة أيضاً التي يأتي فيها الأبناء من رجل وامرأة واحدة.

وتتفاوت تلك الدرجة في الجماعات الزوجية التعددية Polygamous بين درجة الربع ودرجة النصف. وهي تبلغ درجة الربع في تلك الحالات القصوي في التطرف التي لا يكون فيها هناك أشقاء من نفس الأب ونفس الأم علي الإطلاق, وتبلغ درجة النصف في الحالة تماماً حيث يكون كل الأبناء في الجماعة الزوجية المتميزة إخوة أشقاء Siblings . وعلي العكس

من هذا تماماً فأنتنا نجد في أسرة الأحادية أن تلك الدرجة تبلغ النصف حيث يكون الأبناء جميعاً هم كلهم أشقاء من نفس الأب والأم.⁽¹²⁾

وهذا بالطبع مع وعينا بأن هناك بعض العوامل التي توجد في ثقافات معينة والتي تتمثل في العلاقات الجنسية غير المشروعة للمرأة، كما أن هناك عوامل أخرى مثل ترميل أحد الزوجين - أو الطلاق الذي يتبعه زواج بشخص آخر غير الزوج الأول - تؤدي إلي تدني تلك الدرجة.. نتيجة دخول أبناء جدد إلي الأسرة يولدون من أحد الأبوين الأصليين.

ولعل تلك المقارنة بين معامل التماسك في تلك الأنماط الزوجية المختلفة تكفي لبيان المزايا الواضحة للزوج التعددي في مقارنته بما يعرف بالإباحية الجنسية، كما تبين مزايا الزوج الأحادي في مقارنته بالزواج التعددي فيما يتعلق بتطور النزعة الغيرية.

والواقع إننا نجد الإنسان في الوقت الحاضر يعتبر هو الكائن الأرضي Terrestrial الوحيد بين الرئيسيات علي الأقل المتكيف بصورة جزئية مع الزوج الأحادي. ولعل البشرات الوحيدة المتكيفة مع الحياة الزوجية التي تنحصر فيها العلاقات الجنسية بين ذكر واحد وأنثي واحدة هي قردة الجيبون Gibbons وقردة سومطرة السوداء Siamangs.. وهما نوعان تؤثر خصائصهما الشجرية في دلالتهما في تطور الحياة البشرية بصورة جوهرية.

ونجد في جانب آخر أن هناك بينات طبية علي أن الإنسان كان يميل إلي الحياة الزوجية التعددية في الماضي أكثر مما هو عليه الحال في الوقت الحاضر.

ومن المحتمل أن تكيف الإنسان مع ما يسمى بمرحلة الإباحية الجنسية قد حدث علي الأقل في مرحلة متقدمة جداً من تطوره. ولهذا كلة فمن المعقول أن نفترض انه كان هناك اتجاه عام في تطور الإنسان من مرحلة الإباحية الجنسية إلي الزواج التعددي إلي الزواج الأحادي.⁽¹³⁾ وإذا كانت الأسرة الإنسانية تختلف علي هذا النحو عن بقية أنواع الأسر البيولوجية، فما هو تعريف الأسرة ؟

يشير المعني الواسع للأسرة إلي مجموعة الأفراد الذين يعتقدون فيما بينهم أنهم ينتمون إلي جماعة مستقلة داخل المجتمع، ويرتبطون الواحد بالآخر عن طريق روابط الدم Blood أو الزواج Marriage ويدركها بقية أفراد المجتمع، ويرون أن هؤلاء يرتبطون ببعضهم البعض عن طريق علاقات خاصة تجمعهم. وطبقا لبروم L. Broom وسيليزنيك P. Selznick أن الأسرة Family تتوسط بين الفرد والمجتمع وتساعد الفرد علي أخذ مكانته في العالم الواسع.

علي أية حال يشتمل مصطلح "الأسرة" في استعماله العام علي "الأسرة النووية" Nuclear Family التي تتكون من الزوج والزوجة والأولاد فقط ولا تضم أفراد آخرين، وكذلك علي بعض الجماعات مثل الزوجين اللذين لم ينجبا، والأب الذي يعيش مع ابن واحد، غير متزوج أو أكثر من إبن، وكذلك علي "الأسرة الممتدة" Extended Family التي تتكون ليس فقط من الآباء والأطفال وإنما تمتد لتشمل أيضا الأقارب الآخرين الأجداد والأعمام والعمات، وكذلك أيضا علي رجل كبير وزوجته (أو عدة زوجات) وأطفالهم المتزوجين وزوجاتهم وأطفالهم، غير المتزوجين ويشكلون حياة اقتصادية اجتماعية تحت رئاسة الأب الأكبر أو رئيس العائلة.

ولقد أصبح من الشائع في الولايات المتحدة الإشارة إلي الأسرة بمصطلح "الأسرة النواة". التي تتكون من الزوج والزوجة وأطفالهما.⁽¹⁴⁾ ويرى سميران أن هناك جاذبية في الرجال والنساء زودتهم بها الطبيعية وهي السبب في دوام وبقاء الجنس البشري، وأدت هذه الجاذبية الطبيعية إلي الزواج الذي يعتبر إلي جانب ذلك مظهرا للتعاون والإبقاء علي وجود الذات وحفظ الكيان الاجتماعي.

ويعرف وليم اجبرن الأسرة بأنها منظمة دائمة نسبيا مكونة من زوج وزوجة وأطفال أو بدونهم، ويرى أن العلاقات الجنسية والوالدية هي المبرر الأساسي لوجود الأسرة وأنها من مميزات الأسرة في كافة المستويات الثقافية.

إما "بل" وفوجل فيعرفا الأسرة بأنها الوحدة البنائية المكونة من رجل وامرأة يرتبطان مع أطفالها بطريقة منظمة اجتماعيا سواء كان هؤلاء الأطفال من صلبهما أو بطريق التبني.

ويعرف ماكيفر الأسرة بأنها "جماعة دائمة مرتبطة عن طريق علاقات جنسية بصورة تمكن من إنجاب الأطفال ورعايتهم". وقد تكون في الأسرة علاقات أو أخرى، وتقوم علي معيشة الزوجين معا ويكونان مع أطفالهما وحدة مميزة.

ويعرف نيمكوف الأسرة بأنها "ارتباط يدوم قليلا أو كثيرا للزوج وللزوجة بأطفال أو بلا أطفال أو هو ارتباط رجل وامرأة فقط بالأطفال.

أما لندبرج فيعرف الأسرة بأنها النظام الإنساني الأول، ومن أهم وظائفهما إنجاب الأطفال والمحافظة علي النوع الإنساني، كما أن النظم الأخرى عند أصولها في الحياة الأسرية إلا أن أنماط السلوك الاجتماعي

والاقتصادي والضبط الاجتماعي والتربية والترفيه والدين نمت أول الأمر داخل الأسرة.

والملاحظ علي التعاريف السابقة أنها أعطت الأسرة بعض الخصائص التي تميزها عن غيرها من النظم الاجتماعية وهي:
أ- وجود علاقة جنسية زواجية بين رجل وامرأة.

ب- صورة من صور الزواج أو أي ترتيب نظامي تقوم علي أساسه هذه الرابطة الزوجية وتستمر علي مر الزمن.

ج- طريقة لتحديد سلسلة النسب.

د- مسكن مشترك قد تختص به الأسرة وحدها أو يشاركها فيه عدد من الأسر الأخرى.

خلاصة القول أن الأسرة تعني من الناحية السوسولوجية معيشة رجل وامرأة أو أكثرها معا، علي أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع، وما يترتب علي ذلك من حقوق وواجبات، كراعية الأطفال وتربيتهم، أولئك الذين يأتون نتيجة لهذه العلاقات، أو أنها جماعة تقوم علي العلاقة الجنسية بشرط أن تكون محدودة ودائمة بصورة تكفي لإعالة الأطفال وتربيتهم.⁽¹⁵⁾

1 - العلاقة بين الزوجين:

الملاحظ في الوقت الذي ضعفت فيه العلاقات، بين الوالدين وأبنائهما وأصبحت ذات طابع ذاتي وشخصي واضح، ازدادت فيه قوة العلاقة بين الزوجين، فازداد اقترباهما وتركزت علاقتهما وطالت مدة حياتهما التي يقضيانها مع بعضهما. وذلك بالطبع بافتراض سيطرة الزواج الواحدي،

واستمرار العلاقة الزوجية مدي الحياة, أما الأسرة التي ينهي فيها الطلاق الحياة الزوجية فهذه لا نعنيتها في حديثنا هنا.

ويشير بعض المؤلفين إلي شواهد واضحة تؤكد هذه الظاهرة الجديدة حيث نجد أغلب التشريعات الحديثة في أكثر البلاد الغربية الصناعية تضع قانون الزواج أسبق من قانون الأسرة. ولا يرجع ذلك فقط إلي أن الأسرة تبدأ حتما بالزواج, ولكنه يرجع كذلك إلي أن الزوجين في الأسرة الحديثة قد أصبحا يحتلان أهمية كبري من الناحية البنائية.

وهكذا أصبح الزواج كما أصبح الزوجان يمثلان البؤرة الأساسية لهذا النمط الجديد الذي عرفناه عن الأسرة الحديثة, والذي يتمتع الأطفال منذ سن مبكرة نسبيا بقدر من الاستقلال والتباعد عن الوالدين. وحتى بلوغ أولئك الأولاد السن القانونية أو اكتمال تأهيلهم للحياة العملية فإنهم يتركون بيت الأسرة, ويبقى الزوجان وحدهما من جديد. ومن ذلك يتضح أن الزوجين ليسا هما البؤرة الأساسية للأسرة فحسب, ولكنهما كذلك الوحدة الوحيدة المستمرة باستمرار الأسرة, منذ عقد الزواج وحتى الموت.

وتؤكد لنا تلك الحقيقة الملاحظة, وهي أن الزواج أصبح يأتي اليوم في مقدمة الاهتمام في حياة الأسرة, وفي دراسات الأسرة علي السواء. كما أن النظم والقواعد التي تتجاوز حدود علاقات التعامل الأسري المختارة آخذة في الضعف والتقلص يوما بعد آخر.

وتؤكد لنا كافة الملاحظات التي أوردناها في سياق هذا الفصل أن مكانة الفرد في مجتمع اليوم لم تعد تتحدد في ضوء انتمائه العائلي بالدرجة الأولى, وإنما هي تتحدد علي أساس إنجازة الفردي الخاص. وهذا هو ما دفع علم الاجتماع المعاصر إلي أن يقابل بين نمطين مختلفين من المجتمعات,

نمط تتحدد فيه مكانة الفرد في ضوء وضعة العائلي (وهو ما يعرف باسم "المكانة الموروثة"). ونمط تتحدد فيه مكانة الفرد في ضوء إنجازة الشخصي (الاقتصادي أساسا) وهو ما يعرف باسم "المكانة المكتسبة".⁽¹⁶⁾

وظهرت نظرية التكامل بين الزوجين في مجال الاختيار الزواجي كبديل لنظرية التوافق التي صادفت انتقادات كثيرة نتيجة ظهور افتراضات أخرى تقوم علي أساس أن الزوج قد لا يفتش عن الزوجة التي تماثلة تماما وإنما عن الزوجة التي لها شخصية تختلف عن شخصيته. وهذه الفكرة هي جوهر النظرية التكاملية بين الزوجين، بمعنى أن كل طرف منهما يكمل الطرف الآخر، بحيث إذا كان أحدهما طموحا يكون الآخر متواضع الطموح وإذا كان الأول متسرعا يكون الثاني أكثر روية... وهكذا.

وقد صيغت نظرية شاملة عن الاختيار الزواجي وذلك في ضوء الاحتياجات التكاملية للشخصية، وقام باختيار هذه النظرية" روبرت وينش" R. Winch وعدد آخر من الباحثين في علم الاجتماع. وتتعلق النظرية التكاملية من افتراض مؤداه أن كل السلوك الإنساني يوجه إلي إشباع الحاجات، وهناك حاجات مهمة تؤثر في الشخصية الإنسانية وتكسبها نمطا معيناً من السلوك. وكثير من حاجات الإنسان تكمن في اللاشعور. ولما كان قدر كبير من حاجات الإنسان مكتسب عن طريق عملية تكوين الشخصية ونموها، وهي في جوهرها عملية ثقافية، فإنها تصبح خاضعة لتنظيم معياري، أي أن المرء لا يستطيع أن يعبر عنها إلا في إطار من المعايير التي تحظى بقبول الجماعة التي هو عضو فيها والتي تتفق مع معايير الجماعات الأخرى المحيطة بها. وهذه المعايير داخل الجماعة أو خارجها تحدد لكل فرد مجال

الأشياء المسموح بها والمتاحة له وتعين له الأشخاص الذين يمكنه أن يختار من بينهم شريك أو شريكة حياه.

وفي هذا الإطار يذهب "وينش" إلي أن الحب كخطوة أولى نحو اختيار الزوجة ما هو إلا تعبير عن عاطفة إيجابية لشخص معين يتوجه بها إلي شخص آخر يري فيه أنه يتمتع بصفات شخصية تحظى باحترامه وترفع مقداره وقيمه عنده ويشعر أن هذه الصفات تكمل حاجات أساسية لديه. ولعل هذا المنظور التكاملي هو الذي جعل بعض الناس يطلقون علي المرأة النصف الآخر أو النصف الحلو المكمل للرجل. وهكذا يختار الرجل زوجته إذا توافرت فيها السمات التي تحقق له ارضاءات معينة وتكمل ما لديه من نقص. أي أن الاختيار يتم علي أساس التكامل وليس التكافؤ.⁽¹⁷⁾

ولكن إذا كان الرجل يري أن المرأة التي وقع عليها اختياره للزواج بها تتمتع بصفات مكمله لصفاته، فهل سيكون للمرأة بالضرورة وجهة النظر ذاتها، أي أنها ستشعر بأن هذا الرجل له سمات مكمله لديها من سمات شخصية؟. والواقع أن المرأة قد لا تشعر بمسألة التكامل بين صفاتها وصفات الرجل وربما يحدث العكس. ولكن بوجه عام، يستطيع كل شريك إدراكه الصفات الظاهرة في شريكه ليقرر ما إذا كانت تلك الصفات مكمله له أم لا، وعندما يتيسر له ذلك، تصبح عملية الاختيار الزواجي علي درجة كبيرة من السهولة. ولكن إذا كانت الصفات كامنة ولن يتنسى لأحد الزوجين معرفتها إلا في مسار الحياة الزوجية فإن آثارها الايجابية أو السلبية وما قد تولده من تكامل أو صراع بين الزوجين تتأخر في الظهور إلي حد ما.

علي كل حال، لقد أشارت نظرية التكامل بين الزوجين إلي زاوية مهمة كانت خافية عن الباحثين الذين تركز اهتمامهم علي فكرة التكافؤ بين

الزوجين. فقيام الزواج علي أساس التكافؤ لا يعني ضمنا أنه سيكون زواجا ناجحا ومستقرا, هذا فضلا عن أن الصفات السلبية التي قد تكون لدي أحد الزوجين يستحب ألا تتوافر لدي الزوج الآخر. فالرجل الذي يميل إلي السيطرة إذا ما تزوج من امرأة تنزع إلي السيطرة سيكون هذا التوافق في الميول بعثا للصراع وليس للتكامل. ولذلك ينبغي علي كل من يقبل علي الحياة الزوجية أن يختار شريكا لحياته يتكافأ معه في ميول معينة كالميل إلي البحث العلمي ومحبة الموسيقى ويتكامل معه في ميول أخرى كالميل إلي السيطرة والميل إلي الإنفاق واقتناء الأشياء. (18).

2- توقعات الدور والتوافق في الزواج:

إن تكوين أسرة جديدة يتضمن تغيرا أساسيا في الأدوار المشكّله لأنماط السلوك لكل من الفتيان والفتيات. فمعظم هؤلاء يكون جديدا علي هذه الأدوار وليس لهم خبرة في تكيف أنفسهم لمتطلبات التفاعل مع شخصية أخرى. ومفهوم الدور نستخدمه هنا للإشارة إلي التوقعات الاجتماعية المرتبطة بموقف معين. والموقف هنا هو الزواج, وأجزائه هي مكانات الزوج والزوجة, فالشخص الذي يعرف ماذا يتوقع في موقف معين ويستطيع الاستجابة بصورة ملائمة يكون "متوافقا" للدور الذي يلعبه ومن المناسب هنا أن نعرض العوامل الرئيسية التي تشكل أهمية كبيرة في التوافق الزواجي من منظور تحليل الدور كمحور أساسي.

أ - التوجيه المعياري:

إن الطريقة التي يمارس بها الفرد دوره في أي موقف اجتماعي تعتمد أساسا علي فهمه للمعايير الثقافية, أو مستويات السلوك التي توجه تفكيره نحو الموقف. وكل زوج جديد أو زوجة جديدة لديهما ما يشكل

الاتجاهات الأساسية عن الأسرة من خلال تجربتهما في أسريتهما ومن قراءتهما ومشاهدتهما وما يسمعانه عن الأسر الأخرى. ونتيجة لذلك يؤكد الزوجان عادة علي وحدانية الزواج وضرورة إتمام مراسم الزواج التقليدية وغير ذلك من الطقوس المتعارف عليها في الثقافة الخاصة بالمجتمع الذي ينتميان إليه. إلا أن انتماء الزوجين إلي أنساق اجتماعية مختلفة. وبالتالي تعرضهما لعمليات تنشئة اجتماعية مختلفة يمكن أن يوجهها إلي أنساق معيارية قد تكون متعارضة أو علي الأقل غريبة بالنسبة لكل منهما.

ويري كل من ناي Nye وماكدوجال Macdougall أنه بالرغم من أن كل أسرة جديدة تتبني ثقافة فرعية خاصة بها، ناتجة عن ظهور وضع جديد وهو قيام الأسرة. نجد أن الزوجين الجديدين يحافظان علي جزء رئيسي من نسق أسريتهما (السابقين) حيث يتعرضان لبعض الضغوط الخارجية والداخلية من أجل التطابق مع معايير أسرتي التوجيه لكل منهما، فإذا كان الزوجان ينتميان إلي أنساق اجتماعية مختلفة من حيث العقيدة الدينية أو الاجتماعية أو السكنية أو السياسية أو الثقافات الفرعية، فهناك احتمال كبير لنشوء الصراعات وعدم التفاهم، لأن سلوك كل منهما يعبر في المحل الأول عن المعايير الخاصة التي ينتمي إليها أحدهما والتي تختلف عن معايير شريكه.

ب - وضع الدور:

يتحدد وضع الدور Role Position بناء علي المعايير التي يعتنقها الأفراد فكل من الزوجين يدخلان في العلاقة الجديدة بأفكار مسبقة عن، كيف يجب أن يكون هو أو تكون هي كزوج أو زوجة. وهذا يشتمل علي مظهرين أو اتجاهين:

1- اتجاه معين عن وضع الشريك النسبي أو مركزه في التنظيم الجديد.

2- اتجاه نحو تحديد "الفعل" أو دور للفرد وماذا يجب أن يفعل باعتباره عضواً في أسرة.

ويستخدم مفهوم الدور هنا بطريقتين: الأولى، لتصوير المجموع الكلي للسلوك المقبول معيارياً في أي وضع معين. والثانية، للدلالة أو الإشارة إلى المتطلبات السلوكية المختلفة للوضع أو المركز، ذلك أن كل سلوك متوقع يصبح دوراً وترجع أهمية هذين التصورين للدور إلى أن الزوج والزوجة في وضعيهما الجديدين يكون عليهما حلقة واسعة من الواجبات المحددة معيارياً بالنسبة لهما. وللمشكلة الرئيسية في القيام بهذه الأدوار ترجع إلى أن الزوجين يكونان في المادة بدون خبرة تقريباً بهذه الأدوار الجديدة.

وجدير بالذكر أن الوضع أو المكانة لا ينفصل عن الدور (لأنهما وجهان لشيء واحد) ولهذا فإن المشاكل الرئيسية لاختلافات الوضع تنشأ عندما يؤدي شخص ما دوره بناء على تصور له لوضعه الخاص. فإذا كان الزوج يشعر بأن وضعه له مكانة أعلى في الأسرة، فإنه يظهر هذا الشعور عادة عند أدائه لدوره. وإذا حدث وكانت له المكانة الأعلى بالفعل، فإن ذلك يعطيه الحق في بلورة القرار الأخير، وإصدار الأوامر، ويصبح من المؤلف أن يتوقع في كل موقف التأييد والامتياز.⁽¹⁹⁾

ج - توقعات الدور:

تشير توقعات الدور Role Expectations إلى الطرق التي يتوقع بها الفرد كيفية (أسلوب) سلوك الآخرين. وبناء على ذلك وبالتطبيق على الأسرة، فإن الشريكين إلى جانب الأفكار المعينة عن كيف يجب أن يكون

الزوج أو الزوجة في الوضع الجديد, فان كلا منهما يأتي ولديه توقعات معينة عن دور الشخص الآخر ومثال ذلك أن الزوج في العلاقة الزوجية الجديدة، تكون لديه بعض الأفكار عن كيفية سلوكه (دوره) كزوج وكذلك بعض الأفكار عن كيفية سلوك الزوجة (توقعاته لدور الزوجة) وفي المقابل يكون عند الزوجة بعض التحديد لدورها وتوقعات معينة لدور زوجها.

وتتمثل إحدى المشاكل الهامة في موضوع سلوك الدور Role Behavior في التحديد العلمي (المجرد) لتعريفات الدور ثم مقارنتها بأداة الدور بالفعل. لأن هناك اختلافا بين ما يجب أن يكون وبين ما هو قائم بالفعل. فمن المعروف أن الزوجين يوافقان علي أن الاهتمام بالابن الذكر وتخطيط مستقبله يشكل جزءا من دور الزوج في الأسرة, ولكن في الواقع لا يقوم الزوج بشئ من هذا.

ومن المحتمل في مطلع الزواج أن يبدأ كل شريك بتوقعات معينة من الآخر ومن ثم تطبيق التوقعات في كل مناسبة علي سلوك الشريك, ولكن بمرور الوقت, يمكن أن يتغير مضمون هذه التوقعات, لتشمل مضمونات أخرى تتصل بعناصر الدور الخاصة المستقاة من تجربتها معاً. ويجب أن يوضع في الاعتبار أن كل شريك لا تكون توقعاته فقط عن "ماذا يجب أن يفعل الآخر بل أيضاً عن "كيفية للأداء" فالزوجة قد لا تتوقع من زوجها أن يشارك في الأعمال المنزلية فقط, بل تتوقع أيضاً أن يقوم بها بطريقة تعاونية وسعيدة. ولكن توقعاتنا قد تخيب إذا لم يؤد الزوج عمله هذا كما يجب, أو إذا قلم به بطريقة لأرضي عنها الزوجة ونتيجة للتعارض بين التوقعات وما يحدث في الواقع فإنه من المحتمل أن تحدث الصراعات, فالزوج قد يتصور

أنه علي كفاءة عالية, وأنه مقبل علي التعاون ويسلك سلوك الصديق المحب, بينما تراه الزوجة غير ذلك تماماً.

د- الجزاءات

الجزاءات Sanctions هي المكافآت, أو العقوبات التي يفرضها فرد علي الآخر تبعاً لدرجة نجاحه أو فشله في القيام بتوقعات الدور. وفي حالة الأسرة, إذا كان أداء الزوج لدوره يلتقي مع توقعات دور الزوجة فإنها سوف تطبق عليه جزاءات إيجابية مثل الإطراء, وإظهار العواطف, والشعور الودي.. الخ أما إذا كان أداءه للدور يتعارض مع توقعاتها فإنها في الغالب سوف تطبق عليه جزاءات سلبية مثل: نزع الدموع, والشجار أو الارتداد بالعواطف (سلوك النكد).⁽²⁰⁾

3 - علاقة الأب بالأبناء

من الدراسات التي اهتمت اهتماماً ملحوظاً بعلاقة الأب بالأبناء دراسة "أوني ويكان" التي عالجت في مواقع متفرقة منها تلك العلاقة من عدة جوانب. فمن حيث ممارسة السلطة رأت أن الأب أكثر سيطرة علي الأطفال من الأم حيث يتحكم في كثير من سلوكياتهم. كما أشارت إلي غياب الآباء لفترات طويلة عن بيوتهم, وترك التربية إلي الأمهات, وتصبح الفترة القصيرة التي يقضيها الآباء كافية فقط لأداء أدوار محدودة مع الأطفال. وأشار جوزيف تامني إلي أن علاقة الوالدين بالأبناء تختلف باختلاف أعمار الأبناء, لذا عقد مقارنة بين تلك العلاقات في أعمار مختلفة وأيضاً في جماعات مختلفة هي جماعات السود والبيض.

وفي مجتمع الدراسة، فمن الجدير بالذكر أن علاقة الآباء بالأبناء الأطفال من الجنسين - لا يتعدى دقائق أو ساعات من اليوم. ويرجع ذلك في المقام الأول إلي طبيعة العمل ومواقفته. فالأبناء من الحرفيين - في مواسم العمل - يستيقظون من نومهم في ساعة مبكرة من اليوم، وتستمر رؤيتهم لأبنائهم الأطفال لدقائق يخرجون بعدها للعمل وكسب الرزق. وبعد العودة من العمل، لا تتعدى العلاقة دقائق أيضا، بل أنه في كثير من الأحيان يكون الطفل قد ذهب إلي فراشه للنوم ولا يري والده.

أما في المواسم التي يقل فيها العمل الحرفي، فإن فرصة لقاء الأبناء تزداد بعض الشيء، وإن كان الآباء يفضلون في تلك الفترات قضاء الغالبية العظمى من ساعات اليوم علي المقهى للترفيه، وانتظار فرص عمل. والأمثلة التي تشير إلي ذلك كثيرة، أذكر منها الأب الذي يخرج إلي عمله يوميا، ولا يعود إلا في المساء متعبا حتى أنه لا يجد الوقت الكافي للجلوس مع أبنائه، وبناته من صغار السن وقد زاد الأمر سوءا زواجه من أخرى أصبحت تأخذ من وقته الكثير، ولا تترك لأسرته سوي أيام قليلة معدودة كل أسبوع.

والجدير بالذكر، أنه إذا اعتبرنا العطلات الأسبوعية فرصة للقاء الأبناء إلا أن الحرفيين ليست لديهم أيام محددة للعطلات، حيث يعملون طوال أيام الأسبوع طالما هناك فرصة عمل: كالنقاشين والمبطلين. أما الذين يعملون في ورش خاصة بهم أو بغيرهم: نجارة، نجف، فإنهم يغلقون تلك الورش يوما واحدا في الأسبوع. ومع ذلك لا تصبح الفرصة مواتية للقاء الأبناء، فالعطلة غالبا في يوم الأحد، بينما تعطل المدارس في الحي في يوم الجمعة من كل أسبوع.⁽²¹⁾

4 - مهام الزواج

للزواج وظائف عديدة يفاد فيها الفرد والمجتمع. وتختلف وظائف الزواج باختلاف بنائه, فعندما يكون الزوج من داخل النسق القرابي أو الأسر الممتدة يصبح الإنجاب والمحافظة علي اسم الأسرة وملكيته من وظائفه الأساسية.

وفي المجتمعات الآن نجد أن الزواج تكون له وظائف عديدة منها: الاستقلال والاستقرار وتأسيس أسرة خاصة والإنجاب وتحقيق السعادة والحب والاعتماد علي النفس والأمن الاقتصادي والعلاقة الجنسية المشروعة وتبادل العواطف واستبعاد مشاعر الوحدة... الخ.

وللأسرة وظائف عديدة سنتحدث عنها فيما بعد ولكننا نستطيع أن نجمل هذه الوظائف في.

أ - تنظيم السلوك الجنسي والإنجاب: حيث إن الزواج يعتبر اتفاقا تعاقديا يعطي العلاقات الجنسية والاجتماعية التي تكون الأسرة طابعا رسميا وثابتا. فالمجتمع لا يسمح بالعلاقات الجنسية بغير زواج, وان كان ذلك قد يسمح في بعض المجتمعات الاخرى.

ب - العناية بالأطفال وتربيتهم: فمن أهم وظائف الأسرة إنجاب الأطفال والإشراف علي رعايتهم وتربيتهم ولذلك تكون للأسرة مسئولية تامة عن عملية التنشئة الاجتماعية التي يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة وقواعدها من صورة تؤهله وتمكنه من المشاركة مع غيره من أعضاء المجتمع.

ج - التعاون وتقسيم العمل: يكون داخل الأسرة بين الرجل والمرأة في المسائل المتعلقة براحة الأطفال وطمأنينة النفسية, وتربيته وتوجيهه,

وتختلف المجتمعات في مبلغ مشاركة الرجل والمرأة في النهوض بهذه المستويات، ويلاحظ أن الإشراف علي المنزل ورعايته من الأعمال التي تتحملها المرأة.

د - الإشباع: تعتبر الأسرة الجماعة الأولية التي توفر للطفل أكبر قدر من الحنان والعطف ولذلك يتوقف قدر كبير من التكامل الانفعالي والعاطفي عند أعضاء الأسرة علي مبلغ ما يتوفر لهم من إشباع لرغباتهم المتعددة، ويلاحظ إن هذا الإشباع لا يقتصر علي الأطفال فقط، ذلك إن الكبار يجدون مسرة كبيرة في مداعبة الأطفال واللعب معهم.

هـ - تهيئه أسلوب الحياة في المجتمع: تعتبر الأسرة مدرسة لأفرادها فهي التي تقوم بدور التنشئة الاجتماعية كما أنها تعمل علي نقل التراث الاجتماعي من جيل إلي جيل وتعودهم علي التقاليد المرعية في المجتمع وخاصة ما يتعلق منها بالسلوك والآداب العامة والدين - ومن ثم فهي نواة المجتمع وأساس تكوينه، فإذا كان النظام الأسري في مجتمع ما منحلا وفسادا فان هذا الفساد يتردد صداه في المجتمع بأكمله، وإما إذا كان النظام سليما وقويا فان هذا ينعكس في حياة المجتمع ويساعد علي تدعيمه وتقويته ومن ثم يتبين إن وظائف الأسرة تعدت من ناحية الإشباع الجنسي والإنجابي إلي وظيفة التنشئة الاجتماعية وإعداد المواطنين.⁽²²⁾

فالأسرة هي رابطة طبيعية تكونت للعناية بالصغار في فترة عدم قدرتهم علي العناية بأنفسهم، وبمقارنة أطفال الجنس البشري بغيرهم من الأنواع الأخرى نجد أنهم يولدون بإعداد قليلة وبطريقة غير مستمرة، ويظلون عاجزين لفترة طويلة، لذلك فان العناية المستمرة ضرورية حتى يتسنى بقاء عدد كاف يضمن استمرار الجنس البشري. قد يكون ذلك صحيحا، ولكن

الأسرة الإنسانية تتميز بوجود الدساتير التي هي بلا شك اجتماعية، ووجود هذه الدساتير الاجتماعية، وماتمله من المعايير الثقافية التي تنقل عبر الأجيال المتلاحقة مع غيرها من الخصائص الإدراكية يميز الأسرة الإنسانية عن غيرها مما يعرف باسم "الأسر البيولوجية" الأخرى Families of other species .

وعلي الرغم من أن الأسرة الإنسانية ترتبط بشبكة من المؤسسات في المجتمع، فإن رباطها الأقوى يكون بالزواج Marriage الذي ينظم العلاقات بين أفراد الأسرة ويعطيها طابعا رسميا، ومن ثم يكون للزواج أهمية بالغة لفكرة الأسرة في كل المجتمعات. حيث يري وستر مارك Wester Marck أن الزواج هو علاقة رجل أو أكثر مع امرأة أو أكثر تقرها القوانين أو العادات وتشتمل علي حقوق وواجبات في حالة الطرفين المشتركين وكذلك في حالة اطفالهما. ويصور لنا تعريف "وستر مارك" الزواج علي أنه اجتماعي بحت ومميز تماما عن مجرد الزواج البيولوجي، ويؤكد علي الخصائص التي تشكل جوهر الزواج في كل المجتمعات، وبخاصة يجب أن يقره المجتمع أولا، وأن هناك حقوق وواجبات ترتبط به ثانيا. لذلك فإنه يستبعد العلاقات الجنسية العارضة. وكذلك العلاقات الثابتة غير المنتظمة، أي التي لا يقرها المجتمع، وذلك علي الرغم من أن بعض هذه العلاقات الأخيرة يمكن إن تسمى "أسرا" ولكن لا يمكن أن نسميها زواج.⁽²³⁾

5 - أشكال الزواج:

أما عن أشكال الزواج فإننا نستطيع أن نميز هنا بين هذه الأنواع:
أ - الزواج الاجتماعي: من المعتقد أن هذا الشكل من الزواج كان سائدا في المجتمعات البدائية في العصور القديمة، إلا إن هذا الرأي لم يتأكد

بصورة علمية دقيقة حتى الآن. وهو يعني زواج عدد من الذكور مع عدد مساو لهم من الإناث. إلا أن هذا الشكل من الزواج نادر الحدوث في الوقت الحالي إلا في حالات فردية تعتبر شاذة إلي حد كبير.

ب - تعدد الأزواج: وهو أن تتزوج امرأة واحدة بعدد من الرجال وهذا الشكل من الزواج محدود الحدوث، ولا يوجد إلا في بعض القبائل الأفريقية ذات التقاليد الصارمة. وقد تبين من عينة عالمية أخذت من 554 مجتمعا وأن تعدد الزوجات يلقي قبولا وتأثيرا ثقافيا من 415 مجتمعا أي بنسبة 77 % بينما لم يجد زواج امرأة واحدة من عدة رجال قبول سوي في أربع مجتمعات فقط أي بنسبة أقل من (1%) وهذه النسب خير دليل علي إن هذا النوع من الزواج نادر جدا.

ج - تعدد الزوجات: وهو من أكثر الأشكال الزوجية انتشارا ويوجد في المجتمعات البدائية والنامية - ويدل من ناحية منه علي المكانة العالية والثراء - أما لماذا يتخذ الرجل أكثر من زوجة، فهناك ظروف ودوافع عديدة تؤدي إلي ذلك، فإلي جانب إظهار المكانة العالية والهيبة، توجد في بعض الحالات الحاجة أو الرغبة في الإنجاب وخاصة إنجاب الذكور. هذا وعادة يراعي في الأسرة التي تتعدد فيها الزوجات عدة اعتبارات مثل:

- 1 - أن يكون للزوجات حقوقا متساوية.
- 2 - أن تقيم كل زوجة في مكان مستقل.
- 3 - أن يكون للزوجة الأولي (الأكبر سنا في العادة) مميزات ونفوذ معروف.

د - وحدانية الزواج: ويعتبر هذا الشكل من الزواج من الأشكال المفضلة في كثير من المجتمعات. ومعناه زواج رجل واحد من امرأة واحدة.

وهذا الشكل منتشر علي أوسع نطاق عالميا، بل أن هناك مجتمعات ترفض كل أشكال الزواج عدا الوحدانية. إلا أن هذا لا يعني أن الزواج لا بد وأن يحدث مرة واحدة طوال العمر فقط، بل يمكن السماح بالزواج مرة أخرى في حالة الطلاق أو وفاة أحد الزوجين.⁽²⁴⁾

أ - الأسرة النووية:

مع اعترافنا التام بعمومية الأسرة النووية كمؤسسة اجتماعية(في كل المجتمعات تقريبا). إلا أن ذلك لا يعني أن هذا النمط الأسري ظل علي حال واحد ولم يتعرض لتغيرات داخلية علي امتداد التاريخ الإنساني وعلي اتساع رقعة المعمورة. إذ من البديهي أن هذا النموذج قد مر بمراحل وأطوار عديدة وشهد تحولات كثيرة سواء في العمليات المؤدية إليه(كالزواج وشعائره) أو نطاق ونوعية الوظائف التي يؤديها. أو حجم الأفراد الذين يضمهم... الخ. ولعل أبرز مظاهر التغير التي تمر بها الأسرة النووية في المجتمع المعاصر سيطرة الطابع الفردي علي كل عملياتها وفي كل وظائفها بشكل يفوق ما كان معروفا في عصر مضي وأهم ميدان ظهر فيه هذا الطابع الفردي هو ميدان العلاقة بين الزوجين في الأسرة النووية. وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت العلاقة بين الزوجين محور الارتكاز ومناط الاهتمام في الأسرة النووية الحديثة وهذا هو السبب في أن البعض يفضل إن يطلق علي النموذج المعاصر من الأسرة النووية اسم "الأسرة الزوجية" Conjugal Family ويدل اسم الأسرة الزوجية هذا علي أن الزوجين هما مركز الأسرة النووية المعاصرة. ولكن الدلالة الأهم لهذه التسمية أنهما طرفي العلاقة الدائمين في تلك الأسرة. فالعلاقة بينهما تسبق علاقتها بأطفالهما" ثم هي تستمر بعد خروج أولئك الأطفال (بعد أن يكبروا) من الأسرة النووية وتكوين أسرة

نووية خاصة بهم. (وتفترض هذه الملاحظة استبعاد مسألة الطلاق من الحساب. علي أساس أنه استثناء من الوضع العادي، أو هو وضع عرضي، ولم يحسب حسابه، أي لم يكن معتمداً عن بدء العلاقة الزوجية).

ويرجع الفضل إلي أميل دور كايم في إدخال مصطلح "الأسرة الزوجية" إلي التراث السوسيولوجي المعاصر وإن كان قد تعرض بالطبع فيما بعد لمزيد من الدقة والإحكام علي يد علماء الاجتماع العائلي المحدثين. ولعل أبرز الإسهامات في تعريف هذا المفهوم ملاحظة ويليام جود التي نبه فيها إلي أن "الأسرة الزوجية" هي عبارة عن نمط مثالي، ولكنه ليس نمطاً مثالياً بمفهوم ماكس فيبر (أي ليس أداة تصنيفية) فقط، ولكنه كذلك مثل أعلى تعتبره قطاعات متزايدة من الناس النموذج الصحيح المشروع للأسرة الإنسانية بعض النظر عما إذا كان الواقع يسير في اتجاه آخر غير ذلك ولكن المهم في هذا الصدد أن التحول إلي الطابع الفردي في الأسرة النووية وفي شؤون حياتها المختلفة مرتبط بسيطرة الطابع الفردي علي المجتمعات الإنسانية الحديثة بصفة عامة. وإن كانت هذه السيطرة أكثر بروزاً واتساحاً في المجتمعات الصناعية، علي حين تقل تدريجاً بسيطرة التقاليد والتراث علي حياة المجتمع. حيث تختفي بشكل شبه كامل، ونجد الفرد مقيداً في فكره وسلوكه بالجماعة التي يعيش داخلها وينتمي إليها مادياً وروحياً.⁽²⁵⁾

ب - الأسرة والزواج:

من الواضح أن السيطرة المتزايدة للطابع الفردي علي الثقافة الإنسانية الحديثة قد أدت إلي ظهور مشكلة من نوع خاص لم تعرفها من قبل المجتمعات القديمة والتقليدية، وأعني مشكلة وجود نوع من التقابل أو التميز بين الزواج والأسرة فالزواج بالنسبة لنا هو في جوهره عبارة عن علاقة

شخصية جدا بين فردين مستقلين لكل منهما فرديته المتميزة. هما الرجل والمرأة (الزوج والزوجة) أما الأسرة فهي عبارة عن جماعة اجتماعية تضم في جميع الأحوال تقريبا أشخاصا آخرين عدا الزوج والزوجة. ولذلك فالواجب ألا نطلق علي الزوجين اللذين لم ينجبا أطفالا اسم أسرة. ولو أننا ندرك أن مجرد إبرام عقد الزواج بين الرجل والمرأة يفتح أمامهما الطريق لتكوين الأسرة بكل ما يترتب علي الزواج من نتائج (الأطفال) وعلاقات المصاهرة.. الخ حقيقة أنهما لم يستفيدا من كل الإمكانيات التي إتاحتها لهما علاقة الزواج, ولكن ذلك لا ينفي إطلاقا وجود تلك الإمكانيات.

وهناك عدة عوامل واعتبارات تفرض علينا أن نعالج دائما موضوع الزواج مستقلا عن موضوع الأسرة, ذلك أن عمليات الاختيار (اختيار الزوجين) واتخاذ القرارات الخاصة بعدد ونوعية الأقارب الذين ستقيم معهم الأسرة الجديدة علاقات, وكذلك القرارات الخاصة بعدد الأطفال الذين ستجلبهم الأسرة ومواعيد ولادتهم.. الخ. إن الغالبية العظمي من دارسي الاجتماع العائلي مازالوا يتجاهلون هذه النقطة تجاهلا تاما, (أحيانا عن وعي وغالبا دون قصد) علي أساس أنهم يعتبرون "ثمار" الزواج أمرا بديهيا سوف يتبع تلقائيا إبرام عقد الزواج ولكن الحقيقة أن تحرر الزواج من الأسرة قد أدى إلي بعض النتائج الحتمية. نذكر منها أولا, تحول الزواج إلي مسألة شخصية خاصة بالفرد الذي سيدخل طرفا فيها, وثانيا: بروز عمليات الاختيار واتخاذ القرارات, وهي العمليات التي أصبحت تتم بإرادة الفرد.

ج - الزواج تحت وصاية الأسرة والجماعات القبلية:

إذا قلنا أن مكانة الفرد في الثقافات القديمة والتقليدية كانت تتحدد في ضوء انتمائه العائلي (أي أنها كانت مكانة موروثية). فمعني ذلك أن الأسرة أو الجماعة القرابية التي ينتمي إليها الفرد هي التي ترسم الزيجات لأفرادها وهي التي تحدد - إلي مدي بعيد - طبيعة العلاقة بين زوجين من أعضائها. بمعني آخر أن الأسرة كانت فوق الزواج.⁽²⁶⁾

أسئلة على الفصل الثالث

- 1- لماذا يتزوج الناس : الأسباب والتطلعات ؟
- 2- اعرض لنشأة الأسرة وأهميتها .
- 3- ما هي توقعات الدور والتوافق فى الزواج ومهام كل من الزوجين ؟
- 4- ما أشكال الزواج المختلفة ؟

المراجع

- 1 - عبد الباسط عبد المعطي, العولمة والتعليم والتنمية البشرية, جامعة الدول العربية, 2001, ص ص 61 - 63.
- 2 - المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية, المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري 1952 - 1980, القاهرة, 1985, ص ص 146 - 147 .
- 3 - سناء الخولي, الزواج والعلاقات الأسرية, دار المعرفة الجامعية, ب.ت, ص ص 131 - 132.
- انظر أيضا: أمل سالم العواودة, العنف ضد الزوجة في المجتمع الأردني, مكتبة الفجر, الأردن, ط1, 2002, ص ص 21 - 36.
- 4 - سامية الساعاتي, الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي, دار النجاح, بيروت, 1973, ص 108.
- 5 - المرجع السابق, ص ص 244 - 246.
- 6 - السيد عبد العاطي وآخرون, الأسرة والمجتمع, دار المعرفة الجامعية, 1998, ص 36.
- 7 - سناء الخولي, مرجع سابق, ص 133.
- انظر أيضا محمد أحمد بيومي, المشكلات الاجتماعية: دراسات نظرية وتطبيقية, دار المعرفة الجامعية, 1993, ص ص 113 - 200.
- 8 - المرجع السابق, ص ص 134 - 135.
- 9 - علياء شكري, الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة, دار المعارف, ط2, 1981, ص ص 149 - 150.
- 10 - المرجع السابق, ص 151.

- 11 - سناء الخولي, مرجع سابق,ص 135.
- 12 - محمد عبده محجوب, أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة, السلسلة السوسيو أنثروبولوجية, الكتاب الأول, دار المعرفة الجامعية, ب.ت, ص ص 117 - 118.
- 13 - المرجع السابق, ص 119.
- 14 - غريب سيد أحمد وآخرون, دراسات في علم الاجتماع العائلي, دار المعرفة الجامعية, 1995, ص 17.
- 15 - السيد عبد العاطي وآخرون, مرجع سابق, ص ص 8 - 9.
- 16 - علياء شكري وآخرون, مرجع سابق, ص ص 174 - 175.
- راجع أيضا سامية الساعاتي, علم اجتماع المرأة: رؤية معاصره لأهم قضاياها, مكتبة الأسرة, 2003, ص ص 45 - 74.
- 17 - السيد عبد العاطي وآخرون, مرجع سابق, ص 37.
- راجع أيضا: هادي مختار رضا, عدم الاستقرار الأسري, دراسة ميدانية, حوليات كلية الآداب, جامعة الكويت, 1998, ص ص 14 - 31.
- 18 - المرجع السابق, ص 38.
- 19 - سناء الخولي, مرجع سابق, ص ص 196 - 198.
- راجع أيضا: بسامة خالد المسلم, أنماط التزاور الأسري وعلاقته بالتنشئة الاجتماعية, مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية, عدد 101, ابريل - يونيو, 2001, ص ص 47 - 77.
- 20 - المرجع السابق, ص ص 199, 200.
- 21 - علياء شكري(اشراف), دراسات في علم الاجتماع العائلي, دار المعرفة الجامعية, 1991, ص ص 234 - 235 .

- راجع أيضا: فاطمة نذر, التنشئة الديموقراطية كما يدركها الوالدان والأبناء في الأسرة الكويتية: دراسة ميدانية, مجلة العلوم الاجتماعية, العدد 4, شتاء, 2001, ص ص 87 - 114 .
- 22 - السيد عبد العاطي وآخرون, مرجع سابق, ص ص 12 - 13.
- 23 - السيد رشاد غنيم, في غريب سيد أحمد (وآخرون), مرجع سابق, ص 16.
- 24 - السيد عبد العاطي وآخرون, مرجع سابق, ص 11.
- 25 - علياء شكري, الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة, مرجع سابق, ص ص 135 - 136.
- راجع أيضا: سامية الساعاتي, علم اجتماع المرأة: رؤية معاصرة لأهم قضاياها, مرجع سابق, ص ص 19 - 35 .
- 26 - المرجع السابق, ص ص 137.

الفصل الرابع العائلة: بعض القضايا والأدوار

أولاً : أدوار الأسرة ووظائفها

ثانياً : التنشئة الاجتماعية وشروطها

ثالثاً : اهتمام الإسلام بالأسرة

رابعاً : الأسرة والتغيرات التكنولوجية

1 - دور الأسرة: الايجابيات والسلبيات

2 - مشكلات في الأسرة والجهود المبذولة لمواجهتها.

3 - أهم وسائل العلاج.

تقوم العائلة بمجموعة من الوظائف الجوهرية، وهي في معظمها وظائف اجتماعية حيث أن هناك تداخلا وتفاعلا مع أبنية المجتمع فالأسرة دورها أساسي وفعال داخل المجتمع، وهذا ما سنعرض له خلال هذا الفصل.

أولا: أدوار الأسرة ووظائفها

تختلف وظائف الأسرة Family functions، كما اختلف بناؤها أيضا، اختلافا كبيرا. حيث يؤكد بعض الباحثين أن العديد من المجتمعات القديمة- التي توصف بأنها مجتمعات لا تقوم علي نظام السوق أو النظام القانوني أو حتى النظام السياسي - كانت تعرف البناءات الأسرية (1)، تلك البناءات كانت تقوم بمجموعة من الوظائف الأساسية.

ولقد أكدت العديد من الدراسات التي تناولت ثقافات مختلفة، كمحاولة للتعرف علي العوامل التي لها طبيعة عالمية، أن الأسرة علي الرغم من اختلاف أشكالها ودرجة تطورها تؤدي بعض الوظائف للفرد والمجتمع، وترتبط كل هذه الوظائف مع بعضها البعض. حتى أننا نستطيع القول أن استمرار تأثير الأسرة كمؤسسة اجتماعية يرجع إلي الوظائف التي تؤديها للمجتمع والتي تساعد علي بقائه. ووفقا لهذا الرأي فإن أنماط السلوك في الأسرة ترتبط بمعايير المجتمع الذي تشكل الأسرة جزءا منه، وعلاوة علي ذلك فهي تميل إلي اعتناق الأنماط المعيارية في ذلك المجتمع. فهناك تفاعل متبادل وعلاقة تعاونية بين الأسرة والمجتمع، حتى أننا نلاحظ أن الفترات التي تضطرب فيها معايير المجتمع أو تتغير بسرعة، فإن الأسرة أيضا تتغير، لأنها أهم عناصر البناء العام للمجتمع. ومن ثم فإن دراسة الأسرة كمؤسسة تميل إلي تحليل العلاقات القائمة والمتغيرة بين الأسرة والمجتمع، بدلا من تحليل الأسرة النووية Nuclear family باعتبارها نظام اجتماعي

Social system قائم بذاته وهو اتجاه كثير من علماء الأسرة المعاصرين⁽²⁾.

وهناك العديد من الوظائف البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية التي تقوم بها الأسرة من أهمها:

1 - الإشباع الجنسي لكل من الزوج والزوجة بطريقة يعترف بها الدين والمجتمع.

2 - إنجاب الأطفال وبذا يستمر الجنس الإنساني.

3 - حماية الأطفال وتنشئتهم, فالطفل الإنساني - مقارنة بالحيوانات الأخرى - يكاد يكون أكثر المخلوقات اعتماداً علي أبوية, فلا بد أن يقوم شخص بتغذيته وتنظيفه وتغطيته بالملابس وهو لا يمكنه الحركة من مكان إلي مكان بنفسه إلا بعد مرور فترة من الزمن, كما أنه يحتاج إلي رعاية لفترة طويلة نسبياً لكي يصبح عضواً نافعاً في المجتمع.

4 - تقوم الأسرة بتوزيع العمل علي أعضائها فيقوم الأب مثلاً بالإصلاحات المنزلية البسيطة بينما تقوم الأم بالغسل والطهي ويشترك الجانبان في رعاية الأطفال.

وتكاد تكون وظيفة التنشئة الاجتماعية هي الوظيفة الأساسية للأسرة فهي - كعملية اجتماعية شاملة تستهدف نقل ثقافة المجتمع إلي الفرد, وطبعه بطابع الجماعة التي يولد فيها ويتعامل معها, وتستحوذ الأسرة علي جزء أساسي من هذه العملية الهامة, فعن طريق التنشئة الاجتماعية يتعلم الطفل آداب السلوك مع الكبار ومع الزوار, وآداب المائدة, والأصول المتبعة في الملابس, والمفاهيم الأساسية للدين وشعائره, كما تتعلم الطفلة البنت أن عليها سلوكاً خاصاً لأنها بنت, ويتعلم الطفل الذكر أن واجباته تختلف لأنه ذكر,

ويعتاد الطفل أنواعاً معينة من اللعب ويردد أنواعاً معينة من القصص والأغاني.. الخ فيصبح بذلك طفلاً مصرياً ينطبع بالطابع الريفي إذا نما في القرية وبالطابع الحضري إذا نما في المدينة. علي أن البحوث الميدانية لم تتناول كل هذا بالبحث وإنما اهتمت بجوانب معينة مثل الرضاعة والفظام والتغذية وضبط الإخراج والتربية الاستقلالية.⁽³⁾

لقد اهتم عدد من الباحثين^(*) بعملية التنشئة فكانت أهم نتائج هذه البحوث هي ما يلي:

1 - أن الاعتماد علي الرضاعة الطبيعية في تغذية الرضيع ظاهرة عامة في مجتمع القرية ولا يزال هذا هو الأسلوب الأساسي في المدينة حيث تلجأ فئة محدودة من الأمهات إلي الرضاعة الصناعية أو الجمع بين هذا وذلك في وقت واحد. وتميل كثير من الأمهات العاملات إلي الرضاعة الصناعية خاصة بعد الشهر السادس.

2 - إن أغلب الأمهات لا يضعن أي قيود علي رضاعة الطفل فالأم تقدم تديبها للطفل كلما بكى، وفي حالات محددة - بارتفاع مستوي تعليم الأم والأب - تنظم الأم مواعيداً لرضاعة الطفل.

3 - أن الأمهات يقمن بفظام الطفل.. إذا لم يبتعد هو من نفسه، أما فجأة أو بالتدريج. وتستعين أغلب الأمهات وخاصة الريفيات بالصبار أو المواد الحريفة في عملية الفظام. هذا، وقد بدأ بعض الأمهات الحضريات في تحويل الطفل إلي أطعمة بديلة عن ثدي الأم في المراضع الزجاجية

* - محمود عبد القادر وإلهام عفيفي، الأساليب الشائعة الاجتماعية في الريف المصري، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، يناير 1975.
- محمد سعيد فرج، دراسات في المجتمع المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، 1976.

- 4 - أن الفطام التدريجي يشيع في المدينة أكثر منه في الريف.
- 5 - أنه يتم فطام الطفل في الريف في سن أكبر منه في المدينة حيث تستمر التغذية الطبيعية في المدينة من حوالي سنة ونصف بينما تصل في القرية إلي ثلاث سنوات.
- 6 - أن طفل القرية - بعد عملية الفطام - ينتقل من لبن الأم إلي غذاء الأسرة العادي بدون مرحلة وسيطة, أما طفل المدينة فتعد له الأم وجبات خاصة مثل اللبن الزبادي والفاكهة المطبوخة والخضار المسلوق قبل أن ينتقل إلي غذاء الأسرة العادي.
- 7 - أن الأسرة الريفية تلجأ عادة إلي العقاب البدني والتهديد به حتى يتم تدريب الطفل علي ضبط عملية الإخراج أما في المدينة فإن غالبية الطبقة الوسطي تلجأ إلي النصح وإلي التوبيخ في بعض الأحيان.
- 8 - أن عملية التدريب علي الإخراج هذه تتم في الريف في سن أكبر مما يحدث للطفل في المدينة.

-
- محمد سعيد فرج, الطفولة والثقافة والشخصية, منشأة المعارف بالإسكندرية, 1977.
 - المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية, بالتعاون مع الأمم المتحدة للأطفال, بحث احتياجات الطفولة في ج.م.ع الأمم المتحدة للأطفال, القاهرة, 1974.
 - محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون, التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية, القاهرة, 1967.
 - إنعام عبد الجواد, أساليب التنشئة الاجتماعية لدي مجموعة من الأمهات المتعلمات وغير المتعلمات في أسر قاهرية, رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة عين شمس, القاهرة, 1974.
 - جامعة الإسكندرية, أبحاث إعادة بناء الإنسان المصري, التقرير الرابع, الطفل المصري في إطار الرعاية الصحية والنفسية, الإسكندرية, بدون تاريخ نشر.
 - عايدة هانم عبد اللطيف يوسف, التنشئة الاجتماعية, دراسة في المجتمعات الريفية والحضرية, رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة المنيا, المنيا, 1977.
 - نجيب اسكندر وعماد إسماعيل, الاتجاهات الوالدية- في تنشئة الطفل, دار المعرفة, القاهرة, 1959.
 - في تنشئة الطفل, دار المعرفة, القاهرة, 1959.

9 - أن تعويد الأبناء الاعتماد علي النفس من موقف لآخر في الأسر أمر غير وارد بمعناه الكامل بين الأسر المصرية بوجه عام, وإن اختلفت درجات الاعتماد علي النفس من موقف لآخر في الأسر الريفية والحضرية, فالطفل في الريف والفئات محدودة الدخل في المدينة يخرج للعب في الشارع أكثر من طفل المدينة والطفل في الريف يستقل اقتصادياً ويقف في سوق العمل في سن مبكر مقارنة بطفل المدينة.

10 - أن الطفل الذكر لا زالت له مكانة في الأسرة وإن كان هذا واضحاً في القرية أكثر منه في المدينة.

11 - إن هناك تفضيل للابن الأكبر في القرية عنه في المدينة⁽⁴⁾.

وسنركز علي التنشئة الاجتماعية باعتبارها أهم وظائف الأسرة.

ثانياً : التنشئة الاجتماعية وشروطها

يعد نسق الأسرة هو المحيط المباشر الذي يحدث فيه التفاعل بين الآباء والأبناء ويطلق علي المفهوم الرئيسي لهذا المدخل بين الآباء والأبناء ويطلق علي المفهوم الرئيسي لهذا المدخل مصطلح التنشئة الاجتماعية Socialization ويؤكد كل من الكين Elkin وهاندل Handel علي ضرورة وجود ثلاثة شروط أساسية للتوصل إلي تنشئة اجتماعية ملائمة أو صحيحة⁽¹⁾.

وينطوي الشرط الأول, علي أن الطفل حديث الولادة يدخل مجتمعاً موجوداً بالفعل Existing Society له قواعده ومعاييره وقيمه واتجاهاته, وبه بناءات اجتماعية عديدة منتظمة ومنمطة, ومع ذلك تتعرض للتغير باستمرار, ولا يكون للطفل الوليد غير المهيب اجتماعياً أي علم بهذه العمليات

- Hamed Ammar , Growing up in an Egyptian Village, Silwa province of Aswan, routladg and Kegan- Paul London, 195

أو البناءات أو التغيرات، وتكون وظيفة أنماط التفكير والشعور والعمل في مثل هذا المجتمع تحديد الوسائل والطرق التي يجب أن يمر فيها "القادم الجديد" New comer ومن المعروف أن هذه الوسائل والطرق هي التي تشكل عملية (أو عمل) التنشئة الاجتماعية.

أما الشرط الثاني للتنشئة الاجتماعية الملائمة، فهو الميراث البيولوجي Biological Inheritance الذي يسمح لعمليات التعليم بالحدوث. ذلك أن العقل والجهاز الهضمي، والقلب النابض كلها متطلبات أساسية وضرورية من أجل التنشئة الاجتماعية. وبالرغم من أهمية هذه المتطلبات وحيويتها إلا أنها غير كافية، لأن هناك عوامل معينة مثل إصابة العقل أو المخ أو الصمم، وكذلك الطول الشديد أو القصر الشديد، أو شكل الأنف والذقن، ومجموعة كبيرة من الشروط الجسمانية قد تعوق أو تؤثر في عمليات التفاعل والتنشئة الاجتماعية. ويجب أن يكون واضحاً أنه علي الرغم من أهمية الميراث البيولوجي في عمليات التعلم وضرورته، إلا أنه لا يشكل جانباً جوهرياً في عملية التنشئة الاجتماعية المتكاملة ذلك لأنه من المعروف أن هناك احتياجات معينة مثل الشراب والنوم تكون أساسية من أجل البقاء، ويمكن إشباعها بطرق مختلفة، كما أن المزاج والذكاء بيولوجي في أساسه، إلا أن نموها وتطورهما واتجاهها يتأثران إلي حد كبير بالمجتمع الذي يولد فيه الطفل.

ويتمثل الشرط الثالث للتنشئة فيما يسمى "الطبيعة الإنسانية" Human nature. وهي هنا تشير إلي عوامل معينة وعالمية بين البشر. أي أنها تميز البشر في حالة مقارنتهم بالحيوانات الأخرى. ويرى مدخل التفاعل الرمزي كما سبق أن أشرنا أن الطبيعة الإنسانية تتضمن المقدره علي القيام بدور

الآخرين وكذلك المقدرة علي الشعور مثلهم أو عموماً المقدرة علي التعامل بالرموز Symbolic وهذا يعني إعطاء المعني للأفكار المجردة، ومعرفة الكلمات، والأصوات، والإيماءات، فالغمز بالعين مثلاً، والمصافحة باليد، والإيماء بالرأس، كل هذه أشياء يكون لها معني تبعاً لمقدرة الفرد علي فهم ما ترمز إليه. وبصفة عامة نستطيع أن نقول أن هذه الأشياء طبيعية، وينفرد بها البشر دون غيرهم من المخلوقات.⁽⁵⁾

وتم عملية تكوين وإعداد الشخصية الإنسانية للحياة في المجتمع علي مرحلتين أساسيتين هما:

(أ) مرحلة التهيئة أو تنسيق القوي والاستعدادات البيولوجية والنفسية وغيرها بحيث يصبح الفرد مهياً لعملية التنشئة الاجتماعية.
(ب) عملية التنشئة الاجتماعية ذاتها.

ومن العناصر الأساسية التي تقوم علي تحقيقها مرحلة الهيئة للتنشئة الاجتماعية تنمية القدرات الأساسية - التي تكون في حالة كمون أو قصور عند الولادة - وكذلك بذر البذور الأولي لتقنة الإنسان في نفسه وتكوين إيقاعات الحياة الأساسية التي يختلف شكلها اختلافاً بعيداً من ثقافة لأخرى (كالجوع، والعمل، والاسترخاء، والنوم والعطش، والأمن الجسمي والنفسي.. الخ). وكذلك تدريب الفرد علي النظافة بمفهومها الواسع. وتعد العملية الأخيرة من أصعب عمليات التهيئة لما تتطلب عليه من تنظيم عمليات اخرج البول والبراز، وتضطلع بالدور الأكبر، وربما الوحيد - في انجاز مرحلة التهيئة هذه والإشراف عليها الأم.

وتمثل المرحلة الثانية صلب عملية التنشئة الاجتماعية الحقيقية والتي تعد إيذاناً بدخول الفرد عالم العلاقات الاجتماعية المنظمة. وهنا يبدو بأقصى

درجة من الوضوح مدي ضخامة وتنوع تأثير الأسرة علي الفرد.ويمكن أن نلخص هذه العملية بقولنا: أن أعماق طباع الفرد وشخصيته تتكون من خلال هذه المرحلة في الفترة من السنة الأولى حتى السنة الرابعة من العمر, وذلك في نطاق الأسرة الضيق, أي في مجال العلاقات بين الطفل ووالديه واخوته وأقاربه المقربين الذين يشاركون الأسرة معيشتها داخل نفس البيت.

ولا يصح أن نفسر ذلك الحكم العام تفسيراً خاطئاً بأن نذهب في تأويله إلي الاعتقاد بأن المراحل التالية من حياة الفرد لا تضيف إلي شخصيته وإلي طباعة شيئاً حاسماً, بل العكس هو الصحيح: فكل خطوة يخطوها الصغير خارج نطاق الأسرة الصغيرة تفتح أمامه آفاقاً جديدة للحياة, وتدفعه إلي عمليات جديدة مستمرة للتنشئة الاجتماعية وإعادة التنشئة. فالتعلم واكتساب خبرات جديدة لا يتوقف حتى مراحل الشيخوخة المتأخرة, ولكنه يظل صحيحاً مع تأكيدنا أن أياً من تلك الخبرات, أو عمليات التنشئة التي يمر الفرد بها يمكن أن يصيبه بنفس العمق الذي أصابته به خبرات الطفولة الأولى التي اكتسبها داخل دائرة الأسرة الصغيرة في سنوات العمر الأولى⁽⁶⁾.

ثالثاً : اهتمام الإسلام بالأسرة

استعبد الإسلام طرق التناسل أو تكوين الأسرة بغير طريقة الزواج, وذلك لتكوين الأواصر القوية بين كل أفراد الأسرة, قريبتها وبعيدها, وقاصيها ودانيها, وبعض إلي المؤمن أن يسلك في تكوين الأسرة طريقاً غير الزواج. وبهذا المعني السامي في الزواج حث الإسلام عليه ودعا إليه. فقد روي أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال: رسول الله صلي الله عليه وسلم, "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج, فإنه أغض وأحصن للفرج, ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"

وقد حث الإسلام علي تكوين الأسرة، ودعا إلي أن يعيش الناس في ظلها. فهي الصورة الطبيعية للحياة المستقيمة التي تلبي رغائب الإنسان وتفي بحاجاته. وهي الوضع الفطري الذي ارتضاه الله لحياه الناس منذ فجر الخليقة وفضله لهم. واتخذ من الأنبياء والرسل مثلا فقال سبحانه "لقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية".

قال تعالى: "والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات. أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله وهو يكفرون". حيث خلق الله حواء من ضلع آدم، وسائر البشر من نطف الرجال والنساء، وبهذا يحدد الإسلام الوظيفة الأولى بحفظ النوع البشري، بقصد استمرار الحياة الاجتماعية. كذلك يقول تعالى في محكم آياته: "خلقكم من نفس واحدة. ثم جعل منها زوجها، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج، يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث. ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون" (7).

وفي إطار الأسرة يتم تنظيم الطاقة الجنسية التي خلقت في الإنسان الذكر والأنثى. فقد شرع الزواج والأسرة ليكون الزواج أداة وتكون الأسرة وعاء شرعيا نظيفا ودائما ومستقرا لاستقبال هذه الطاقة وتوظيفها في المحل الصحيح وتوجيهها الوجهة السليمة. لتحقيق استمرار الجنس البشري، فقد قال تعالى: "وبث منهما رجالا كثيرا ونساء". هذه الحقيقة التي يقرها القرآن الكريم هي حكمة مقررة منذ الأزل، وهي مطلب موجود في أصل فلسفة الإنسان. ولذلك وصف القرآن الكريم البنين بأنهم أحد عنصرين هما زينة الحياة الدنيا وبهجتها (المال والبنون). وقال النبي صلي الله عليه وسلم: "تاكحوا تكاثروا فإنني مباه بكم الأمم يوم القيامة". والمفهوم أن المباهاة

ليست بالكثرة في ذاتها ولكن بكثرة العمل الصالح والالتزام بأوامر الله والانتهاز عما نهى عنه. وهي أيضا وظيفة تربوية، فعلى الأسرة يقع قسط كبير من واجبات التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة، بل في المراحل التالية كذلك. وبفضل الحياة في الأسرة يتكون لدى الفرد الروح العائلي والعواطف الأسرية المختلفة، وتنشأ الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية المنتظمة. فالأسرة هي التي تجعل من الطفل حيوانا مدنيا، وتزوده بالعواطف والاتجاهات اللازمة للحياة في المجتمع وفي البيت.

وتقوم الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية وما تتضمنه هذه العملية من تعلم الطفل لغته وعادات مجتمعه ودينه وكيفية الامتثال لنظم المجتمع والمحافظة على تراثه. ومن المعروف أن الأسرة في المجتمعات الصناعية الحديثة قد فقدت الكثير من أسس ترابطها وعوامل تماسكها منذ بداية النهضة الصناعية في القرن التاسع عشر نتيجة لازدياد عدد السكان وتدفق المهاجرين من الريف إلى المدن طعما في مستوي أعلى من الدخل، وعدم توافر المساكن الصحية المناسبة، وارتفاع تكاليف المعيشة بما لا يسمح بإعالة الأصول والفروع، وقلة فرص التعاون والتكافل، والاعتماد المطلق في سد الاحتياجات المعيشية على المتخصصين. كل هذا كان من نتيجة أن قامت المؤسسات بجزء كبير من الأعباء الأصلية التي كانت منوطة بالأسرة القديمة والتي مازالت من أهم أعبائها في المجتمعات الريفية والبدوية، ومن هنا نشأت دور الحضانة ومنظمات التربية الرياضية والاجتماعية، والنوادي والمؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تعني بتربية الأطفال وعلاج ما قد يصيب بعضهم من انحراف أو جنوح⁽⁸⁾.

رابعاً: الأسرة والتغيرات التكنولوجية

هناك العديد من التغييرات التي حدثت علي مستوى العالم حيث أثرت التغييرات والاجتماعية في المجتمع علي وظائف الأسرة فانكشمت..ولعل أهم هذه التغييرات هي ما يلي:

1 - انكماش دور الأسرة الاقتصادي فالأسرة في المجتمعات الزراعية وحدة اقتصادية واجتماعية في نفس الوقت, تنتج كل ما تحتاج في استقلال يكاد يكون تاما. هذا النوع من الأسرة الذي يعتمد علي نفسه في كل شئ يختفي بالتدريج في مجتمعنا كما حدث في المجتمعات المصنعة وانتقلت بذلك المسؤولية الاقتصادية من الأسرة إلي المجتمع الأكبر.

2 - انكماش دور الأسرة التكافلي ومسئوليتها في رعاية الفئات المنتجة مثل الأطفال والمسنين والعاطلين والمرضي بقيام الدولة بجزء كبير من المسؤولية عن طريق التأمينات الاجتماعية والمساعدات وإنشاء دور رعاية المسنين والمستشفيات...إلخ.

3 - انكماش دور الأسرة التعليمي بقيام الدولة بإنشاء دور الحضانة والمدارس.

4 - انكماش دور الأسرة الترويحي والثقافي بقيام الدولة بإنشاء مراكز الشباب وتنظيم المعسكرات وتدعيم الأندية وكذا تنظيم البرامج الثقافية في الإذاعة والتلفزيون والمتاحف والمعارض ودور الثقافة.

5 - انكماش دور الأسرة في الإنجاب والاستمتاع بهذه العملية كأساس لقيام أسرة ناجحة فقد أدت الدعوة إلي تحديد النسل إلي شعور الآباء بالخطأ والذنب عند إنجاب أكثر من طفلين مما ينعكس علي الطفل الثالث والرابع.

6 - انتقال كثير من مسئوليات الأسرة إلي هيئات عامة, فقد كانت الأسرة مسئولة - علي سبيل المثال - عن الإنارة والمياة وتخزين الطعام وتفصيل الملابس بل ونسجها في بعض الأحيان.. كل هذا انتقل إلي جهات مركزية للإنارة بالكهرباء وتوصيل المياة للمنازل وخرن المأكولات (محلات البقالة بأنواعها) وإلي مصانع الملابس الجاهزة⁽⁹⁾.

وقد عكست هذه التغيرات وغيرها تأثيراً ملحوظاً في أدوار الأسرة واهتماماتها مما أدي إلي تقلص وظائفها إذ تقوم الأسرة بمجموعة من الوظائف الجوهرية وهي كلها وظائف اجتماعية بمعنى أن هناك تداخلاً وتفاعلاً مع أبنية المجتمع. ويقسم البعض هذه الوظائف كما سبق أن أشرنا إلي مجموعتين متميزتين, الأولى هي الوظائف الفيزيقية (أو المادية) وهي سبيل المثال: التكاثر, والوظيفة الاقتصادية, ووظيفة الحماية...الخ. والمجموعة الثانية هي الوظائف الثقافية والعاطفية والاجتماعية, مثل: تكوين الفرد عن طريق الثقافة والتربية والتنشئة الاجتماعية, وازدهار ورفاهية كل عضو من أعضاء الأسرة.

وكانت الأسرة الممتدة فيما مضى, وخاصة في النظام القائم علي الاقتصاد الريفي, تقوم بمجموعة الوظائف الفيزيقية. وكذلك وظائف التكوين والتنشئة الاجتماعية, وأصبح هناك من الآن فصاعداً أطراف أخرى تتدخل لتمارس هذه الوظائف المختلفة بدلاً من الأسرة, أو بالتعاون معها.

وتحولت الوظيفة الاقتصادية من وظيفة إنتاج إلي وظيفة استهلاك, حتى أن المنتجات الخام في البيئات الريفية لم يعد تحويلها في المنزل إلي سلع صالحة للاستعمال, فقد أصبحت الصناعة تتولي هذه المهمة بشكل مطرد. ونلمس بوضوح أن الاتجاه العام لتطور عمليات تجهيز وإعداد

المنتجات الغذائية والملابس والمعدات المنزلية يسير نحو جعل تلك المنتجات جاهزة للاستهلاك مباشرة. ويتحدد شكل المنتجات المعروضة للاستهلاك عن طريق دراسات السوق وعن طريق البحوث الاجتماعية التي تحاول تحقيق الاستجابة لرغبات الجمهور. ومن هذه الزاوية يمكن القول بوضوح بأن تأثير الأسرة علي توجيه الصناعة أصبح تأثيرا كبيرا⁽¹⁰⁾.

أما الوظيفة التي تحتكرها الأسرة دون أي مؤسسة أو نظام آخر فهي وظيفة الإنجاب. فالنسبة الغالبة من المواليد يولدون داخل أسر، ولا تزيد نسبة المواليد خارج نطاق الأسرة (أي من 180 علاقات جنسية غير مشروعة) عن 6% في المتوسط في المجتمعات الغربية ولكنها تقل عن ذلك كثيرا في المجتمعات التقليدية.

ولكن حتى في هذا المجال الذي يبدو لأول وهلة فرديا تماما نجد أن هناك طرفا ثالثا يملك اليوم تأثيرا حاسما ممثلا في الدولة، فالدولة تستطيع عن طريق سياستها الأسرية (والسكانية) وحسب احتياجاتها واتجاهات سياستها العامة أن تشجع المواليد وان تساعد الأسرة الكبيرة العدد (وذلك من خلال تقديم إعانات عائلية، وإعانات للسكن، ومنح تخفيضات ضريبية، وتخفيضات في وسائل المواصلات، وميداليات للأسر الخ). أو علي العكس من ذلك تستطيع الدولة أن تضع برامج لتخفيض عدد المواليد (عن طريق تشجيع تحديد النسل، وإباحة الإجهاض، وحملات التعقيم.. الخ) وذلك إذا كانت زيادة أعداد السكان تحتم ذلك في بعض البلاد النامية مثلا. أما وظيفة الحماية (كالدفاع عن الحريات، والحماية الجسدية، والوظيفة الوقائية والصحية) والتي تتم ممارستها بالتضامن بين الجماعة الأسرية الممتدة، فإن هناك مؤسسات متعددة تقوم بها ويتيسر للجميع الاستفادة من التقدم العلمي وخاصة في

المجال الصحي. وحتى في مجال العناية التي تتم في المنزل، فإن الدولة تتدخل لكي تشجعها وتيسرها وذلك عن طريق وضع أنظمة للتأمينات الاجتماعية، فتتحمل الجزء الأكبر من مصاريف المرض أو الوقاية الصحية، ويحل تضامن الأمة - لصالح الأسرة - محل التضامن القرابي الذي كان موجودا في الماضي، وذلك عن طريق القيام بإعادة وزيادة متوسط العمر، وتحسين مقاييس النمو الفيزيقي (الوزن وطول القامة) إنما تدل علي فعالية هذه الإجراءات جميعا.

وقد أصبحت وظيفة التعليم هي الأخرى وظيفة تمارسها الدولة. فقد جعلتها إجبارية بالنسبة للجميع. وهي تنشئ المباني المدرسية وتعد المعلمين وتعينهم، وتقدم المنح والمكافآت الدراسية لكي تخفف من آثار عدم المساواة في الدخول وتحقق تكافؤ الفرص في التعليم علي قدر الإمكان. ولكن الأسرة لا يمكن أنها تلقي بعبئها كاملا علي الدولة في هذه الوظيفة فقد أتضح من الخبرة ضرورة قيام التعاون الوثيق بين الآباء والمؤسسات التعليمية سواء في وضع البرامج والمناهج وفي التوجيه أو في علاج المشكلات النفسية ومن هنا تتضح الأهمية المتزايدة لجمعيات الآباء التي تقوم في المدارس لتحقيق التعاون بين هيئة المعلمين وبين آباء التلاميذ⁽¹¹⁾.

ولكن الأسرة تمثل بيئة لا تعوض بالنسبة للتربية بمعناها الدقيق، ولتكيف الطفل ليصبح عضوا فعالا في المجتمع، وتنمية شخصيته وقدراته الخاصة. وقد تكلفت بتوضيح تلك الحقيقة. الهامة عشرات الدراسات الحديثة في علم نفس الطفل⁽¹⁾. وهكذا نري الأسرة قد أصبحت أخيرا في شكلها الحديث المكان الذي يجد فيه الرجل والمرأة - بعد تحررها من عوامل

القهر الاجتماعي - ملاذا من وحدة المجتمع. ويتجهان عن طريق الاتصال والتعاون نحو الرخاء بمفهومه الحديث⁽²⁾.

ويشير التراث العلمي في الاجتماع العائلي إلي تلك الظاهرة باسم "تقلص وظائف الأسرة".

وواضح من ظاهرة التسمية أن المؤلفين الكلاسيكيين الذين سجلوا هذه الظاهرة قد اتخذوا منها موقفا سلبيا. أو علي الأقل اعتبروا فيها تهديدا يمثل خطورة علي مكانة الأسرة وعلي مستقبلها. إذ أننا يمكن أن نجد من يخلط بسهولة بين "تقلص الوظائف" و"تقلص الأسرة". ومن هنا نطرح علي أنفسنا نفس السؤال:- هل يمكن القول بأن تقلص وظائف الأسرة في المجتمع المعاصر يمكن أن يؤدي إلي نوع من التفكك الأسري⁽³⁾.

إذ جاز القول بأن التخصص وتقسيم العمل يؤدي إلي تفكك المجتمع الحديث، فإنه يمكن القول بنفس القدر ووظائف الأسرة يمكن أن يؤدي إلي تفكك الأسرة ولكننا رأينا كيف أن التخصص وتقسيم العمل في المجتمع قد أدى إلي تدعيم التضامن الاجتماعي علي نحو لم يشهده المجتمع الإنساني من قبل، كذلك نقول أن تقلص وظائف الأسرة قد حول أعضائها إلي مجموعة من الشخصيات المستقلة التي لا سبيل أمامها للوجود والحياة داخل إطار واحد سوي تكوين شبكة جديدة من علاقات التآلف الحميمة التي تنهض علي أساس من الاقتناع والعاطفة لم يكن له نظير في الأسرة من قبل، لأنه وليد إرادة مستقلة وليس وليد حاجات مادية أو اجتماعية ملحة. وسنعود إلي هذه النقطة في كلامنا عن مزايا التقلص الوظيفي وعيوبه ولكننا نكتفي بأن نجيب عن السؤال السابق بتأكيد أن هذا التقلص لا يعني بالضرورة حدوث نوع من التفكك الأسري⁽¹²⁾. ونتيجة التغيرات الاجتماعية والثقافية التي يعتبرها البعض

شديدة الوطأة علي نظام الأسرة في ظل هذه التغيرات المتلاحقة العكس ذلك علي تفكك الأسرة متمثلاً بأعلى صورة في الانفصال بين الزوجين وهدم للأسرة.

إذ يلاحظ إن زيادة نسب الطلاق في مجتمعات اليوم يرجع أهم أسبابه إلي اختلاف المستوي الثقافي والاجتماعي والاقتصادي بين الزوج والزوجة ومنها الحب الرومانتيكي الذي يسبق الزواج والذي يصطدم بواقع الحياة ومشتقاتها ومنها أيضا الخيانة الزوجية والمرض والعقم وغير ذلك.

وأما عن أثر هذا الطلاق علي الأطفال فلا شك إن ذلك له تأثيره الضار عليهم. فهؤلاء الأطفال يتعرضون لكثير من المآسي والضياع نتيجة لتخلف أساليب رعاية الطفولة وكذلك نتيجة لعدم كفاية المؤسسات والتنظيمات التي يكون من مهامها الاساسية رعاية هؤلاء. وحتى إذا كان أحد الأبوين هم الذين يرعون الأطفال فلا شك إن الطفل في حاجة لرعاية أبويه معا. فالام وما تضيفه من حنان ورعاية علي الطفل والأب ورعايته الدائمة له وتوجيهه أمر هام بالنسبة للنشئ⁽¹³⁾.

1 - دور الأسرة: الايجابيات والسلبيات

تشير نتائج كل من الدراسات التقليدية والحديثة للأسرة أن المؤسسات المتخصصة الحديثة تستطيع أداء كل (أو علي الأقل أغلب). الوظائف التي كانت تؤديها الأسرة في الماضي بنفس الكفاءة, إن لم يكن بشكل أكفأ ومن هنا يصبح من المنطقي أن نتساءل هل بعد ذلك يمكن أن نعتبر تخلي الأسرة الحديثة عن بعض وظائفها تدهورا للأسرة ؟

لا شك أن هذه النتيجة الواضحة تؤكد لنا أن هذه الظاهرة لا يمكن أن تعد تقلصا حقيقيا للأسرة ولا تدهورا لمكانتها. خاصة إذا أضفنا إلي بروز

الوظيفة الحقيقية للأسرة واتساحها أكثر فأكثر مع الوقت وأعني وظيفة بناء الشخصية الاجتماعية الثقافية للفرد. أي وظيفة التنشئة الاجتماعية وكذلك التربية العاطفية للفرد وتغذيته بالأحاسيس والمشاعر التي تكفل له مغالبة التوترات ومواجهة الأزمات, ولا توجد أي مؤسسة اجتماعية أخرى يمكن أن تؤدي هذه الوظيفة بمثل هذه الكفاءة أو حتى بكفاءة قريبة منها.

وهكذا توصل روبرت ماكيفر إلي هذه النتيجة الهامة التي يؤكد فيها بوضوح: "لما فقدت الأسرة وظيفة بعد أخرى عثرت في النهاية علي وظيفتها الحقيقية. فقد أصبحت رابطة أولية أصبح فيها الزوج والزوجة أبا وأما, تربط بينهما رابطة بسيطة. تذكيتها عاطفة خالصة نقية تبدأ في حب الوالدين والأطفال. ولا يمكن أن تجد تلك العواطف تعبيراً حراً عنها إلا في ظل هذه الأسرة الموحدة.. كلما نما المجتمع المحلي, كلما اتجهت الأسرة إلي اتخاذ هذا الشكل الموحد". وهكذا يحتم علينا أن نقوم هذه الظاهرة تقيماً جديداً في ضوء هذه الاعتبارات والمفاهيم الحديثة. يضاف إلي هذا بعد آخر وهو أن كل التغيرات والتعديلات التي طرأت علي ظروف الأسرة الممتدة لا تصدق إلا علي الفئات العليا المتميزة سياسياً واقتصادياً, فهي أساساً التي كانت تعرف هذا النظام. أما الطبقات الدنيا فهي في الغائب الأعم لم تعرف منذ الأزل سوي نظام الأسرة النووية. ومن الطبيعي أنه إذا كانت تلك الأسرة النووية الضعيفة لا تملك شيئاً. فأنها لا يمكن بالتالي أن تفقد شيئاً, وهي لهذا ظلت بعيدة عن تيارات التغيير العنيف. ولذلك فإن تقلص الوظائف لم يصب في الحقيقة سوي الأسر الكبيرة. ومن هذا لا يمكن أن نعتبره قانوناً عاماً أبداً(14).

أوضحنا من قبل أن الوظيفة الحقيقية للأسرة تتمثل في بناء وتكوين الشخصية الثقافية الاجتماعية للإنسان في إطار جماعة صغيرة تتميز علاوة علي هذا بأن أفرادها تجمع بينهم مشاعر وأحاسيس شديدة الألفة والقوة. ولكي نفهم أثر تلك الجماعة حق فهمه يجب علينا أن نرجع إلي تراث الأنثروبولوجيا الثقافية الحديث وإلي المعارف الغزيرة التي كشف عنها هذا العلم الحديث.

فهي توضح لنا بكل جلاء أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بعد مولده أكثر من ساعات قليلة دون مساعدة الغير. وذلك علي خلاف أغلب الفقرات العليا، التي تولد شبه "جاهزة" أو مستعدة للحياة معتمدة علي نفسها دون مساعدة كبيرة من ذويها.

ويدلنا ذلك علي أن البقاء البيولوجي للإنسان يخضع في جوهره للظروف والاعتبارات الاجتماعية التي تصيغه وتكفيه. وهنا تبدأ الوظيفة الحقيقية لجماعة الأسرة والتي لم يكن هناك أي مؤسسة أو نظام آخر يستطيع أن يحققها ولا حتى بشكل جزئي. خاصة في فجر الإنسانية.

ولهذا السبب ينهي عالم مثل رينيه كونيغ إلي القول بأن الميلاد البيولوجي للفرد ليس هو الأمر الحاسم في وجوده واستمرار وإنما العامل الحاسم هو "الميلاد الثاني" أي تكونه كشخصية اجتماعية ثقافية تنتمي إلي مجتمع بعينه وتدين بثقافة بذاتها. والأسرة هي صاحبة الفضل في تحقيق هذا "الميلاد الثاني" (15).

2 - مشكلات الأسرة والجهود المبذولة لمواجهتها

أدت التغييرات التي حدثت في مصر إلي تغييرات كثيرة ومتباينة في الأسرة المصرية نفسها ولا يمكن الحسم بأن هذه التغييرات كانت سلبية أو ايجابية أي ضارة أو نافعة.. فتراخي العلاقات الأسرية الذي تفرضه هجرة الأسر من الريف للحضر قد ينظر إليه البعض علي أنه تفكك في الأسرة الحضرية مقارنة بالأسرة الريفية المتماسكة.. كما قد ينظر إليه بعض آخر علي أنه تحرر لأفراد الأسرة الحضرية. أي أن التغيير الذي يحدث يؤدي في العادة إلي تدعيم كفاءة الأسرة، ومن فاعلية أفرادها كمواطنين في المجتمع وأن صحبته بعض المشكلات، وبوجه عام يمكن القول بأن التغيير الذي حدث في المجتمع المصري في مرحلة المسح قد دعم الأسر المصرية في كثير من النواحي، فقد زاد دخلها درجة، وأصبحت علاقة الزوج بالزوجة أكثر تكافؤاً، وحصلت المرأة علي حريات كثيرة، كما توفرت للأبناء فرص التعامل بديمقراطية أكثر مع آبائهم.. أي أن ما يسمى تراخيا في العلاقات الداخلية للأسرة المصرية قد أدي إلي مزيد من الحريات لأفرادها ومزيد من التكافؤ والديمقراطية في علاقاتها، ومن ثم صار أفراد الأسرة أكثر إسهاما في حياة الأسرة والمجتمع.. ونظرة واحدة إلي المرأة والشباب في بدايات هذا القرن توضح الانطلاقة الكبيرة للفتنيتين بعد أن كان الرجال ينفردون بفرصة التوجيه في الأسرة والمجتمع.

علي أن تغيير لا بد أن تصحبه مشكلات، وتزداد حدة هذه المشكلات بزيادة سرعة التغيير في المجتمع والأسرة بالتالي، وما حدث في المجتمع المصري والأسرة المصرية في مرحلة المسح كثير ولا شك فلا يمكن أن تقوم ثورة كثورة 23 يوليو دون أن تكون لها انعكاسات واضحة علي المجتمع عامة والأسرة خاصة: إعادة توزيع الأرض، دفعة كبيرة للتصنيع،

إصدار كثير من القوانين الاشتراكية، التخلص من التبعية السياسية والاقتصادية، خروج البنت للتعليم والمرأة للعمل، الانتقال إلى مرحلة الانفتاح الاقتصادي الاستهلاكي، الاشتراك في عديد من الحروب، الهجرة للبلدان العربية البترولية..إلخ، ومع كل هذه التغيرات أخذت المشكلات الأسرية التقليدية في الانحسار - علي غير المنتظر - فقلت معدلات الطلاق وكذا معدلات الزواج بأكثر من واحدة. من المشكلات الجديدة التي تحتاج إلي بحث ميدانية للتأكد من أبعادها مايلي: (16).

1 - المشكلات المصاحبة لخروج المرأة للعمل

أدي خروج المرأة للعمل إلي عديد من المشكلات مثل عدم توفر الوقت الكافي لرعاية الأبناء والزوج والبيت وقلق الزوجة والزوج نتيجة لهذا ومحاولة إقناع زوجها بإعادة النظر في توزيع الأدوار في الأسرة واشتراك الزوج في مسئوليات لم يعتد عليها مثل رعاية الأبناء دراسيا ونظافة البيت وما يصاحب هذا التغير من خلافات.

2 - صراع الأجيال

أدي التسارع في عمليات التغير إلي اتساع الفجوة بين الآباء وأبنائهم وإلي اتساع أكبر لها بين الأجداد والأحفاد مما حول الخلافات الطبيعية المحدودة بين أجيال الأسرة إلي مشاحنات ومشكلات تعاني منها أسر كثيرة في مصر. علي أن تكيف الآباء والأمهات مع التغير الجديد ومحاولتهم تقبل ثقافة الشباب المتحرر قلل كثيرا من حدة المشكلة، ويبدو أن الآباء أسرع تقبلا لثقافة الأبناء من الأمهات.

3 - المشكلات المصاحبة لارتفاع سن الزواج

أدى الارتفاع الملحوظ في سن الزواج إلي امتداد في الفترة الحرجة أي النضوج الجنسي لكل من الفتى والفتاة ونضوجهما الاقتصادي والاجتماعي والنفسي الذي يسمح بقيام أسر ناجحة, ومن هنا ظهر التعارض بين قيم الدين والمجتمع وممارسات بعض الشباب التي قد تصل إلي حد الانحراف.

4 - التضحية بالاستقرار الأسري في سبيل تحسين الدخل⁽¹⁷⁾.

زاد في السنوات الأخيرة من مرحلة المسح إقبال كثير من النساء المصريات علي العمل بمفردهن في البلدان العربية (بعيدا عن الزوج والأبناء) مما أدى إلي تغير مفاجئ في الأدوار الطبيعية لأفراد الأسرة وإلي عدم استقرار في حياة الأسرة كجماعة.

(أ) أصبح الزوج يقوم بدوري الأم والأب في آن واحد.

(ب) أصبح الأطفال الصغار يتحملون مسئولية رعاية أنفسهم في سن

مبكرة.

5 - انقسام الأسرة نتيجة للهجرة:

أدى ارتفاع معدلات الهجرة الداخلية والخارجية إلي تباعد مادي ونفسي بالتالي بين أفراد كثير من الأسر, فليس من الغريب أن نسمع الآن عن أسر عائلها في الكويت والأم مع الأطفال في احدي القرى بينما يدرس أحد الأبناء في احدي الجامعات في المدن.. هذا الشكل الجديد في الأسرة المصرية يصاحبه في الغالب تراخ في العلاقات يصل إلي درجة التباعد والجفوة والفتور الأسري بل إلي التفكك في كثير من الأحيان.. أي أن زيادة الدخل التي تأتي للأسرة مع الهجرة - سواء كانت داخلية أو خارجية - تصاحبها دائما خسارة مقابلة في انتظام الأبناء دراسيا وفي شعور الأفراد

بالدفع العاطفي والأمن النفسي الذي لا يمكن أن يأتي إلا من أسر بها حد أدنى من التماسك

6 - الزيادة المفاجئة في الدخل:

أدى تفجر البترول في البلدان العربية إلى اجتذاب أعداد ضخمة من المصريين أملا في التمتع بالدخل الكبير الذي توفره البلدان العربية الغنية. ونجح كثير من المصريين في تكوين ثروات لا بأس بها.. علي أن زيادة دخل هذه الأسر بطريقة مفاجئة وسهلة أدى إلى مشكلات عديدة لعل أهمها انغماس الأسرة انغماسا مرضيا في الإنفاق الاستهلاكي الكمالي والتفاخري، وإلى ظهور فئة من الأبناء لا يعرفون معنى الكد وبذل الجهد والعرق والادخار لبناء الأمان الاقتصادي لأسرهم.

7 - المشكلة الإسكانية:

أدى التزايد السكاني وارتفاع معدلات الهجرة الداخلية إلى ظهور مشكلة جديدة في فترة المسح لم تكن موجودة من قبل هي مشكلة الإسكان، ولو أن هذه المشكلة قد ذكرت في الفصل الخاص بالإسكان إلا أن ارتباطها الشديد بتكوين أسر جديدة حتم الإشارة إليها ضمن مشكلات الأسرة المصرية حيث أنها أدت إلى:

(أ) تأجيل كثير من الزيجات لمجرد عدم وجود مكان سكني للأسرة الجديدة.

(ب) اضطرار الأسر الجديدة إلى السكني مع الآباء ولو بصفة مؤقتة وهو أمر مقلق لكلتا الأسرتين.

(ج) اضطرار الأسر الجديدة إلى قبول السكن في أي مكان حتى لو لم يلائم الأسرة، أي أن الأسرة قد حرمت من فرصة المقارنة لاختيار السكن

المناسب بل أن إعداد من تلك الأسر لجأ إلي أمكنة لا تصلح للمعيشة أطلاقاً مثل سكني المساجد والقبور والمعيشة مع أسرة أخرى في مسكن واحد مشترك، مع عدم وجود قرابة أو معرفة سابقة بين الأسر المتشاركة في كثير من الأحيان⁽¹⁸⁾.

3 - وأهم وسائل العلاج ما يلي:

أ - العلاج النفسي:

وينصب علي تنمية الثقة في النفس واستعادة الثقة والتوازن والتوافق وتعديل أنماط السلوك الزوجي المنحرف باستخدام الطرق المناسبة مثل العلاج السلوكي وغيرها. والقضاء علي أنواع المخاوف والقلق والصراع والحرمان والإحباط والشك في الحياة الزوجية، وحل المشكلات الحالية وإعادة التفاهم، وتيسير الحقائق الصحية نفسياً، والعلاج النفسي لحالات العقم الوظيفي (النفسي المنشأ) والعلاج الديني وتنمية الضمير الحي وخشية الله تجاه السلوك والتصرف الخاطيء في الحياة الزوجية، تقديم خدمات الإرشاد الزوجي لتناول المشكلات قبله وأثناءه وبعد إنهائه والمشكلات العامة.

ب - العلاج البيئي:

ويشمل علاج الأسباب الاجتماعية لمشكلات الزواج، وتصحيح كل ما يتعلق بشخصيتي الخطيبين والزوجين من الناحية الاجتماعية وأسرتيهما والعلاقات الاجتماعية وحل المشكلات الاجتماعية والحث علي إبراز أهمية الصدق والصراحة والإخلاص والحب والاحترام والثقة المتبادلة وحسن الصحبة والعشرة ومراعاة الحقوق والقيام بالواجبات والمشاركة في السراء والضراء والمحافظة علي الأسرار والمشاعر والكرامة والمعاملة الحسنة الساندة في حالات الانفصال والطلاق والترمل بحيث يمنع الانفصال أو

الطلاق، والعمل علي تحقيق التوافق في الزوج الجديد في حالة حدوثه، وتحويل خبرة الانفصال أو الطلاق من خبرة مؤلمة إلي خبرة معلمة بالاستفادة من الأخطاء الماضية، ومساعدة الأرملة علي تعلم المهارات الاجتماعية الجديدة التي تناسب حالة العزوبة الإجبارية ويجب الاهتمام بالتربية الجنسية والتزويد بالمعلومات الصحية عن ماهية النشاط الجنسي واكتساب التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية الخاصة بالسلوك الجنسي، وتنمية الضوابط للدافع الجنسي والشعور بالمسئولية الفردية والاجتماعية كذلك يجب الاهتمام بالتربية الزوجية ضمن عملية التربية والتنشئة الاجتماعية حيث يعرف الأطفال والشباب ما يجب معرفته من حقائق الحياة الزوجية ومطالبها وأصول عملية.

ج - العلاج الطبي:

ويشمل تقديم المعلومات الطبية السليمة وتصحيح المعلومات عن الوراثة والتناسل وتنظيم النسل والعلاج الطبي لحالات العقم... الخ⁽¹⁹⁾.
كما أن هناك أربعة أنواع من الجهود المبذولة لمقابلة مشكلات الأسرة: جهود حكومية - جهود أهلية - جهود حكومية أهلية، جهود شعبية، والمقصود بالجهود الحكومية هي كل ما تقوم به حكومة مصر بأموالها ورجالها لمقابلة احتياجات الأسرة المصرية، على أن الحكومة لجأت في السنوات الأخيرة إلى منهج جديد فأسندت بعض مشروعاتها إلى جمعيات أهلية وهذا النوع من الجهد هو ما نشير إليه هنا تحت اسم "الجهود الحكومية الأهلية" أما الجهود الأهلية الصرفة فهي تلك العمليات التي يقوم بها المواطنون في جماعة طوعا ودون أي تدخل خارجي عن طريق تشكيل جمعيات يسجلونها بوزارة الشؤون الاجتماعية، وتختلف الجهود الشعبية عن

الجهود الحكومية والأهلية في كونها تحدث باستمرار دون توجيه أو إشراف أو تسجيل في وزارة الشؤون الاجتماعية فالتكامل الاجتماعي بين أفراد الأسرة أو العائلة عامة علي سبيل المثال يحدث منذ قديم الأزل قبل قيام وزارة الشؤون الاجتماعية سنة 1939 وقبل بدء النشاط الأهلي في مصر في نهايات القرن التاسع عشر⁽²⁰⁾.

1 - الخدمات الحكومية:

مثل الضمان الاجتماعي والمساعدات العامة بهدف حماية الأسر محدودة الدخل والتي تقابل هزات اقتصادية مفاجئة:

- عدلت وزارة الشؤون الاجتماعية قانون الضمان الاجتماعي عام 1953 بغرض تحديد مسئولية الدولة في تمويل الضمان والمساعدات ثم عدل القانون مرتين عامي 1964, 1977 من أجل رفع قيمة المعاش.

- أصبح عدد المستفيدين من مشروع الأسر المنتجة 45055 أسرة في عام 1980 بعد أن كان 7639 أسرة عام 1967.

- أصدرت الدولة عدة قوانين في مجال التأمينات (انظر الجزء الخاص بتشريعات الأسرة).

- زاد عدد مدارس الحضانة التابعة للتربية والتعليم فأصبح 433 داراً في عام 1980 بعد أن كان 93 داراً في عام 1955 هذا بالإضافة إلي دور الحضانة الأهلية (انظر الخدمات الأهلية).

- زاد اهتمام أجهزة الإذاعة والتلفزيون بقضايا الأسرة سواء عن طريق الإرشاد المباشر أو عن طريق مناقشة هذه القضايا في المسرحيات والمسلسلات.

- أصبح عدد مراكز الأمومة والطفولة بوزارة الصحة 220 مركزاً عام 1980 بعد أن كانت 140 مركزاً عام 1952, وأصبح عدد وحدات تنظيم الأسرة التابعة لوزارة الصحة 456 مركزاً عام 1980 بعد أن كانت في حدود 24 مركزاً عام 64.

2 - الخدمات الحكومية الأهلية:

- أسندت وزارة الشؤون الاجتماعية مكاتب التوجيه والاستشارات الأسرية إلي جمعيات أهلية فأصبح عددها 53 مكتبا في عام 1980 بعد أن كان صفرأ في عام 1952.

3 - الخدمات الأهلية:

- أصبح عدد دور الحضانة التابعة لجمعيات وهيئات أهلية تحت إشراف وزارة الشؤون الاجتماعية 1649 داراً في عام 1979 بعد أن كانت 21 داراً في عام 1952. هذا بالإضافة إلي فصول الحضانة بمدارس اللغات وكان عددها 24 مدرسة عام 1980.

- أصبح عدد جمعيات تنظيم الأسرة 456 جمعية في عام 1980 بعد أن كان في حدود ثلاث جمعيات عام 1952. لقد بدأت حركة تنظيم الأسرة تصل مداها في عام 1966 حين أعيد شهر الجمعية المصرية للدراسات السكانية تحت اسم "الجمعية العامة لتنظيم الأسرة".

4 - الخدمات الشعبية:

- تبدو مظاهر التكافل الاجتماعي في المجتمعات الريفية أكثر وضوحاً عنها في المجتمعات الحضرية, كما تبدو مظاهر التكافل في

المجتمعات الحضرية بين ذوي الدخل المحدود أكثر منها بين ذوي الدخل المرتفع.

ومن صور التكافل الاجتماعي العناية بكبار السن والأطفال في العائلة، ويبدو أن اهتمام الدولة بتوفير معاشات للجميع قد أدى إلي تلوؤ كثير من الأسر الريفية والحضرية في الاستمرار بالقيام بدورها في التكافل الاجتماعي بنفس القدر من الهمة.

- تنظم كثير من الأسر الريفية والحضرية دخلها وإنفاقها علي أساس الاشتراك مع أسر أخرى في جمعيات شهرية يمكن أن نسميها جمعيات التعاون المالي (تساهم كل أسرة في الجمعية شهرياً بمبلغ محدود من المال ثم تحصل علي مساهمتها هذه مجمعة كل فترة تزيد أو تقل حسب رغبة أعضاء الجمعية) (21).

أسئلة على الفصل الرابع

- 1- ما أدوار الأسرة ووظائفها بالنسبة للفرد والمجتمع ؟
- 2- تعد التنشئة الاجتماعية من أهم الأدوات التي تقوم بها الأسرة ! وضح ذلك ؟
- 3- ما أهم الوسائل لعلاج المشكلات الأسرية ؟

المراجع

- 1 - غريب سيد أحمد وآخرون, دراسات في علم الاجتماع العائلي, دار المعرفة الجامعية, 1995, ص 26.
- 2 - المرجع السابق, ص ص 28 - 29.
- 3 - المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية, المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري 52 - 1980, القاهرة, 1985, ص 155
- 4 - المرجع السابق, ص ص 156 - 157.
- 5 - سناء الخولي, الزواج والعلاقات الأسرية, دار المعرفة الجامعية, ب.ت, ص ص 222, 223.
- 6 - علياء شكري, الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة, دار المعارف, ط2, 1981, ص ص 184 - 186.
- 7 - غريب سيد أحمد وآخرون, مرجع سابق, ص ص 91 - 92.
- 8 - المرجع السابق, ص 93.
- 9 - المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية, مرجع سابق, ص ص 157 - 158.
- 10 - علياء شكري, الاتجاهات المعاصرة... مرجع سابق, ص 179.
- راجع: عبد الباسط عبد المعطي ومحمود الكردي (تحرير), الأسرة المعيشية والانفاق الاجتماعي: الواقع والتطلعات, دراسة مسحية بالعينة, المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية, القاهرة, 2000.
- 11 - المرجع السابق, ص 180.
- 12 - المرجع السابق, ص ص 181 - 182.

- 13 - السيد عبد العاطي وآخرون, الأسرة والمجتمع, دار المعرفة الجامعية, 1998, ص ص 15 - 16.
- 14 - علياء شكري, الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة, مرجع سابق, ص ص 183 - 184.
- راجع: فانتن محمد شريف, علم الاجتماع العائلي, ب ت, الفصل الأول: مفهوم العائلة وأنماط التنظيم العائلي والوظائف الأساسية, ص ص 7 - 50.
- 15 - المرجع السابق, ص ص 184 - 185.
- راجع علياء شكري(اشراف), دراسات في علم الاجتماع العائلي, دار المعرفة الجامعية, 1991.
- 16 - المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية, المسح الاجتماعي الشامل, مرجع سابق, ص 164.
- 17 - المرجع السابق, ص 165.
- راجع محمد أحمد بيومي, المشكلات الاجتماعية دراسات نظرية وتطبيقية, دار المعرفة الجامعية, 1993.
- 18 - المرجع السابق, ص 166.
- 19 - سامية محمد فهمي, المشكلات الاجتماعية: منظور الممارسة في الرعاية والخدمة الاجتماعية, دار المعرفة الجامعية, 2000, ص ص 118 - 119
- 20 - المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية, مرجع سابق, ص 167.
- 21 - المرجع السابق, ص 168.

الفصل الخامس المرأة والحياة العائلية

- أولاً : تعليم المرأة وعملية الإنجاب
- ثانياً : المرأة وأدوارها المتعددة
- ثالثاً : دور المرأة كربة منزل

مقدمة :

تلعب المرأة دوراً أساسياً وجوهرياً في الحياة الأسرية فهي تعد رأس المال البشرى الذى يفوق فى أهمية أى شئ آخر . وهى المنظم لحركة الأسرة وفى حالة غيابها لأى سبب لا تستطيع الأسرة أن تعيش بنفس الكفاءة ، فأدوار المرأة متعددة فى إشباع حاجات الأسرة المادية والنفسية وإنجاب الأطفال وتربيتهم وكذلك العمل داخل المنزل وخارجه .

أولاً : تعليم المرأة وعملية الإنجاب

كانت نسبة الإناث فى تعداد 1947 فى مصر 51.5% من مجموع السكان وأصبحت هذه النسبة 49.8% فى عام 1980 .

1 - المرأة والتعليم :

ارتفعت نسبة المتعلّقات فى السنوات الأخيرة فقد كانت نسبة الأميات تمثل 84% من مجموع الإناث فى عام 1952 فانخفضت هذه النسبة إلى 71% عام 1980 ، وكانت نسبتهم من بين تلاميذ المرحلة الثانوية 14.4% من مجموع الطلاب عام 1954/1955 فأصبحت 36.7% عام 1980/1981 ، كما كانت نسبة الإناث فى المرحلة الجامعية 8.2% من مجموع الطلاب عام 1952/1953 فأصبحت 32.6% عام 1980/1981 .

هذا ويلاحظ فى التوزيع النسبى للسكان حسب الحالة التعليمية (فى التعداد) أن الإناث لم يظهرهن ضمن إحصاءات التعليم الفنى أو بين الحاصلين على درجات الدكتوراه .

2 - المرأة والعمل :

زادت نسبة العاملات فى المجتمع المصرى من حوالى 52% من مجموع الإناث عام 1960 إلى حوالى 53% من مجموعهم عام 1980 ، وتدعيماً لعمل المرأة أكد الدستور المصرى على ضرورة قيام الدولة بالتيسير

للمرأة حتى يمكنها التوفيق بين عملها فى المجتمع وواجباتها فى الأسرة وفى تعداد 1960 وضع اشتغال المرأة. بشئ من التحديد فأشار إلى أن اشتراكها فى الأعمال المختلفة أخذ فى الزيادة الطفيفة فيما عدا النشاط الزراعى الذى استمر فى الانخفاض بعد أن كان يشكل المهنة الرئيسية للمرأة حتى عام 1964 فقد كانت نسبة المشتغلات بالزراعة 43% من جملة الإناث العاملات فى هذه السنة ثم انخفضت هذه النسبة إلى 25.1% سنة 1971 ، وربما يرجع هذا لاتجاه المرأة إلى الاشتغال بمهن تتطلب قدرات واستعدادات عملية ومهارات فنية خاصة تيسر لها فرصة الحصول على أجور مرتفعة كالتى يحصل عليها الرجل . وترتب على ذلك أن ارتفعت نسبة العاملات بالمهن العلمية والفنية من 8.3% من جملة العاملات عام 1961 إلى 19.3% من جملتهن عام 1971. ومن أهمها مهنتى التدريس والتمريض (1) .

حيث يتوقع كثير من علماء الديموجرافيا أنه كلما زادت مشاركة المرأة المتزوجة فى قوة العمل ، قل ميلها إلى الإنجاب . ولكن يتعين علينا أن نأخذ هذا التوقع المتفائل بشئ من الحرص والحذر الشديدين حيث تستطيع نسبة كبيرة من الزوجات العاملات تجاوز التناقض القائم بين الدور الاقتصادي من جانب والدور الأسرى من الجانب الآخر ، وترجع قدراتهن على ذلك إلى عدة عوامل من بينها أنه مازالت المرأة العاملة المصرية لديها الفرصة فى أن تحصل على الخدمة المنزلية بثمن ملائم أو أن تستعين ببعض أفراد أسرتها أو أقاربها من الإناث لمعاونتها على تربية الأبناء أو العناية بهم أثناء انشغالها فى العمل خارج المنزل مما يمكن معظم الزوجات العاملات فى مصر من الجمع بين كلا النوعين من النشاط دون الاحساس بالضغط أو الذنب .

وهناك عدد غير ضئيل من النساء يوفقن في اختيار نماذج للاعمال والمهن التي تتميز بظروفها المرنة : كالتدريس مثلا أو العمل في ميدان الخدمة الاجتماعية , وما الي ذلك من المهن التي توفر للمرأة فرصة لتخطيط مواعيد ولاداتها أثناء فترة العطلة الصيفية , ولذلك فان العمل لا يؤدي في حدا ذاته الي انخفاض الانجاب عند الزوجات العاملات , بل ان هناك متغيرا اخر أكثر أهمية ودلالة هو الذي يؤثر حقيقة في السلوك الانجابي للمرأة وهو التعليم . فقد كشفت الدراسات التجريبية عن وجود علاقة عكسية بين التعليم وسلوك الإنجاب عند النساء , حيث بلغ عدد الأطفال بالنسبة لكل مائة من الزوجات المصريات اللاتي تلقين تعليما جامعيًا (394 طفل) , بينما ارتفع هذا العدد حتى بلغ (583 طفل) لمن تلقين تعليما ثانويا , ووصل إلي (703) بالنسبة لمن استكملن التعليم الابتدائي , أما غير المتعلمات فقد بلغ عدد أطفالهن (708) . وإذا أردنا أن نضع المسألة علي نحو آخر , يمكننا أن نقول انه في مقابل كل (100) مائة طفل تلده إناث مصريات أميات , يولد (87 طفل) من أمهات مللمات بالقراءة والكتابة , و (63) طفل من أمهات حصلن علي التعليم الثانوي , و (53) من أمهات من ذوات الدرجات الجامعية (2) .

واذن فان درجة الخصوبة تتناقص علي نحو منتظم كلما ارتفع المستوي التعليمي للإناث , وهناك مجموعة اعتبارات يمكن طرحها لتفسير العلاقة العكسية بين التعليم وسلوك الإنجاب عند المرأة من أهمها :

أ - إن استكمال مرحلة التعليم العالي يؤخر سن الزواج عند المرأة وبالتالي فانه يؤجل من بداية فترة الحمل .

ب - إن التعليم يوسع أفق المرأة فضلا عن أنه يطور مستويات تطلعها وآمالها , وفي بعض الاحيان يعمل علي تعديل هذه التطلعات خاصة وأن المرأة بعد أن تتل تعليما عاليا تتطلع إلي العمل والاستقلال الاقتصادي , وعلي الرغم من أن المرأة المصرية المتعلمة ليست مستعدة لأن تتنازل عن الزواج من أجل المستقبل المهني , إلا أن محاولتها للجمع بين الأدوار الأسرية التقليدية وبين اشتغالها خارج المنزل , تدفعها إلي الإقلال من عدد الأبناء .

ج - إن المرأة المتعلمة تعي تماما أن التكاليف المترتبة علي إنجاب مزيد من الأطفال تفوق بكثير إمكانيات وطاقات الأسرة المتوسطة التي لها متطلباتها بل وتريد أن تحقق مستوي معيشي أعلى باستمرار .

د - أن المرأة المتعلمة لا تعلق أهمية كبري علي الأطفال كمصدر أساسي لأمنها النفسي ومكانتها في المجتمع . كما هو الحال بالنسبة للمرأة غير المتعلمة التي تحقق ذاتها من خلال إنجاب مزيد من الأطفال .

هـ - إن التعليم يزيد من وعي المرأة ومن ثم يدعم قدرتها علي استخدام نماذج معينة وناجحة لتنظيم واختيار أكثر الوسائل ملائمة لتحقيق هذا الهدف .

ومن أجل ذلك كله نستطيع أن نقول إن السياسة المثلي لتنظيم حياة الأسرة في المجتمع المصري لا بد وأن تتمثل في نشر التعليم ومضاعفة فرصة الاناث في الحصول عليه لما له من اثر بعيد المدى علي التقليل من معدل النمو السكاني في مصر , فضلا عما يقوم به من العمل علي رفع مستوي الأسرة المصرية اجتماعيا . وثقافيا , واقتصاديا (3)

ثانيا : المرأة وأدوارها المتعددة

تقوم المرأة بأدوار متعددة داخل الأسرة وخارجها في كل المجتمعات وفي كل الأوقات فهي المسؤولة عن انجاب الأطفال وتنشئتهم والعمل داخل المنزل وخارجه .

1 - المرأة في المجتمعات التقليدية

المرأة تحمل القسط الأكبر من تنشئة الأطفال الاجتماعية منذ سن مبكرة . وهي بالإضافة إلي ذلك ذات دور بارز في اقتصاديات الأسرة , فهي عاملة , ومشرفة ومدبرة ومسؤولة عن جعل البيت في حالة مستديمة وثابتة من الاكتفاء الذاتي لا ينفصه شئ من المؤونة والمطالب التي تحتاجها الأسرة علي مر فصول السنة .

والأسرة في هذا الإطار الاجتماعي التقليدي معمل بدائي , تجري فيه صناعة الأغذية وفي مقدمتها الخبز , وصناعة الملابس التي يحتاجها أفراد الأسرة , وبخاصة الإناث وتنظيف وغسل الملابس , وعمل مواد زينة النساء والقيام بعمليات تجميل المتزوجات منهن , ومن هن علي أهبة الزواج من الفتيات . هذا فضلا عن تربية الدواجن , وبعض الحيوان للإفادة من نتاجها , ولحومها و صنع مستخرجات الألبان , وهذه كلها أعمال تضطلع المرأة بها , وفق ما تمليه التقاليد . وإذا ارتأى رب الأسرة أن يمارس في بيته صناعة من الصناعات التي تعد من اختصاص الرجال أساسا , فإن زوجته وبناته كن , في حالات كثيرة , يساعونه في العمليات السهلة التي يستطعن القيام بها لأنه لم يتصور في هذا الإطار الاجتماعي المبسط للحياة , أن تقبع المرأة في بيتها دون عمل أو حركة , فالمرأة في أية مرحلة من مراحل حياتها , التي تستطيع فيها العمل بأي شكل , وعلي أية صورة خادمة البيت سواء كان ذلك في بيت أبيها , أم بيت زوجها . وحتى في حالة ترملها , أو طلاقها أو

انفصالها عن زوجها لفترة من الوقت , فإنها تعود إلي بيت أبيها لتخدم فيه مهما كان سنها , ومهما كان عدد أطفالها فهي تربي وتنشئ , متشربة بهذه القيم والأفكار . وهي تكبر فتجد أمها وإخوتها وقريباتها الكبيرات علي هذا الحال فتألف ذلك وتتعود عليه شيئا فشيئا , حتى إنه ليصبح طبيعة ثانية لها فهي تتزوج لتخدم زوجها وبيتها وتعتبر الأمثال الشعبية , في الثقافة الريفية , عن أهمية المهارة في الخدمة المنزلية بالنسبة للمرأة , فيقولون (بنت فلان , نار وشرار) , (وقلبها حامي) أي أنها سريعة في العمل .

وتأتي بعد المهارة في قائمة الصفات المرغوب فيها في المرأة الريفية , الأخلاق الفاضلة مثل الطاعة , والهدوء , والوداعة . وهذه الصفات الثلاث , الأخيرة ذات قيمة عالية لدي الرجل , وبالنسبة لتقييم المرأة الريفية , وهذا أمر منطقي جدا , لأنه منسجم كل الانسجام مع الأوضاع و والنظم التي تسيطر علي طريقة الحياة وأسلوب المعاملات في الريف .

ومن الصفات ذات الوزن الكبير أيضا في نظر الريفيين أن تكون المرأة صغيرة السن . ويعلل الريفيون تمسكهم بهذه القيمة بالنسبة للمرأة حين يفكرون في اختيارها زوجة , بأن ذلك يسهل السيطرة عليها ويجعلها أسلس قيادا لزوجها مما لو كانت كبيرة .

ويجد الرجل القروي الأمان والاطمئنان في التمسك بالعصبية , وهو لا يجب أن يفخر بأصلة وحسبه فقط , بل يجب أن يفخر أيضا بأصل من يصاهره وبحسبه ومكانته الاجتماعية . ولذلك تفضل الخطيبة في الريف , إذا كان لها (رجالة بارزون مرموقون) .

ومن العوامل المهمة أيضا , في اختيار المرأة الريفية كزوجة , وما تملكه أو ما سوف ترثه , من أرض , أو عقار , وحلي , حتى تستطيع أن

تساعد زوجها في حياته المعيشية ، فالملاحظ في الريف أن ما تملكه الزوجة يستطيع الزوج أن يتصرف فيه ، وتعتبر الزوجة نفسها وما تملكه ملكاً لزوجها (4) .

2 - المرأة في المجتمعات الحديثة :

على العكس من دور المرأة في المجتمعات الريفية التقليدية ، نجد أن خروج المرأة للعمل من مشاكل الأسرة الحديثة - ولا يقصد بذلك أن مجرد خروج المرأة للعمل هو المشكلة في حد ذاتها - ولكن المشكلة جاءت نتيجة لهذا الخروج . فنجد أن خروج المرأة للعمل أظهر مشاكل لم تكن موجودة من قبل ، أهمها :

أ - مشكلة تربية الأطفال : حيث أن خروج المرأة للعمل جعل رعاية الأطفال وتربيتهم والعناية بهم أقل نجاحاً عن ذي قبل .

ب - انهيار تقسيم العمل خارج المنزل : حيث أن المرأة التحقت بأعمال كانت حكراً على الرجال وأصبح من الصعب الآن أن نجد مهنة تخص الرجال وحدهم . هذه المشاركة بين النساء والرجال في نفس المهنة أدى إلى زيادة حدة التنافس والصراع بينهما .

ج - انهيار تقسيم العمل في المنزل : حيث ان الخط التقليدي الذي يميز أعمال الرجال وأعمال النساء في المنزل أصبح أقل وضوحاً عن ذي قبل - حيث أن عمل المرأة في المنزل أصبح يشارك فيه الرجل - وإذا تمسك الرجال بالمعايير القديمة لتقسيم العمل فإن ذلك يؤدي إلى شجار ومتاعب مستمرة بينهما (5) .

3 - تغير دور الزوجين مع تقدم السن

تكشف الدراسات التي أجريت عن العلاقات الزوجية أن عاطفة الحب بين الزوجين تهدأ أو ربما تخمد بمرور السنين على الزواج ، ويحل محل الحب الذي كان متأججا في بداية الحياة الزوجية ألفة المعاشرة التي تجمع الزوجين من أجل تحقيق هدف مشترك هو تربية الأبناء وضمان حياة أفضل لهم .

وينظر عدد قليل من الأزواج والزوجات إلى سنوات ما بعد زواج آبائهم وخروجهم من المنزل على أنها أيام المتعة الحقيقية ، حيث يتخلص الزوجان من هموم متابعة الأولاد في الدراسة ومن تدبير نفقات الدروس ومن تأجيل السفر والترحال للعناية بهم . ومع انتهاء رسالتهم في تربية آبائهم تبدأ الحياة بالنسبة لهما .

ولكن الواقع ، في بعض الأحيان ، قد يفرض حقائق جديدة وخاصة في مجتمع مثل المجتمع المصري وبعض المجتمعات العربية الأخرى . فالأب في مجتمعنا لا يتوقع أن تنتهي مسؤولياته بتربية أولاده وزواجهم ، بل على العكس من ذلك قد تبدأ زوجته مرة أخرى دورة جديدة من تربية أطفال أولادها أو بناتها . وعلى الرغم من العطاء السخي الذي يقدمه الآباء والأمهات إلا أن الأبناء عادة ما ينكرون عليهم حقهم في التمتع بحياتهم بعد التقدم في السن بدعوى أنا أيامهم قد ولت وراحت ، ويلقون على عاتقهم بمسئولية الاهتمام برعاية أطفالهم . وإذا لم يتفق الزوج مع زوجته على مبدأ رعاية أحفادهما ، فإن الاختلاف بينهما قد يوجد نوعا من الفجوة ويعمقها مع الأيام وخاصة إذا أدت رعاية الزوجة لأحفادها إلى الانصراف عن الإهتمام بالزوج في وقت هو أحوج ما يكون فيه لحبها وعنايتها . وغالبا ما يفشل

الزوج فى المنافسة مع أحفاده على نيل قدر من اهتمام زوجته فتكون له حياته المتوازية مع حياة الزوجة ولا يلتقيان على شئ مشترك بينهما (6) .

وفى بعض الأحيان لا يكون لدى الزوجة أحفاد وتكون متفرغة كربة بيت للعمل المنزلى ، فيؤدى خروج أولادها من المنزل وزواجهم إلى شعورها بالفراغ الشديد ، ويزداد شعورها بالوحدة إذا كان الزوج ناجحاً فى عمله حيث يكون فى مرحلة جنى ثمار كفاحه التى غرسها فى شبابيه والتمتع بالمكانة الاجتماعية والمهنية التى يكون قد بلغها . وتحاول الزوجة التى وجدت نفسها وحيدة بالمنزل أن تسترعى انتباه زوجها ، فإذا أعرض الزوج ونأى بجانبه عنها ، يكون ذلك نذير لسلسلة من المشكلات الاسرية التى قد تتفاقم إذا لم تعالج العلاج المناسب . ومن أكثر وسائل العلاج شيوعاً ، خروج المرأة من منزلها لممارسة العمل العام فى المجال الاجتماعى وإن لم تتهيأ لها مثل هذه الفرصة ، فإنها تتخرط فيما اصطلح النساء على تسميته بمجالس النميمة والثرثرة .

ويعد زواج الأبناء حدثاً محورياً فى حياة الأسرة ، وخاصة بالنسبة للزوجة - الأم - إذ يعد زواج الابن أو الابنة إعلاناً عن العمر الحقيقى لها وهو السر الذى يقلقها ، ليس فقط أن يعرفه الناس ، ولكن أن تواجه به نفسها أيضاً . وبزواج الأبناء يواجه الآباء مشكلة نفسية - اجتماعية تتمثل فى شعورهم باقتراب المشيب وزوال النضارة والحيوية . ومع قدوم أول حفيد يصبح التسليم بالشيخوخة أمراً لا مئاص منه . وكثيراً ما نسمع من بعض النساء قولهن أن زواج أبنائهن جعلهن يكبرن قبل الأوان ، وقد تصر المرأة منهن على الإنجاب وقد جاوزت الأربعين عاماً لتوهم نفسها ومن حولها أنها لازالت فى سن الخصوبة ولم تعد عجوزاً عقيماً . وتبدو مثل هذه المشكلات

أكثر وضوحا عندما يتزوج الابن ويأتي بزوجه الشابة للعيش مع أمه في مسكن واحد . فتحاول الأم أن تتغلب علي شعورها بفقدان أو تضائل دورها الاجتماعي ببسط مزيد من السيطرة علي الإبن وزوجه . وإذا كانت الزوجة الشابة لديها ميول للعيش مستقلة داخل المسكن الذي توجد فيه أم زوجها , يكون عليها أن تواجه مشكلة إصرار الحماة علي بقاء بناء القوة في صالحها وهكذا (7) .

ثالثا : دور المرأة كربة بيت

نتناول هنا بالعرض , والتحليل , كتاب (سوسيولوجيا العمل المنزلي) لمؤلفته (آن أوكلي) (8) .

وتأتي أهمية هذا الكتاب من أنه يفرض قراءته علي كل مهتم بقضايا تحرير المرأة , فهو دراسة تتحدي النظره التقليديه إلي العمل المنزلي التي تحاول دائما التقليل من شأنه , كما أنها تتحدي إهمال السوسيولوجين , وبخاصة المتخصصين في علم الاجتماع الأسري وعلم اجتماع العمل , للعمل المنزلي , كموضوع علمي جاد .

فقد دأب الباحثون في علم الاجتماع الأسري علي دراسة المرأة إما من خلال دورها الأسري كزوجة وأم , أو من خلال دورها كعاملة خارج المنزل بدون أجر لم يحظ بدراسة جادة أو منظمة .

ويتناول هذا الكتاب قضية هامة وهي موقف علم الاجتماع التقليدي من المرأة . كما يعرض بين دفتيه موضوعات جديرة بالاهتمام مثل : نظرة النساء للعمل المنزلي , ونظرتهن لأنفسهن كربات بيوت , ومشاعرهن المختلفة نحو العمل المنزلي , واتجاهاتهن نحو الأعمال المنزلية المختلفة من طهي وتنظيف .. الخ ومدة العمل المنزلي الذي تقوم به المرأة محسوبا

بالأسبوع . ومدى أهمية المعايير والروتين كطريقة للتأكد من أن العمل المنزلي يتم علي وجه أكمل , وكأسلوب علي مكافأة الذات .

وقد حاولت الباحثة في هذا الكتاب وضع تقييم يكشف عما إذا كانت النساء راضيات أو غير راضيات عن العمل المنزلي , ومدى الاختلاف في درجات الرضا بينهن . كما يتناول الكتاب أيضا الطبقة الاجتماعية , وصلتها بالعمل المنزلي والرضا عنه , كما تناقش الباحثة تأثير التنشئة الاجتماعية علي الحياة المنزلية , وتحلل تقسيم العمل بين ربة البيت وزوجها في المنزل , وتفحص صعوبات الجمع بين العمل المنزلي , وواجبات الأمومة .

وعمد هذا الكتاب دراسة قامت بها الباحثة (آن أو كلي) في سنة 1971 علي أربعين زوجة من ربوات البيوت الإنجليزية الحضرية والباحثة توجه كتابها إلي فئتين مختلفتين من القراء , الأولى تتألف من المتخصصين في علم الاجتماع , والثانية تتضمن هؤلاء الذين يهتمون بموقف ربة البيت اهتماما خاصا دون أن تكون لديهم معرفة بعلم الاجتماع , لذلك فقد جاء الكتاب في جملة جليا واضحا .

وعلي الرغم من أن العينة التي ينصب عليها هذا الكتاب , كانت عينة إنجليزية , فإن وضع الزوجة لربة المنزل فيها , ينطبق في أساسياته علي الزوجات في مجتمعات صناعية معاصرة أخرى .

وإذا ما تناولنا العمل المنزلي علي سبيل المثال , وهو عمل أساسي للمرأة , فسنجد أن إغفال هذا الموضوع من ميداني علم الاجتماع الأسري , واجتماعيات العمل , إنما ينقل بوضوح انطبعا محرفا ومشوها عن موقف المرأة الحقيقي . فليس هناك اهتمام بمدى أهمية العمل المنزلي للمرأة , لا من حيث مقدار الوقت الذي تتفقه في الأنشطة المنزلية والعناية بالمنزل من جهة

, ولا من حيث المعنى الذاتي للعمل المنزلي بالنسبة للمرأة الذي يمكن أن يختلف باختلاف المواقع الاجتماعية , والطبقة من جهة أخرى .

وفي الفصل الأول تري المؤلفة تناقضا بين وجود المرأة في علم الاجتماع ووجودها الاجتماعي الحقيقي , كما يعد أيضا دليلا على فشل علم الاجتماع في اخذ خبرات المرأة وواقع حياتها في الاعتبار . ويمكن أن يوحي ذلك بإعادة تصنيف موضوعات علم الاجتماع وميادينه بحيث تمثل كلا المنظورين الذكري والأنثوي علي السواء .

وتمضى المؤلفة إلي الفصل الثاني من الكتاب لتحلل العمل المنزلي بوجه عام , وتصف البحث الذي قامت به وجه خاص . وتري أنه علي الرغم من أن هناك ميلا , يتزايد في السنين الحالية , إلي تقليل حدة الفروق النوعية بين الذكور والإناث في عالم العمل والمهن والوظائف , فسيظل هناك دائما دور وظيفي أنثوي برمته وهو دور ربة البيت . وعلي الرغم من أنه ليس هناك قانون يمنع الرجال من القيام بهذه الوظيفة إلا أن هناك ضغوطا اقتصادية واجتماعية وسيكولوجية تقف عائقا أمام الرجل , وتمنعه من الدخول في رحاب هذه المهنة .

وتبدأ المؤلفة هذا الفصل بتعريف ربة البيت , ويرتكز هذا التعريف علي مفهوم المسؤولية , وعلي ذلك تكون ربة البيت هي الشخص المسئول وحده (دون الخادم المنزلي) عن معظم المهام المنزلية , أو عن الإشراف علي الخادم المنزلي الذي يقوم بهذه المهام وقد تكون ربة البيت متزوجة كما قد لا تكون , كما قد تكون عاملة خارج المنزل وقد لا تكون , وقد أفصح ذلك المسح الذي قام به (هنت) (Hunt) عن أن تسعة أعشار النساء من غير العاملات خارج منازلهن كن ربوات بيوت متزوجات . كما كانت سبعة أعشار

العاملات خارج منازلهن من ربوات البيوت . وعلي هذا لا يكون دور ربة البيت دوراً أنثوياً فقط , بل إنه يعد الدور الوظيفي الرئيسي للمرأة في عصرنا الحالي . ذلك أذن هو التبرير الأساسي لدراسة العمل المنزلي ويمثل الخبرة اليومية المتكررة في حياة معظم النساء .

ثم تناولت الفصول التالية مايلي :

صور العمل المنزلي , العلاقة بين الطبقة الاجتماعية والاعمال المنزلية ومدى الرضا وعدم الرضا عنها , ظروف العمل المنزلي والمعايير المتعلقة بالعمل المنزلي , العلاقة بين التنشئة الاجتماعية لربة البيت وبين صورتها عن ذاتها، موضوع الزواج , تربية الأطفال .

وقد نجح الكتاب في إيضاح النظرة الجديدة الي العمل المنزلي , وفي تحليلها له كعامل يماثل غيره من الأعمال , كما أظهر زيف تلك الأسطورة الخاصة بسلبية العمل المنزلي وسهولته وبذلك يضع المرأة التي تعمل في بيتها فوق من تعمل خارجه .

أسئلة على الفصل الخامس

- 1- ما علاقة تعليم المرأة بعملية الإيجاب ؟
- 2- اعرض للدوار المتعددة للمرأة .
- 3- قارن بين دور المرأة كربة منزل وعاملة .

المراجع

- 1 - المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري 1952 - 1980 ، القاهرة ، 1985 ، ص 169 .
- 2 - محمد عاطف غيث وآخرون ، مجالات علم الاجتماع المعاصر : أسس نظرية ودراسات واقعية ، دار المعرفة الجامعية ، 1985 ، ص 609 .
- 3 - المرجع السابق ، ص 610 .
- 4 - سامية الساعاتى ، علم اجتماع المرأة : رؤية معاصرة لأهم قضاياها ، مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع ، 2003 ، ص ص 46 - 47 .
- 5 - السيد عبد العاطى وآخرون ، الأسرة والمجتمع ، دار المعرفة الجامعية ، 1998 ، ص 16 .
- 6 - حسن محمد حسن ، فى السيد عبد العاطى وآخرون ، مرجع سابق ، ص 48 .
- 7 - المرجع السابق ، ص 49 .
- 8 - سامية الساعاتى ، علم اجتماع المرأة ، مرجع سابق ، ص ص 135 - 137 .

الفصل السادس الاقتصاد ومشكلات الأسرة

أولاً : الأسرة ومصادر الدخل

ثانياً : المرأة والاقتصاد والقوى العاملة

ثالثاً : تصنيف المشكلات الأسرية

أولاً: الأسرة ومصادر الدخل

1 - موارد الأسرة :

تلقي الموارد البشرية اهتماماً أقل بكثير من الموارد غير البشرية وقد يرجع هذا إلى عدم تعود الغالبية العظمى من الناس على احتساب مثل هذه العناصر ضمن موارد الأسرة ، ويمكن تقسيم الموارد البشرية إلى ما يلي :

أ - الموارد البشرية الشخصية :

مثل الطاقة أو الجهد ذلك أن قدرة الفرد على العمل الذهني والجسماني تختلف من شخص لآخر تبعاً للسن والجنس والحالة الصحية ... إلخ .

ب - القدرات الشخصية :

مثل المهارات الخاصة في مجالات معينة مثل الحياكة والنجارة والسباكة والمهارة في الطبخ .

ج - الميول والاتجاهات :

مثل ميل ربة الأسرة إلى النظافة والنظام في المسكن واتجاهات الوالدين نحو التنشئة الاجتماعية للأطفال (ديمقراطية - ديكتاتورية .. إلخ) .

د - التعليم :

سواء كان تعليماً رسمياً أو غير رسمي ، فالأسرة المتعلمة تملك مورداً بشرياً يفوق الأسرة غير المتعلمة (1) .

لذا فالمورد البشري أو ما يسمى برأس المال البشري يمثل أساس أي مورد مادي فكري وإنتاجي واستهلاكي ، إلا أنه في ظل عدم توفر فرص للعمل

فإن هذا المورد البشرى يصبح عبئا يعانى من البطالة وبالتالي ينعكس على تقليص الوضع الإقتصادي لميزانية الأسرة وآدائها لأدوارها .

ونقول لأولئك الذين يأسفون لتقلص وظائف الأسرة . إذا كان هذا التقلص يمثل ظاهرة سلبية فكيف يفسرون هذا الارتفاع الهائل في الإنتاجية الاقتصادية للمجتمعات التي حققت قدرا أكبر من هذا التقلص , وهي أساسا المجتمعات الصناعية المتقدمة . ونكمل تلك الملاحظة بأخري نلمسها بوضوح شديد , وهي أن الاعتماد الكبير علي معونة الأسرة ومساندتها للفرد في كل نواحي حياته قد أدي - خاصة في المجتمعات التقليدية (ككثير من البلاد النامية) - إلي قتل أو تعويق المبادرة الفردية .

وتلك حقيقة مؤكدة لا يستطيع أن ينكرها أحد أو يشك فيها , وتسمى تلك الظاهرة بالتطفل الأسري Family paraism حيث يستغل الأعضاء الكسالي والعاجزون في الأسرة التضامن الاسري لتحقيق مصلحتهم والحفاظ علي مكانتهم علي حساب بقية الاعضاء النشطين .. فتحدث في نهاية الأمر حالة من التساوي لا تفرق بين العضو النشط والعضو الخامل من حيث عائد الجهد أو تقدير هذا الجهد .

ولا شك أن ظاهرة , (التطفل الأسري)تعد في كتابات علم اجتماع التنمية من أخطر العوامل التي تعوق جهود التنمية في العالم الثالث . ومن هنا كان حرص كبار المصلحين في الصين (منذ ص يات صن وحتى ماوتسي تونج) علي إضعاف كيان الأسرة الصينية الكبيرة القديمة لصالح عملية التنمية الاقتصادية , وقد صاغت تلك الاتجاهات عديدا من الإجراءات والوسائل السياسية والتشريعية لتحقيق هذا الغرض .

ورغم أهمية العمل في إضعاف وتعويق جهود التنمية الاجتماعية الشاملة , فإنه لم يلتفت إليه الباحثون الالتفات الواجب . وقد أنتهت إليه بشكل مكثف أغلب الحركات الثورية في المجتمعات التي يسود فيها نظام الأسرة الممتدة . حيث حرصت تلك الحركات علي الاستفادة من الطابع الفردي الذي أخذ يسيطر علي الأسرة . وكذلك الاستفادة من كل نتائجه في الانتفاع بجهود النساء والأطفال في عمليات التنمية .. فكان تحرير أفراد الأسرة من سيطرة الكبير عبارة عن تعبئة كاملة لكل القوي العاملة لخدمة عمليات التنمية والتطوير الاقتصادي .

ولذلك يري البعض أن المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة أتاحت فرصا متكافئة لكلا الجنسين للعمل في النشاط الاقتصادي المنتج . وقد حرص الاتحاد السوفييتي , والمانيا الديمقراطية (الشرقية) والصين علي السير في هذا الاتجاه مجندين أقصى طاقات الرجال والنساء (بل والصبيان) للعمل المنتج في كافة قطاعات النشاط الاقتصادي والاجتماعي . ولقد مرت كل تلك المجتمعات وأمثالها في بادئ أمرها بفترة (التعبئة القصوي) , من أجل تجنيد كل أبناء المجتمع للعمل الاقتصادي المنتج . وقد جعلت الدولة ذلك الهدف هو واجبها الأول . بل تذهب بعض مراجع التنمية إلي القول بأن الهدف الأكبر للقانون الأسري الصيني (قانون الأحوال الشخصية) منذ الخمسينيات وحتى الآن - هو خدمة التنمية الاقتصادية وتعقب كل مظاهر التطفل الأسري بقصد القضاء عليه تماما (2) .

2 - سوسيولوجيا العمل المنزلي

إن الكتابة عن سوسيولوجيا العمل المنزلي , يتضمن موضوعات سوسيولوجية متخصصة من بينها : تصنيف الخلفيات الاقتصادية

والاجتماعية التي يجري في إطارها العمل المنزلي في ثقافات مختلفة والمقارنة بوجه خاص بين الدول المتقدمة تكنولوجيا ، وبين الدول النامية والمتخلفة ، من حيث طبيعة العمل المنزلي في كل منها . وتحليل دور ربة البيت وما يتضمنه من قوة تتمثل في تأثيرها في نماذج شخصيات أطفالها وسلوكهم فهي المنشئة الأساسية لهم ، بل إن مركزها المحوري في الأسرة يمكن أن يؤثر في صحة أفرادها ومرضهم علي السواء . كما لابد أن يحتوي علي دراسة التفاعل الاجتماعي لربة البيت ، وتحليل عملها المنزلي كعمل يجعلها تتفاعل مع زوجها وأبنائها وجيرانها وأقاربها ، وصديقاتها ، ومعارفها ، والبائعين سواء من يذهبون إليها في المنزل ، أو من تذهب هي إليهم وتفاعلها مع الدولة والأسعار عن طريق وضعها لميزانية الأسرة وتحديدها لمواصفات السلع المتوقعة علي مدي إقبالها أو إحجامها عن شراء سلع معينة ، في اتخاذ القرارات اليومية المتعلقة بنماذج الاستهلاك والمواصفات ، والشئون العامة ، وأهمية النظر إلي مطالبها التكنولوجية وكل ذلك يدخل في إطار علم الاجتماع الأسري وعلم الاجتماع الاقتصادي .

كما أن سوسيولوجيا العمل المنزلي لابد أن يشمل توضيحا للصلة بين العمل المنزلي ، وبين اختيار الشريكة في الزواج ، فكم من رجل فضل الزواج بامرأة معينة لأسباب من بينها أنها تجيد الطهي ، أو أنها قدمت إليه أكلة مفضلة بطريقة مشوقة ، أو لأنها ممتازة في العمل المنزلي أو (شغل البيت) كما تشيع الإشارة إليه في لغتنا الدارجة وكم من رجل أعرض عن الزواج بامرأة جاهرته بأنها لا تحب العمل المنزلي ولا تجيده . كما أن مفهوم العمل المنزلي نفسه لابد وأن يدرس في أطره الاقتصادية المختلفة ،

فهو في المجتمع الزراعي الريفي غيره في المجتمع الصناعي الحضري ،
غيره في مجمع الرعي وهكذا (3) .

كما أن التأكيد علي إيضاح النظرة الجديدة إلي العمل المنزلي كعمل
يمائل غيره من الأعمال ، أظهر زيف تلك الأسطورة السائدة في ثقافات
أخري كثيرة ، والخاصة بسلبية العمل المنزلي ، وسهولته وطبيعته بالنسبة
للمرأة والتي تتضح من أسئلة توجه إلي النساء في عالمنا المعاصر مثل : هل
ستعملين ؟ أم ستبقيين في المنزل ؟ وكأن البقاء في المنزل لا يتضمن عملا .
وهناك عبارات تشير إلي ذلك في الثقافات المختلفة ، ففي الثقافة

الأوروبية تجيب المرأة إذا سئلت عن هويتها (مجرد ربة بيت Just a
House wife وفي الثقافة المصرية تجيب (مجرد ست بيت) وتشير
عبارات مصرية مثل (فلانة مش بتشتغل ، دي قاعدة في البيت .. الخ) إلي
أن البقاء في المنزل يتضمن الجلوس وعدم القيام بعمل وعبارة "فلانة بشغل
وجوزها قعدها في البيت " تشير أيضا إلي أن البقاء في البي راحة ، بعكس
العمل الذي لا يكون إلا خارجه .

وبتحليل صور ربات البيوت عن أنفسهن ، وعن اتجاهاتهن نحو
العمل المنزلي وما يتضمنه من أعمال فرعية مختلفة ، ومدى شعورهن
بالرضا أو عدم الرضا عن عملهن ، ونفاذها إلي طبيعة العمل المنزلي نفسه ،
بما يستغرقه من وقت وما يتفرغ إليه من أعمال والكشف عن المعايير التي
تحكم إنجازها ، كل ذلك كان عملا جديرا بالإعجاب .

ولقد كان هناك اهتماماً كبيراً بالجزء الذاتي السيكولوجي الذي
تحصل عليه ربة البيت من خلال قيامها بعملها وتمسكها بالمعايير التي
حددتها ، والروتين الذي وضعته لنفسها . ولكنها نسيت أو تناست أبعادا

اجتماعية غاية في الأهمية ، وتشمل الجزاءات الاجتماعية التي تحصل عليها من خلال تعليقات زوجها ، وابنائها ، وجيرانها ، أو صديقاتها ، أو من مقارنة عملها بالأعمال المنزلية التي تصورها وتبرزها وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وصحافة وتلفزيون وسينما . إن ربة البيت حين تعمل فإنها لا تعمل في فراغ وإنما تعمل وهي تضع في ذهنها توقعات الآخرين منها ، وتتدخل علاقاتها مع هؤلاء الآخرين ابتداء من زوجها وأولادها وانتهاء بمعارفها ، في مدي إقبالها علي العمل المنزلي وتقبلها له ، أو إعراضها ونفورها منه ، فالزوجة المحبة لزوجها ، والتي تتميز علاقاتها معه بالتفاهم والود ، تفكر في زوجها أثناء عملها المنزلي ، وتضع نصب عينيها أن تدخل السرور علي قلبه حين يعود وأن تتجز عملها علي وجهه يرضاه وترتضيه هي لإسعاده ، كما أن ثناءه عليها ، ومكافأته لعملها بالتقدير يجعلها أكثر رضا وإقبالا علي عملها المنزلي ويصدق ذلك أيضا علي أبنائها وأصدقائها وجيرانها (4) .

ويمكن إن نحصر أهم التغيرات الاجتماعية التي حدثت في الأسرة

العربية فيما يلي :

1 - إن الأسرة العربية تغيرت نتيجة لخروج المرأة للعمل وحصولها علي الفرص المادية للرجل في التعليم وهو من أهم آثار التغير الاجتماعي المباشرة علي الأسرة كما إن مشاركة الزوجة في تخطيط ميزانية الأسرة وفي اتخاذ القرارات المتعلقة بتنشئة الأطفال يتناسب طرديا مع عمل الزوجة أو دخلها الخاص ، وليس معني هذا أن الزوجة غير العامل لازالت تابعة للرجل وتمثلت الزوجة في الأسرة الممتدة التقليدية ، أن التغير الاجتماعي العام في المجتمع وتأثير وسائل الاتصال وزيادة الخصائص الحضرية

وانتشار التعليم وتناقص حجم الأسرة أدى إلي تغير ملحوظ في دور الزوجة وفي مركزها في الأسرة إلي الدرجة التي تستطيع معها القول بأنها تشارك ببطء في مسئولية رعاية الأسرة وتخطيط مستقبلها وأن كانت هذه المشاركة مختلفة من منظور سرعة التغير بالقياس إلي ماهو واقع في الأسرة التي حظيت فيها الزوجة علي درجة عالية من التعليم .

2 - يعتبر حجم الأسرة الصغيرة نسبيا من أهم الدعائم التي تقوم عليها أسر اليوم . والأسرة المصرية حاليا لها خصائص الأسرة النواة التي تحدث عنها علماء الاجتماع ومن بين العوامل التي أدت إلي تناقص حجم الأسرة في الوقت الحاضر ذلك الاتجاه نحو التحكم في إنجاب الأطفال علي الرغم من وجود عدد كبير منهم بالفعل , وهذا دليل علي أن هناك اقتناعات عامه بضرورة تحديد حجم الأسرة مما يميل إلي الاعتقاد بأن الدعاوى التي كانت ذات قوة يوما ما مؤكدة مجافأة مثل هذا الأسلوب للدين أو لأية اعتبارات أخري تتعلق بالعصبية أو بالحجة إلي عدد كبير من الأطفال للمعاونة في الأعمال الإنتاجية أو الزراعية التي تهتم بها الأسرة لم تعد لها فعالية في تحديد اتجاهات الأسر . فالأسرة العربية المعاصرة بدأت تحس بمسئوليتها المباشرة عن تعليم أطفالها ورعايتهم الصحية وتهيئة أفضل الظروف لهم ليستطيعوا الاشتراك في العمل الاقتصادي من واقع الخبرة والمؤهل الأعلى (5) .

ثانيا : المرأة والاقتصاد والقوى العاملة

يتحدد دور المرأة في اقتصاديات المجتمع بقدر إسهامها في المهن والأعمال غير الزراعية . وتشير البيانات الإحصائية الخاصة بالعمالة في مصر إلي انخفاض مستوي مشاركة المرأة المصرية في الأنشطة الاقتصادية

خارج المنزل . حيث بلغت نسبة النساء العاملات بالقياس إلي المجموع الكلي للإناث في مصر عام 1968 (8%) وارتفعت هذه النسبة بمعدل (5%) خلال عشرين عاما ومع العلم بأن هذه الإحصائيات لم تأخذ في اعتبارها الإسهامات الرئيسية للنساء الريفيات في مجال الزراعة حيث تعتبر المرأة بمثابة العمود الفقري للاقتصاد الريفي , الا انه بمقارنة مشاركة المرأة المصرية في القوي العاملة , مع معدلات المشاركة النسائية في بلدان أخرى تمر تقريبا بنفس مرحلة النمو الاقتصادي لمصر , لوحظ أن اندماج المرأة المصرية في العمل خارج المنزل يعتبر محدودا للغاية , ويرجع بعض الباحثين انعدام التوازن في البناء الصناعي والمهني للقوي العاملة في مصر (إلي أن الرجال يقومون بأعمال عادة مما تقمن بها النساء في المجتمعات الاخرى) . ومن أبرز الأمثلة علي هذا , انه علي الرغم من إن مصر تعتبر دولة متخصصة في صناعة الغزل والنسيج , تلك الصناعة التي تجذب في الدول الاخرى نسبة عالية من الأيدي العاملة النسائية , إلا أن هذه النسبة لاتزيد في مصر عن 2% من عمال المصانع المصريين , هذا ويعتبر الانخفاض النسبي في مشاركة المرأة المصرية في الحياة الاقتصادية خارج المنزل خاصية تميز المجتمعات الإسلامية بوجه عام وتعكس التحديات الثقافية للتقسيم الثنائي للعمل طبقا للجنسين , وحيث ينظر الي مجال الأثاث باعتباره مقتصرًا علي المنزل , أما العالم الخارجي للعمل والشئون العامة فهو للرجال , وإذا كانت المرأة الريفية تشارك في العمل الزراعي فذلك لأن هذا العمل يعد جزءا من واجباتها المنزلية وهناك مجموعة من الحقائق التي تتصل بمشاركة المرأة المصرية في مجال العمل والاقتصاد يمكن الاشارة اليها في النقاط التالية :

أ - تكشف النساء اللاتي تعشن في المناطق الحضرية والأصغر سنا، عن ميل أوضح نحو البحث عن العمل من النساء الأكبر سنا واللاتي يقمن في المناطق الريفية .

ب - تشكل النساء المتعلّقات نسبة كبيرة من القوي العاملة النسائية في مصر حيث يبلغ حجم الاناث المتعلّقات حوالي نصف الإناث العاملات علما بأن هؤلاء المتعلّقات لا يمثلن إلا قلة ضئيلة من مجموع أفراد الإناث في مصر .

ج - يبدي الرجال الذين ينتمون إلي الطبقات المتوسطة والعليا اتجاهاتهم الايجابية والمتحررة نحو تشغيل زوجاتهم وأخواتهم (6) .

1- تغير الأدوار وإعادة توزيعها .

تحدد ثقافة المجتمع طبيعة الأدوار التي يقوم بها كل من الزوج والزوجة كما تبين أسلوب تقسيم العمل بينهما منذ بداية الحياة الزوجية ؛ ولذلك تختلف مشاركة كل زوج لزوجته في الواجبات المتعلقة بالمحافظة علي بيت الزوجية بحسب خلفيته الاجتماعية وبقدر ما يؤمن به من ضرورة قيام كل طرف من أطراف الأسرة بالأعمال التي تقسم بينهم علي أساس النوع .

وفي هذا الإطار ، لاحظ (بلود وزميله وولف) Blood and Wolf (1960) ، أن الزوجين في شهر العسل يتقاسمان الأعباء المنزلية عن تراض وطيب خاطر ، وخاصة إذا كانت الزوجة امرأة عاملة . ويبدأ الزوج في التخلي عن مساعدة زوجته في القيام ببعض الأعمال المنزلية كلما مضت الحياة الزوجية ، وما أن تقترب السنة الأولى من نهايتها حتي تتحول اهتمامات الزوج تماما إلي الأعمال خارج المنزل . وقد يعاود الزوج

مشاركته في الأعمال المنزلية عندما يرزق بطفل ولكنه يتراجع عن هذه المشاركة بعد مرور الشهور الأولى من ميلاد الطفل ، ويستمر الأمر علي هذا المنوال حتي يقترب الزوج من مرحلة التقاعد فيعود إلي سابق عهده من حيث المشاركة .

وبوجه عام ، يتأثر دور الزوج في الأسرة إلي حد كبير ، بالمتغيرات الخارجية مثل حياته العملية ، وتعدد الأدوار التي يقوم بها خارج محيط الأسرة . وعندما تتقلص تلك الأدوار بإحالة الزوج إلي التقاعد يعاود القيام بدور نشط في نطاق الأسرة ، فيقوم بمساعدة الزوجة في أشياء كثيرة لم تعتد علي مساعدته لها بشأنها إلي حد .

أن كثيرا من الزوجات يشكون من تدخل أزواجهن بعد التقاعد في كل صغيرة وكبيرة مما يسبب قدرا كبيرا من المشكلات (7) .

2 - تغير علاقات القوة في محيط الأسرة .

تزداد قوة الرجل في محيط الأسرة مع تقدم العمر نظرا لما يحظي به من رقي وظيفي في حياته العامة ، ويتميز بناء القوة في كثير من الأسر بميل القوة ناحية الزوجة في السنوات الأولى من الحياة الزوجية ، وخاصة عندما ينشغل الزوج بتوطيد الدعائم الاقتصادية التي تنهض عليها الأسرة ، وبالتالي يعطي جانبا كبيرا من وقته واهتمامه لعمله خارج الأسرة ، وبالتالي يعطي جانبا كبيرا من وقته واهتمامه لعمله خارج المنزل . ويتزايد حظ الرجل من القوة في علاقته بزوجه كلما تأكدت صفاته كرب للأسرة يتحمل مسئولية تأمين حياتها الاقتصادية وتتوافر لديه القدرة علي القيام بواجبات الزوج تجاه زوجته .

وتقاس قوة الرجل في الأسرة بمؤشرات عدة أهمها تمتعه بسلطة اتخاذ القرارات النهائية فيما يتعلق بكل جوانب حياة الأسرة . ولكن ينبغي علي من يهتم بدراسة بناء القوة أن يتأكد من أن من يصدر القرار هو صاحب المصلحة في اصداره , ذلك لأن إصدار القرار قد يكون بيد شخص ما من الناحية الشكلية بينما المستفيد منه شخص آخر , هو مركز القوة الحقيقي .

وتتغير علاقات القوة في محيط الأسر كلما تقدم الأبناء في العمر وكلما كان الأب ديمقراطي النزعة في تنشئة أولاده , فالرجل الديمقراطي يشاركه اتخاذ القرارات عدد أكبر من المستفيدين بها وعلي رأسهم الزوجة والأولاد . بل قد يضطر الأب إلي اتخاذ مالا يوافق عليه من قرارات نزولا علي رأي الأغلبية داخل الأسرة (8) .

ثالثا : تصنيف المشكلات الأسرية بحسب كونها مشاكل خاصة أو عامة

1 - من حيث المشاكل الخاصة :

فهي ما تتعلق بالزوج أو الزوجة والمشاكل الزوجية المتعلقة بالزوج أهمها الكراهية وسوء المعاملة للزوجة , والفرق الكبير بينه وبين الزوجة في السن , والمرض , والانحراف الخلقي , ومن جهة الزوجة نجد مشكلات الكراهية والنفور , وسوء الخلق ورعونة التصرف , وإهمال شئون المنزل والعقم , والخروج عن طاعة الزوج وغيرها .

2 - أما من حيث المشاكل العامة :

وهي ترجع إلي المجتمع وما ينتابه من مشاكل اقتصادية سيئة أو موروثة ثقافية خاطئة , أو عادات فاسدة منتشرة في البيئة (9) .

تصنيف المشكلات الأسرية بحسب العوامل الغالبة في حدوثها :

- أ - مشكلات نفسية : مثل سوء التوافق العاطفي والجنسي , والغيرة والخيانة الزوجية , والنزاع علي السيادة في الأسر وغيرها .
- ب - مشكلات اجتماعية : مثل سوء العلاقة بين الزوجين والأبناء ومشكلات المرأة العاملة وتعدد الزوجات , والطلاق وغيرها .
- ج - مشكلات اقتصادية : قلة الدخل , انعدام الدخل , سوء التصرف في الدخل .
- د - مشكلات صحية : مثل المرض المزمن , والعايات والعقم ,
- هـ - مشكلات ثقافية : مثل تنافر الميول الشخصية والقيم بين الزوجين وتباين المستوي التعليمي .
- و - مشكلات عقلية : مثل تباين مستوي الذكاء بين الزوجين والضعف العقلي .
- ى - مشكلات أخلاقية : مثل ارتكاب الفحشاء , والقسوة في معاملة الزوجة أو الأبناء والتنكر للقيم الاجتماعية والأخلاقية في معاملتهم والتبرج , وعدم الصدق والصراحة والإخلاص في العلاقات الزوجية , ومن جانب الأبناء عدم الاهتمام بنصائح الوالدين وعدم احترامها والاستماع إلي قرناء السوء والانحراف والتشرد , والتسول والمروق , وارتكاب الجرائم .
- تلك المشاكل الأسرية وأمثالها يجب أن تتال عنايتنا واهتمامنا كما يعنينا في ميدان الأسرة دراسة أسباب تفكك الأسر , فملاً ندرس اختلاف الثقافات والأعمال والأمزجة وأثر كل هذا في حياة الأفراد وفي حياة الأسرة ويجب أن يكون هدفنا الكامن وراء هذه الدراسة العمل علي مساعدة الأسر والأفراد علي إيقاظ قواهم الكامنة وتنمية قدراتهم الشخصية ليتمكنوا من القضاء علي الصعاب التي تعترض سعادتهم وليستقلوا بحل المشاكل التي

تؤثر تأثيراً سيئاً علي حياتهم هذا مع ضرورة الاهتمام بتقوية الروابط الأسرية وتدعيمها بشتى الوسائل .

ولقد أوضح (جورج مردوك) في دراسته عن البناء الاجتماعي الكلاسيكي أن للأسرة دوراً أساسياً في معظم المجتمعات التقليدية قبل الصناعية , حيث تؤدي أربعة وظائف أساسية :

الوظيفة الأولى : هي تنظيم الأنشطة الجنسية . فلا يوجد مجتمع واحد يترك لأفراده حرة ممارسة السلوك الجنسي في أي وقت ومع من يريدون فبعض المجتمعات تضع حظراً صارماً علي الالتقاء الجنسي قبل الزواج , والبعض الآخر يفرض علي المرأة إظهار قدرتها علي الإنجاب قبل الزواج , وكل المجتمعات تحرم سفاح القربي , ولكن تختلف المجتمعات فيما بينهم في تحديد أفراد الأقارب الذين ينطبق عليهم ذلك .

الوظيفة الثانية : تتبع من الأولى وهي وظيفة الإنجاب فالأسرة تتحمل المسؤولية الأولى في استبدال أفراد الأسرة الذين وافتهم المنية أو هاجروا , وبذلك تساعد علي بقاء واستمرار المجتمع من جيل إلي جيل .

والوظيفة الثالثة : تتمثل في تنشئة الطفل علي عادات المجتمع فإنجاب الأطفال ليس كافياً , ولكن يجب أن نقدم إليهم العناية البدنية وتدريبهم علي ادوار الكبار أيضاً . ويقع تعليم اللغة علي عاتق الأسرة وكذلك القيم والعادات والمعتقدات والرموز المعبرة والمهارات السائدة في هذه الثقافة .

الوظيفة الرابعة : والأخيرة للأسرة فتتمثل في الوظيفة الاقتصادية فالأسرة مسئولة عن توفير الحاجات المادية للكبار والصغار من أفرادها (11).

6 - الدراسة النفسية الاجتماعية للأسرة :

الدراسة النفسية الاجتماعية للأسرة في أساسها دراسة نفسية لإحدى الجماعات الصغيرة الهامة وهنا تبدو السمة المميزة لتلك الجماعة الصغيرة في أن الرابطة التي تجمع بين أفرادها علاوة على صور التفاعل الأخرى - عبارة عن رابطة قوية من الحب وأن بعض أفرادها (وهم الأطفال) قد جاءوا من نسل أفراد آخرين في تلك الجماعة (وهم الوالدان) . ولذلك يمكن القول دون مغالاة أن العلاقات الأساسية داخل الأسرة تتم في الحقيقة علي المستوى العاطفي أساسا . فالطفل يكتسب الإحساس بالأمان إزاء نفسه وإزاء العالم وإزاء الأطفال والكبار المحيطين به من خلال إحساسه بالانتماء المأمون إلي جماعة صغيرة تخلع عليه هذا الإحساس بالأمن في صورته المباشرة . ويمكن القول بأن احتياج الطفل إلي الأمن من الضخامة , والشدة بحيث أنه يؤدي إلي خلق نوع من الإحساس السلبي بالملكية . فهم يشعرون أنهم بمثابة ملكية خاصة لبعض الكبار المحيطين بهم , والذين تربطهم بهم طائفة من العلاقات الخاصة المتميزة في طبيعتها ويلعب هذا الأمن دورا هاما في التأثير علي استقرار وتوازن نمو الشخصية الفردية , ولكن شرطه الأساسي - كما نعلم - أن يلقي قبولا من الوالدين .

وقد اهتم التحليل النفسي اهتماما خاصا بدراسة موضوع ارتباط الأطفال بالأب والأم اللذين يختلف دورهما عن بعضهما اختلافا كاملا⁽¹²⁾.

أسئلة على الفصل السادس

- 1- ما علاقة الحالة الاقتصادية بمشكلات الأسرة ! وضح بأمثلة
- 2- كيف تصنف المشكلات السرية ؟
- 3- ما دور المرأة الوضع الاقتصادية للأسرة ؟

المراجع

- 1 - المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية , المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري 1952 - 1980 , القاهرة , 1985 , ص 159.
- 2 - علياء شكرى , الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة , دار المعارف , ط2 , 1981 , ص ص 182 - 183 .
- 3 - سامية الساعاتى , علم اجتماع المرأة : رؤية معاصرة لأهم قضاياها , مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع , 2003 , ص ص 155 - 156 .
- 4 - المرجع السابق , ص ص 154 - 157 .
- 5 - السيد عبد العاطى وآخرون , الأسرة والمجتمع , دار المعرفة الجامعية , 1998 , ص 17 .
- 6 - محمد عاطف غيث وآخرون , مجالات علم الاجتماع المعاصر : أسس نظريات ودراسات واقعية دار المعرفة الجامعية , 1985 , ص ص 610 - 611 .
- 7 - حسن محمد حسن و السيد عبد العاطى وآخرون , مرجع سابق , ص ص 47 - 48 .
- 8 - المرجع السابق , ص ص 46 - 47 .
- 9 - سامية محمد فهمى , المشكلات الاجتماعية : منظور الممارسة فى الرعاية والخدمة الاجتماعية , دار المعرفة الجامعية , 2000 , ص 116 .
- 10 - المرجع السابق , ص 117 .
- 11 - غريب سيد أحمد وآخرون , دراسات فى علم الاجتماع العائلى , دار المعرفة الجامعية , 1995 , ص 27 .
- 12 - علياء شكرى , مرجع سابق , ص 187 .

الجزء الثاني
دراسات تطبيقية

يعرض هذا الجزء إلى عدد من الدراسات الميدانية التي تهم العائلة المصرية وشبابها وتناقش مشكلاتهم في ضوء المتغيرات الدولية وهي كما يلي :

الدراسة الأولى : سلوكيات الشباب في ظل المتغيرات الدولية .

الدراسة الثانية : البطالة وأثرها على الأسرة .

الدراسة الثالثة : التمكين الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة.

الفصل السابع
سلوكيات الشباب
فى ظل المتغيرات الدولية
" دراسة ميدانية " *

* ألقى هذا البحث فى مؤتمرات " المجتمع المصرى إلى أين ؟ رؤية مستقبلية المجلس العلى للثقافة ،
القاهرة، 11-12 يونيه، 2007 .

مقدمة

يمثل الشباب جيل اجتماعي ثقافي له أهميته ويزيد من هذه الأهمية أنهم الأكثر تأثراً خاصة في ظل المتغيرات الدولية وما أحدثته من تحولات اجتماعية واقتصادية على الصعيد العالمي جسدت ما أصبح يعرف بالعولمة أي عولمة نمط أو نوعية الحياة الكائنة وتأثيراتها على منظومة القيم الأخلاقية.

وأنه بغض النظر عن انتماء شريحة الشباب في العالم الثالث لمجتمعاتها فإنه لفهم السلوك والتفاعلات الشبابية لابد أن نعطي اعتباراً للبعد العالمي . بمعنى وضع الظاهرة في سياقها الكلي والتعامل معها كنتيجة لعدد من المقدمات وليست كشيء معطً . ذلك لأن سلوك الشباب هو في حد ذاته نتاج لعوامل بنائية أكبر رغم أن النظرة السطحية الجزئية تنظر إلى سلوك الشاب على أنه سلوك فردي يرتبط بالموقف أو الشاب ذاته إلا أن نتائج الدراسات تشير إلى ارتباطه بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي وبالبطالة وعدم إشباع الحاجات الأساسية ومستوى التعليم المنخفض ... إلخ .

والشباب أكثر عرضه لتأثيرات العولمة الاقتصادية والثقافية التي تكشف لهم عن حياة شباب آخرين وتدفع بهم نحو المقارنات . وتحديد موقعهم وموقفهم من تلك التأثيرات بين تبنى ما يفد إليهم أو الاكتفاء بموقف المتفرج . وبين التشبث بموقف المحافظة الراضة . وهذا ما يجعل البعض يقابل سلوكيات الشباب في عصرنا هذا بالإنكار أو الاستنكار وهما موقفان غير مقبولين إزاء ما نواجهه في ظل العولمة ويستوى معهما موقف الاندفاع والهرولة للحاق بالركب دون فهم حقيقة ما يجري وهذا ما يعبر عنه شريحة من الشباب في بعض سلوكياتهم اليومية (خليك كوول) .

هدف البحث

يهدف البحث إلى استطلاع مظاهر ومواقف السلوك التي يأتي بها الشباب في تفاعلاتهم الحياتية بالتركيز على طلاب الجامعة في محاولة لتحديد دور المتغيرات الدولية على منظومة القيم الأخلاقية.

الإطار النظري للبحث

تذهب المادية التاريخية إلى أن وعى الناس يتحدد بوجودهم وأن الوعى ليس انعكاساً ميكانيكياً لهذا الوجود وأنه لا يتطابق أحياناً مع وجود الناس بسبب وجود عوامل أو أساليب أخرى تتدخل للتأثير فى العلاقة بين الوجود والوعى الاجتماعيين وهى ما تعرف بأساليب تشكيل الوعى .

ولفهم خصائص وعى شريحة الشباب وسلوكياتهم نطرح عدداً من التساؤلات تساعد على الإجابة عما إذا كان الوعى فردياً أو جماعياً ، أنياً لحظياً أم تاريخياً مستقبلياً . وهل تعكس الممارسات ما يسمى بالنضال السلبى مثل الانسحاب من المواقف أو الهجرة وهل يأخذ صيغاً وأشكالاً جماعية أم فردية (1) .

والسؤال المطروح هل هناك فى البلد الواحد أنماط حياة مختلفة تبعاً لاختلاف الطبقات والجماعات الاجتماعية ؟ والإجابة على هذا السؤال تتطلب الإشارة أولاً إلى تباين نمط الحياة أو الوجود (*) . الاجتماعى فى التشكيلة ذاتها وفى البلد ذاته ولدى الفئات نفسها من السكان وذلك فى مراحل مختلفة لتطور هذه التشكيلة ليس بمعنى أن دراسة نمط الوجود الاجتماعى يتطلب أن نأخذ فى الحسبان عدداً كبيراً من العوامل المتباينة (2) . بالإضافة إلى أنه ينبغى أن ندرسه فى ضوء عليه تاريخية اجتماعية لكى تستمر الأنماط الداخلية فى الوجود لذا فإنه بغض النظر عن كيفية إدراك الفرد لموقعه وموقفه (وجوده) فإن هناك ضغوطاً تؤثر عليه ، تنشأ من حقيقة الموضوعية

والتي يجب أن تتفق معها بطريقة أو بأخرى المعانى التي يضيفها عليها والتي تتفاعل معها (3) .

وإن العلاقات الاجتماعية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقوى المنتجة وأن الناس باكتسابهم لقوى جديدة يغيرون أسلوب إنتاجهم ومع تغير أسلوب الإنتاج أسلوب ضمان حياتهم فإنهم يغيرون علاقاتهم الاجتماعية بأسرها وبالتالي تتغير أنماط الوجود الاجتماعى والتي تشتمل على عدد من المستويات الأولى : المستوى التفسيرى العام ، الذى يتحدد بالخصائص العامة للتكوين الاقتصادى الاجتماعى وهى خصائص يلعب الدور البارز فيها أسلوب الإنتاج بعد تشخيصه فى كل مرحلة من المراحل التى نركز عليها . والثانى : هو المستوى التفسيرى الوسيط ، وهو مستوى البنية الطبقيّة فى كل مرحلة تاريخية محددة . وأخيراً مستوى الفرد الاجتماعى : الذى يتحدد خصائصه فى ملكيته أو عمله أو كليهما بالإضافة إلى مجمل خصائصه الأخرى.

إن الوجود مقولة فلسفية تحدد الحقيقة الموضوعية المحسوسة والتي يدركها الإنسان من خلال أحاسيسه ويعنى هذا أن فهم مجتمع ما يتطلب منا التعرف على طرق حياة الناس فيه وأساليب معيشتهم لا على الأفكار التى يكونونها لأنفسهم عن حياتهم وهذا ما جعل " لينين " يلاحظ أنه عندما نغتسل بحمام ماء دافئ فإننا نشعر بإحساس الدفء . مما يؤكد ان الوعى مشروط بالوجود بل أنه لا يمكن أن يكون شيئاً آخر غير الوجود الذى تم وعيه .

العولمة فى سياق النظرية الاجتماعية المعاصرة لقد بدأ منظروا علم الاجتماع منذ منتصف عقد الثمانينات بالاهتمام بوضع مفهوم واضح ومحدد للعولمة . وقد كانت نقاط الخلاف الأساسية التى تعوق وضع مثل هذا

التعريف هي طبيعة العوامل المسببة للعولمة واختلاف المنظرين في توجهاتهم وأيدلوجياتهم وطبيعة ميلهم أو نفورهم من موضوع العولمة كفلسفة . وبالرغم من ذلك كله ، فقد بدأ حدوث الإجماع حول الأسس العامة التي يقوم عليها مفهوم العولمة والتي أصبحت تشكل نمط الحياة والسلوك اليومي .

أ - يحاول المحللون المعاصرون ربط العولمة بالانفتاحية وعدم ارتباطها بحدود حيث يتنامى في هذا السياق العديد من النشاطات الاجتماعية بغض النظر عن الموقع الجغرافي للمشاركين فالأحداث العالمية كما يلاحظ " Jan Aurt scholte " يمكن لها في ظل تكنولوجيا الاتصالات والحاسب الآلية والانترنت أن تحدث في وقت متزامن تقريباً في أى مكان في العالم وتشير العولمة إلى زيادة احتمالية حدوث الفعل بين الأفراد بغض النظر عن حدود المكان والزمان .

ب - ينظر المنظرون الجدد للعولمة في ظل ارتباطها بنمو الترابط والتداخل الاجتماعي عبر الحدود الجغرافية والسياسية الموجودة . وفي ظل تلك النظرة ، تعتبر الانفتاحية هي الوجه الوقح للعولمة . ومع هذا فقد يؤدي ذلك إلى بعض التضليل ، ففي حين أن غالبية النشاطات الإنسانية لازالت مرتبطة بالموقع الجغرافي المحدود ، فإن الأحداث العالمية تعبر هذه الحدود وتؤثر على تلك النشاطات .

ج - لا بد أن تتضمن العولمة كذلك مرجعية إلى تسارع النشاط الاجتماعي . فالانفتاحية والترابط يعتبر ا فراغات في طبيعتهما . ومع هذه فيمكن بسهولة ملاحظة كيفية ارتباط هذه التحولات الفراغية بتسارع نمو الأشكال الفجة للنشاط الاجتماعي . فكما لاحظنا نجد أن السرعة الشديدة لوسائل المواصلات وتقدم الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات كانت كلها من

العوامل التي عززت من عبور الحدود وعدم الوقوف على مواقع جغرافية معينة .

د - بالرغم من اختلاف المحللين حول القوى الدافعة للعولمة ، فإن أغلبهم يتفق على أنه يجب النظر للعولمة نسبياً كعملية طويلة المدى . فعمليات الانفتاح والترابط وتسارع النشاطات الاجتماعية نادراً ما تحدث بشكل فجائي في الحياة الاجتماعية المعاصرة . بل لابد من مقدمات طويلة ومؤشرات واضحة حتى يتسنى حدوثها . وعلى هذا فإن العولمة بمثابة ملمح بنائي للعالم الحديث وعليه نجد التاريخ الحديث يحوى العديد من الأمثلة الدالة على العولمة .

هـ - لابد من فهم العولمة " كعملية تعددية ممتدة " حيث أن الانفتاح والترابط الاجتماعى وتسارع النشاطات الاجتماعية لا يمكن حصرها في معترك واحد من أوجه النشاط الاجتماعى بل نجدها تتخذ أشكال اقتصادية وثقافية وسياسية . فبالرغم من أن كل وجه للعولمة يرتبط بالمكونات الأساسية سالفة الذكر للعولمة ، فإن كل وجه يتألف من سلسلة معقدة ومستقلة نسبياً من التطورات التجريبية الإمبريقية ويستوجب الفحص الواعى حتى يتسنى الوقوف على الميكانيكيات المحددة المسببة له (4) .

فى منهجية الدراسة الميدانية وتساؤلاتها

يأتى نمط البحث استطلاعى تفسيرى لأنه يتناسب مع الظاهرة موضوع البحث وذلك بالاعتماد على بيانات جاهزة وأخرى ميدانية . والتي تتضمن سلوكيات الشباب ورؤاهم حول قضايا طرحها العولمة كالنظرة إلى العمل والمرأة (الزواج) وعلاقة الأبناء بالآباء واللغة المستخدمة فى التفاعلات اليومية مما انعكس على منظومة القيم . إذ أصبحت الثقافات

الفرعية المنحرفة أمراً سائداً وخاصة بين الشباب كما أن النماذج القديمة للسلوك لم تعد تتمتع بالمصداقية . والحياة السهلة وفى المقابل يؤدي تفاوت مستوى الإشباع إلى حالات من الضغط والتي غالبا ما ينجم عنها سلوكيات يمكن وصفها بالغريبة من حيث أسلوب التفكير وطريقة اللبس والنظرة للمستقبل . فى ظل تحطم قيم الحياة الايجابية وعدم وجود إطار قيمي وأخلاقي للشباب يذكي ذلك توافر النماذج السلبية السائدة التي يوفرها مناخ الوسائط الإعلامية فى ظل المتغيرات الدولية .

من خلال هذه الإشكالية يطرح البحث التساؤل التالي :-

ما سلوكيات الشباب فى ضوء محاولة عولمة نمط الحياة ؟

وسيتم الإجابة على هذا التساؤل من خلال عرض لرؤية الشباب للمتغيرات الدولية ومنظمتها وانعكاساتها على جيل الشباب وسلوكياتهم ونظرتهم لواقعهم ، وتغيير اتجاهاتهم بالتركيز على طبيعة العمل فى العملية الإنتاجية وأسلوب تكوين الأسرة والعلاقة بالوالدين ونمط وأخلاقيات التعامل فى حياتهم اليومية ، وتصورهم للمستقبل فى ظل سقوط كافة الحواجز بفضل ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال والتي تمثل تحديات تواجه جميع دول العالم .

وأخذنا عدد من دراسات الحالة الميدانية بلغت عشرون حالة من طلاب كلية الآداب - جامعة المنصورة - مصر من الجنسين بطريقة عشوائية وذلك خلال شهر ابريل 2006 باستخدام دليل للمقابلة شمل عدة محاور هى : دور العولمة فى تشكيل أو إعادة تشكيل فكر الشباب بالنسبة لبعض القضايا مثل (العمل - الزواج - لغة الحوار اليومى وأخلاقياته)

وانعكاس كل ذلك على المجتمع وهويته واستقراره وكذلك الحلول المقترحة والرؤى المستقبلية.

واعتمدنا على المقابلة كوسيلة لجمع البيانات وكذلك مناقشات حرة وحوارات مع عدد من طلابي بالجامعة وتتمثل خصائص العينة في أنهم طلاب من الجنسين ومازالو يدرسون تتراوح اعمارهم ما بين 18 - 22 عاما .

وفيما يلي نعرض للمحاور التالية :-

أولاً : الأخلاق وتشكيل السلوك .

ثانياً : العولمة وخلقها العالمي .

ثالثاً : نتائج الدراسة الميدانية .

أهم التوصيات

أولاً : الأخلاق وتشكيل السلوك

وفيها نناقش ثلاث قضايا وهي ثقافة العولمة ، ومرجعيات السلوك ، الشباب ونمط الحياة .

1 - ثقافة العولمة

يشير " محمود أمين العالم " إلى أن لكل إنسان ثقافته التي تتمثل في رؤيته الفكرية للعالم ، وسلوكه العملي والاجتماعي والوجداني فيه ، سواء كان واعياً بهذا أو غير واع وهذه الرؤية الثقافية التي تتجسد في تصوراته وفي سلوكه العملي ومواقفه الاجتماعية رغم طابعها الشخصي الذاتي ليست مجرد رؤية شخصية ذاتية صنعها الانسان لنفسه بنفسه ، مهما كانت عبقريته الفردية ، أو مهما كانت مشاركته الإبداعية في اغنائها ، وإنما قد امتص هذه الثقافة من الحقل المعرفي الاجتماعي الذي يعيشه ، فضلا عن موقعه

الاجتماعى وممارساته وخبراته الحياتية فى مجتمعه الخاص وعصره عامة⁽⁵⁾.

والفكر جانب من الثقافة الذى يتعلق بما يطلق عليه " مانهايم " الإطار المرجعى من قيم ومعايير وأساليب فى التفكير وفى إصدار أحكام تتجاوز الواقع المعاش ، وأن أحد تجليات الإطار المرجعى هذا ما يطلق عليه "تشمسكى" حدود الفكر الممكن التفكير فيه ، فالمناخ الثقافى العام السائد الآن ، والأثر الطاعى لوسائل الإعلام والقيود التى تفرضها الطريقة التى تفكر بها أحيانا ، لا تحدد ما نستطيع أن نفكر فيه ونؤمن به فى ظل التغيرات الدولية أو ما أشار إليه "توماس كون " إلى مفهوم البراداييم Paradigmatic shift⁽⁶⁾.

وتمثل التكنولوجيا على مدى التاريخ محركا أساسيا للتغيير الثقافى والحضارى وإفرازا له فى الوقت نفسه ، إلا أن تكنولوجيا المعلومات هى التى جعلت من الثقافة صناعة قائمة بذاتها لها مرافقها وسلعها وخدماتها ، وأضافت إلى قاموس الثقافة مفاهيم جديدة مثل : صناعة الأخلاق ، أمية الكمبيوتر ، الطبقة المعلوماتية ، الرأسمالية الفكرية الخ⁽⁷⁾ .

فما المقصود بثقافة العولمة ؟ لا تعنى ثقافة العولمة الشركات العالمية عابرة القارات ، بل إنها خريج جديد فى المدرسة الإنسانية له مهمة فى غاية الإثارة والأهمية وهى الكشف عن المشكلات والعمليات العالمية من منظور إنسانى . وسيتم إعداد التلاميذ فى ظل تلك الثقافة العالمية السائدة للقيام بما يضطلع به المتخصصين بعد تخرجهم مثل العمل فى إدارة الأعمال ، والقانون ، أو التعليم ، والسياسة العامة ، المجالات الأكاديمية والطباعة والتليفزيون والإعلام. كما سيكون خريجى هذه الثقافة الإنسانية العالمية أكثر تخصصاً فى مجالات الخدمات الخارجية والأعمال الدولية خاصة فى

المجالات التي تستلزم قدراً عالياً من التحليل والحكم والقدرة على النقاش والجدل والحوار . كما تعمل هذه الثقافة العالمية على تزويد التلاميذ بمعرفة وفهم مدي تعقد وتنوع هذا العالم الذى يحيون تحت مظلته . وعلى هذا ، فإن خريجى تلك الثقافة العالمية الجديدة حساسين حيال التحديات والفرص التي يعرضها المجتمع متعدد الثقافات الذين هم جانب منه (8) .

2 - مرجعيات السلوك

السلوك الانسانى هو ترجمة حقيقية للفلسفة الأخلاقية. وقد بدأ التفكير الأخلاقى عند جمهرة فلاسفة اليونان منذ القدم . إذا انصرفت الفلسفة عن دراسة العالم الخارجى إلى البحث فى الانسان وسلوكه ، فوضع السوفسطائية نظريتهم الأبيستمولوجية التي أقرت الفرد مقياساً للأشياء ، فأصبحت الحقائق وليدة الاحساسات والانطباعات الذاتية ، ومن ثم بطل القول بوجود حقيقة موضوعية ثابتة مستقلة عن الفرد وظروفه ، وتعددت الحقائق الجزئية بتعدد مدركيها والحالات التي تطرأ عليهم ... ثم مد السوفسطائية نظريتهم الأبيستمولوجية إلى مجال الأخلاق فكان الفرد مقياس الخير والشر ، ومن ثم بطل القول بوجود مبادئ خلقية موضوعية مطلقة وأضحت قيم الأخلاق ومبادئها ذاتية نسبية متغيرة .

وجاء سقراط فرفض نظريتهم الأبيستمولوجية والأخلاقية ورد الحقائق إلى العقل وانتهى من هذا إلى إقرار الحقائق الثابتة المطلقة فى مجال المعرفة . ثم طبق نظريته الأبيستمولوجية فى مجال الأخلاق ، فإنتهى إلى القول بوجود قيم موضوعية مطلقة لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ، ولانتغير بتغير الظروف والأحوال .

واستمر الوضع على هذا النحو عند أكثر الفلاسفة فى عصورنا الحديثة ، فإذا كان الحسيون من الوضعيين والطبيعيين ومن إليهم يقفون فى تفسير الوجود والمعرفة عند التجربة دون أن يتجاوزوها إلى ما وراءها من حقائق ، فهم فى مجال الأخلاق يرجعون - فى العادة - القيم والمبادئ بدورها إلى التجربة دون العقل ، ولما كانت التجربة تعبر عما هو كائن فى حالة معينة ، ترتب على منطقتهم أن تكون قيم الأخلاق ومبادئها جزئية نسبية متغيرة ، وليست كلية مطلقة ثابتة ، أما (المثاليون) العقليون فإنهم يتجاوزون فى تفسيرهم للوجود والمعرفة عالم التجربة إلى عالم الحقائق التى تقوم وراءها ، ويرون فى مجال الأخلاق أن القيم صفات عينية تقوم فى طبائع الأفعال ، ومن ثم كانت ثابتة موضوعية مطلقة (9) .

وذهب البعض إلى جعل الأخلاق فرعاً من علم الاجتماع إستناداً إلى أن مبادئ الأخلاق تصبح غير ذات موضوع متى عاش الإنسان فى عزلة عن غيره من الناس ومن أجل هذا ارتبط الخير الأقصى غاية لسلوك الإنسان، بنوع العلاقات الإجتماعية التى تقوم بين أفراد المجموع بعضهم والبعض الآخر ، وبدت هذه الوجهة من النظر عند أتباع النفعية والتطورية بوجه عام، وتبلورت عند دعاة المذهب الوصفى ممن نقلوا البحث الخلقى من دراسة السلوك الإنسانى بما هو كذلك ، إلى دراسة العادات والظواهر الخلقية مقيدة بزمانها ومكانها دراسة موضوعية تقوم على مناهج استقرائية خالصة(10) .

كما أن الكثير من الأنماط السلوكية التى يصدرها الفرد وهو بصدد التعامل مع المواقف الاجتماعية المختلفة ، إنما تقف كدالة لما حددته الثقافة على أنه أسلوب مرغوب فيه أكثر من أنها دالة لما يتمثله الأفراد من قيم

يرونها جديرة باهتمامهم . فالاستجابة التفضيلية لا تحدث فى فراغ ، ولكنها توجد فى سياق اجتماعى معين ويجب فهم هذه الاستجابة فى ضوء السياق الذى توجد فيه . فالسلوك محصله للتفاعل بين اتجاهين ، أحدهما نحو الموضوع والثانى نحو الموقف . فالفعل أو السلوك لا يتحدد فقط بواسطة الاتجاهات أو القيم ولكن إلى جانب ذلك توجد الحاجات والظروف الموقفية ، ونتيجة لذلك حاول بعض الباحثين التعامل مع القيم من خلال كل من الاتجاهات والسلوك معا على أساس أن الاتجاهات والسلوك أو الفعل هما محصلة نهائية لتوجهات القيم (11) .

وتأتى محاولات تفسير السلوك الانسانى إلى البيولوجية- الاجتماعية (Socio-Biology) ومن الصعب الآن فهم علم الأحياء التطوري من دون الاستفادة من تفسيرات فى علم النفس التطورى ، ومن علوم الأعصاب (النيوروساينس) فى فهم ظواهر مثل أساليب الفهم وتأثير اكتساب اللغة فى المعرفة والتفكير (12) .

3 - الشباب ونمط الحياة

يمثل اكتساب المهارات الجديدة أمراً ضرورياً وحيوياً فى ظل التعامل مع التحولات التى أحدثتها المتغيرات الدولية فى الاتجاهات الاجتماعية ونمط الحياة والمشكلات اليومية (13) . والثقافة الإنسانية دائماً بما فى ذلك اللغة تؤدى دوراً حاسماً فى الطريقة التى نفهم بها الأشياء ونصدر فيها الأحكام ونكون فيها القيم ويذهب " برونو لاتور " إلى أن ثقافة ما قبل الحديثة كانت تجمع الأشياء الطبيعية والاجتماعية فى عالم واحد (14) .

والشباب أكثر عرضة بالتأكيد من جيل الآباء للتأثيرات الوافدة من الخارج ونعنى بذلك تأثيرات العولمة الاقتصادية والثقافية ، التى تكشف لهم

عن حياة شباب آخرين ، وتدفع بهم نحو المقارنات ، وتختصر المسافات بقدر ما تعمق التمايزات والفوارق وتكدس الثروات فى أيدى القلة . ويتراوح احتكاك الشباب بهذه التأثيرات ، تبعاً لوسائل الاتصال المتاحة لهم ، فما يسمى بالفجوة الرقمية digital Divide والتي لا تقع بين المجتمعات فحسب وإنما داخلها أيضا ويتراوح كذلك موقف الشباب من تلك التأثيرات ، بين تبنى ما يفد إليهم أو الاكتفاء بموقف المتفرج ، وبين التثبيت بموقف المحافظة الراضية الذى لا يعد اتباعاً لتقاليد الآباء ، بقدر ما هو إعادة ابتداع لها ، على نحو يتحدى ثنائية الحداثة / التقليد ؛ فالعولمة تعمق من التمايزات بين الشباب وإن ترتبت عليها تأثيرات محلية غير مقصودة ، ولا يخضع الشباب لها ولا هم بالضرورة ضحاياها السلبيون وإنما تتوافر لهم قدرات متفاوتة على التفاوض وعلى إدماج العناصر الوافدة ضمن شفرة محلية (15) .

تؤكد ذلك نتائج بحث ميدانى أجرى على عينة من 217 طالب فقير من جامعة Ningxia بالصين عام 2003 وجاءت النتائج أن العديد من طلاب الجامعة يشعرون بالتبعية والاكنتاب والفقر فى ظل النظام العالمى الجديد وأن 56% وصفوا حياتهم على أنها غير سعيدة وأن 52% يشعرون بالقلق فى ظل نمط الحياة المادى السريع (16) .

وهذا ما جعل "هيدجر" يصفها " أنها التكنولوجيا المصابة بداء الحصاد " لذا نتساءل : هل ينذر عصر المعلومات بطوبائية رأسمالية سوداء، أم يبشر بعالم يعاد بناؤه من جديد ، على أسس أخلاقية مغايرة ، ترفض الوضعية العلمية وصلفها الفكرى ، وترفض البراجماتية ونفعيتها القصيرة النظر ، وترفض ذاتية ما بعد الحداثة وقد اقتربت - فى رأى البعض - من حد الفوضى التى يمكن أن تؤدى بنا إلى الهلاك (17) .

ان النقطة التي تجدر الاشارة إليها هي ضرورة وعى التفاعلات المحتملة بين الاتجاهات العالمية وبين الاتجاهات الوطنية والاقليمية . فالاولويات والاهداف قد لا تتطابق تماما . ففي عصر العولمة ، يكون التداخل المعرفى شديداً إلى درجة يكون الفصل الجغرافى بين ما هو داخلى وما هو خارجى غير صالح تماما . كما تزداد الشراكات والتمويل بين مؤسسات البحث الوطنية والدولية . وبالتالي تزداد أهمية تحديد أهداف وطنية واضحة ، بحيث تستجيب دراسة أوضاع الشباب فى البلد أو المنطقة المعنية، لأهداف وأولويات حقيقية نابعة من حاجات المجتمع وواقعه .

ان حصول مثل هذا التباين هو احتمال واقعى . فقد جاء فى مقدمة الفصل الأول من المسح القومى حول النشئ فى مصر : " وقد تبين ان الافتراضات السائدة محليا حول النشئ لم تكن تتمشى مع الحقائق الجديدة . على سبيل المثال ، فى حين اهتم العديد من الباحثين ووكالات التنمية بتأثيرات الزواج المبكر على الفتيات ، فإن البيانات المتوفرة اظهرت تراجع هذه الظاهرة بسرعة كبيرة نسبياً وفى حين واجه عدد متزايد من الشباب فى الوقت نفسه مشكلة الزواج المتأخر ، والتي تفاقمت بسبب ارتفاع تكلفة الاسكان والبطالة بين الخريجين ، فقد أهملت الأدبيات هذا الوضع الخاص كما أهملته غالبية الهيئات المعنية بقضايا الشباب . فى غضون ذلك ، لم توفر الأدبيات الدولية سوى القليل من النماذج المفيدة بالنسبة للتفكير حول واقع النشئ المصرى . وركزت أغلب الأدبيات على قضايا السلوك الجنسى ، والحمل خارج اطار الزواج ، والتعرض للأمراض التى تنتقل عبر الاتصال الجنسى . وفضلا عن أن تلك القضايا كانت غير ملائمة للمناخ المحافظ فى مصر ، فقد بدا أيضا أن الادبيات تغفل العديد من الجوانب المهمة لحياة

النشئ والتي تؤدي إما إلى الحرمان أو إلى تحسين الفرص في المستقبل ، مثل ترك المدرسة ، وشغل الأدوار المتصلة بالعمل ، ودخول الحياة الزوجية ... إلخ (18) .

ثانياً : العولمة وخلقها العالمي :

وفيها نعرض للعولمة كمفهوم ، التوحد العالمي ، عنف العولمة .

1 - العولمة كمفهوم

لا يمكن وضع مفهوم العولمة تحت مظلة فرع منفرد من العلوم الاجتماعية . فهي ليست نظرية مطولة وكاملة ، لكن قيمتها للعلوم الاجتماعية تنأتى من حقيقة أنها تثير الاهتمام بتلك العمليات التي تحاول جعل العالم مكان واحد أو قرية صغيرة (ما صار يعرف بالنظام العالمي) .
وتعد دراسة العولمة جزءاً من الإدراك الاجتماعي العلمي الأوسع بأن الوحدات التقليدية ومستويات التحليل الفردية والمحلية والمجتمعية والقومية والدولية ليست نطاقات أو جزر منعزلة عن بعضها البعض . وعلى هذا يمكن النظر للنظام العالمي على أنه نظام ينجم عن ترابط وتداخل المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية ويتم ادراكه والتعرف عليه عبر الممارسات الهامة للفاعلين الاساسيين فى تعاطيهم مع قوى العولمة . ويكمن المعنى الأعمق للعولمة ، الذى يعبر عنه " Alain Benoisty " فى هذا الفهم ويكون ظهوره ممكناً فقط من خلال الإدراك الواعى لكل النماذج المحددة (19) .

هذا وقد ساهمت ثلاثة عوامل فى الاهتمام بمفهوم العولمة فى الفكر والنظرية، وفى الخطاب السياسى الدولى :

أ - عولمة رأس المال أى تزايد الترابط والاتصال بين الاسواق المختلفة حتى وصلت إلى حالة أقرب إلى السوق العالمى الكبير ، خاصة مع نمو البورصات العالمية .

ب - التطور الهائل فى تكنولوجيا الاتصال والانتقال والذى قلل - إلى حد كبير - من أثر المسافة ، وانتشار أدوات جديدة للتواصل بين أعداد أكبر من الناس كما فى شبكة الإنترنت .

ج - عولمة الثقافة وتزايد الصلات غير الحكومية والتنسيق بين المصالح المختلفة للأفراد والجماعات ، فيما يسمى الشبكات الدولية Networking حيث برز التعاون استناداً للمصالح المشتركة بين الجماعات عبر القومية ، مما أفرز تحالفات بين القوى الاجتماعية على المستوى الدولى، خاصة فى المجالات النافعة مثل : الحفاظ على البيئة ، أو فى المجالات غير القانونية كتنظيف الأموال والمافيا الدولية للسلاح .

وفى الواقع فإنه على الرغم من ترحيب دعاة العولمة بزوال الحدود القومية ودعوتهم لإنهاء الدولة القومية ، والحد من الإغراق فى الخصوصية الثقافية والمحلية ، لكن الواقع الحالى يثبت وجود قوتين متعارضتين : التوحد والتجزؤ⁽²⁰⁾ .

تُعرف العولمة على أنها التكامل العالمى للمجتمعات والنظم الاقتصادية والتي تؤثر على العديد من أوجه حياة الشباب . فللسباب علاقة غامضة بالعالم المتعولم (الكونى) اقتصادياً وثقافياً . فمن ناحية ، نجدهم الأكثر مرونة وربما يكون الأقدر على التكيف والاستفادة من الفرص الجديدة المتوفرة . فهم الجيل المتعلم الذى عاصر التكنولوجيا الحديثة للمعلومات والذى استفاد من النمو الاقتصادى والرحلات العديدة للعمل حول العالم

والدراسات وتبادل المشروعات وظهور الهواتف والإنترنت الذى مكنهم من البقاء على تواصل مع أصدقائهم وأقاربهم بالخارج . ومن ناحية أخرى ، فإن العديد من الشباب ، خاصة فى الدول النامية ، قد تركوا معزولين عن حركة الحداثة تلك ولم تتوفر لهم القوة الاقتصادية التى تمكنهم الاستفادة من فرص العولمة . وهناك أربعة آثار رئيسية للعولمة تؤثر على حياة الشباب بشكل أساسى وهى : توزيع فرص العمل والهجرة وثقافة الشباب الاستهلاكية والمواطنة العالمية وتفعيلها (21) .

2 - حلم التوحد على الرغم من التنوع .

" العالم إما كل واحد وإما لاشئ " هذه مقولة لألبرت آينشتين . ربما ألهمه إياها حلمه بنظرية عامة جامعة عن المجال الموحد . وعلى ما يبدو فإن العولمة قد آمنت بمقولة آينشتين هذه ، فهى تنظر إلى شعوب العالم من منظور وحدة الجنس البشرى بصورة تتجاوز " النسبية " الثقافية ، سواء العقائدية أو القيمية أو اللغوية بناء على ذلك ، كان على العولمة لكى تحقق حلم التوحد الانسانى هذا أن تسعى إلى إقامة نوع من الخلق العالمى أو أخلاقيات الحد الأدنى التى تشترك فيها ثقافات العالم أجمع وهم لا يرون فى ذلك الخلق العالمى .

تناقضا مع الخصوصية الثقافية والهوية الحضارية لشعوب العالم . سندهم فى ذلك أن هذا الخلق العالمى يقوم على مبادئ انسانية عامة . ومن هنا لا يجوز أن يترك أمر هذه المبادئ رهنا بالنسبية الثقافية . بل يجب فرضها من خلال المنظمات الدولية ، وموثيق حقوق الانسان العالمية . والأمل معقود على تكنولوجيا المعلومات ، كى توفر الوسائل العملية لحوار مثمر بين ثقافات العالم ، وذلك بهدف تقريب وجهات النظر ، بغية تحديد

مضمون هذا الميثاق الأخلاقي العالمي الجديد . ميثاق عصر ثقافة المعلومات، الذى سيحقق - فى رأيهم - السلام والسعادة للجميع ، ويؤلف بين قلوب البشر على اختلاف أجناسهم وثقافتهم (22) .

ويواجه هؤلاء الشباب يوميا سيلا من الرسائل الإعلامية - المنافس الحقيقى للمؤسسة التعليمية - التى تتوجه إليهم بوصفهم " جماعة مستهلكة " لمختلف السلع المادية والثقافية "الشبابية" التى تصنع فى مجملها مظهراً ونمط حياة ، والتى وإن كانت تخاطب ذوى القدرة الشرائية المرتفعة من الشباب ، إلا أنها سرعان ما تتجلى فى "طبقات شعبية" من ذات السلع ، لذوى الدخول المحدودة . وهكذا فإن خصخصة المكان وإغلاقه على القادرين (من الشواطئ إلى الجامعات) يكافئها تعميم لبعض المفردات الثقافية (من لغة الشباب إلى الأغنية) . على أن رصيد مضمون الرسائل الإعلامية ، ثقافية كانت أو استهلاكية ، لا يغنى عن محاولة التعرف على استقبالات الشباب لهذه الرسائل . وفى ذات الإطار يتوافر لهؤلاء الشباب من وسائل التسرية وقضاء أوقات الفراغ ما لم يكن متاحاً لأبائهم ، وإن كان العديد منها يقترن بالقدرة المادية ؛ وبقدر ما تتوفر هذه الوسائل ، فهى تكون أحيانا سبباً للتلوج إلى المجال العام، أو لتكوين عالم خاص كثيراً ما لا يملك الكبار مفاتيحه . وما بين الرسائل التى تتحدث بلغة الشباب وبين مختلف وسائل التسرية التى تجيد مخاطبتهم ، غالباً ما تسقط سهوا حملات التوعية ذات الطابع الخطابى والأخلاقي ، ذلك رغم أن أوقات وأنشطة التسرية هى من المفترض أنها مدخل لإيصال رسائل هادفة وإن كانت غير متجهمّة تعبر أو لا عن احترام موجهها للشباب (23) .

وعلى صعيد عمليات الاتصال بين أرجاء المعمورة ، فإن تكنولوجيا الاتصال قد قللت إلى حد كبير من تأثير المسافات بين الدول ، وازدياد التفاعل بين الأشخاص والثقافات - بعبارة أخرى : حوار الحضارات ، مما قاد إلى تكوين ثقافة عالمية جديدة يستغربها الذين اعتادوا على ثنائية " الذات والآخر " فهناك دعوة للاندماج تبرز في مدارس الفن والفلسفة ، وحوارات على كافة الأصعدة الحضارية والدينية . ويركز المتوجسون من العولمة على الروح الاستهلاكية العالية التي تواكب هذه المرحلة ، والتي تتضح فيما يسمى ثورة التطلعات ، وانتشار النمط الاستهلاكي الترفي بين الأغنياء أو الحلم به وتمنيه بين الفقراء .

وتتطوى العولمة على درجة عالية من العلمنة - أى تغليب المادية والحياة العاجلة على أية قيم مطلقة ، فعلى سبيل المثال : تعامل ثقافة الإعلام فى ظل العولمة مع المرأة طبقاً لرؤية نفعية ، يكون فيها جسد المرأة أداة لتعظيم المنفعة المادية ، فمن ناحية تعتبر المرأة سلعة يمكن تسويقها - من خلال العروض التلفزيونية والإعلانات - عالمياً ، ومن ناحية أخرى تعتبر هدفاً لتسويق سلع استهلاكية كمستحضرات التجميل والأزياء - وتتجلى هذه الرؤية فى أشكال شتى منها مسابقات ملكات الجمال .

وعلى الرغم من انتشار مفهوم العولمة ، فإن العالم يفتقر إلى وجود وعى عالمى أى إدراك الأفراد لهويتهم الكونية أكثر من الهويات المحلية . فواقعياً ، لازالت الهويات المحلية تتصارع مع تلك الهوية العالمية التى تهيمن عليها القوى الكبرى اقتصادياً وحياتياً (نموذج الأمركة) ، فعلى سبيل المثال بينما تتحد الدول فى وحدات إقليمية كبيرة فإن التواصل بينها مفتقد ، وبينما تتسارع العولمة الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية سعياً وراء تقليل

فوارق المسافة ، تخلق السياسة العديد من الفجوات بين الدول . وتعتبر هذه السلوكيات عن جدلية إدراك الإنسان لدوره ككائن اجتماعى من ناحية ، وكفرد يتصارع عالمياً سعياً وراء مكانة خاصة (24) .

لقد حذر " غاندى " منذ عقود من سياسة بلا مبادئ وتجارة بلا أخلاق وثروة بلا عمل وتعليم بلا تربية وعلم بلا ضمير وعبادة بلا تضحية وهانحن فى عصر العولمة وخمس بالغينا من الأميين ، ونصف صغارنا محرومون من المدارس وأربعة أخماس عمالتنا مهددة بالبطالة، ولم تعد تتطلى على أحد تلك الوعود المسرفة والتي لا هدف من ورائها إلا أن يتحمل البؤساء والضعفاء مزيداً من البؤس والقهر انتظاراً لغد ذهبى قادم لا محالة ، ما إن تتحقق الفروض (25) .

3 - عنف العولمة

العولمة - وليدة رأسمالية قامت - أصلاً - على الاستغلال وتدمير البيئة وعدم العدالة فى توزيع الموارد ، سواء الموارد الطبيعية أو المادية أو المعلوماتية وما هذا الخلق العالمى الذى يتحدثون عنه - فى رأى هؤلاء - إلا ستار يخفون وراءه مطامعهم ، ونيتهم فى استغلال تكنولوجيا المعلومات بهدف مساندة ممارسات قوى العولمة ورأسماليتها الجديدة . لقد أفرزت العولمة عالماً وصل فيه الأغرئاب عن القيم السماوية ، وعن الجار وعن الذات ، إلى حد لايمكن التغطية عليه باستهلاك الأيديولوجيات وكما أظهرت العولمة الحاجة إلى توحيد القيم والأخلاق ، فقد أوصل النظر فى واقع النظام العالمى وأصوله ورؤى مستقبله - كما يقول صدقى الدجاني - إلى الشك فى قدرته على أن يثمر تعاوناً دولياً لحل مشاكل عالمنا (26) .

وهناك من يؤكد على أن العولمة باعتبارها نسق للعنف ، فهي تفرض نفسها وتحافظ على بقاءها من خلال استخدام العنف وذلك بسبب التجارة التي تتصاعد بما يتجاوز الحاجات الإنسانية أو الرغبات الشرهة لأسواق كونية من أجل الموارد التي تشن من أجلها الحروب مثال على ذلك أن الحروب من أجل الماس فى سيراليون أو من أجل البترول فى نيجيريا والعراق قد تسببت فى قتل الآلاف من النساء والأطفال وارتباطا بذلك فإن نقل الموارد التى تملكها الشعوب إلى مؤسسات الإنتاج الكونية يحتاج إلى دول عسكرية تسلح نفسها من أجل مصالح اقتصادية (27) .

وإذا كان الإقتصاد يتجه نحو المزيد من الوحدة على الصعيد الدولى تخطو السياسة نحو المزيد من التفتت مع نمو الوعى العرقى والنزاعات الأثنية ، فى حين تتراوح الثقافة بين انتشار الثقافات الغربية فى الحياة اليومية وبين إحياء الثقافات والتراث على المستوى العالمى ، كما تتطوى العولمة على تغليب الماديات والحياة العاجلة على أية قيم مطلقة واختزال الإنسان فى بعده المادى الاستهلاكى وأحيانا الشهوانى (28) .

لقد شكلت فكرة دولة الرعاية ، وقيم العدالة والتضامن الاجتماعى والمواطنة ، والتشغيل الكامل والوظائف الثابتة ، والتوازن بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية فى استراتيجيات التنمية .. الخ ، جوهر نظرة الحداثة إلى الدولة والمجتمع . أما النموذج الحالى المعولم فهو يقوم على قيم نقيضة تشدد على الفردانية ، وأولوية طاغية للجدوى الاقتصادية حيث المال والربح هو القيمة العليا ، وعلى تشجيع الميول الاستهلاكية ، وإعادة انبعاث النزعات الدورانية - الاجتماعية حيث التنافس محتدم ، وحيث البقاء للأقوى فى آليات السوق العالمية . كما أن هذا النموذج الجديد يروج لتفكيك دولة

الرعاية وفكرة التضامن ليحل محلها استقطاب اجتماعى واقتصادى شديد بين الأغنياء والفقراء عالميا ووطنيا ، فيتوسع الفقر ويسود منطق الانقسام البسيط إلى رابحين وخاسرين " ، واعتبار هذا الانقسام امراً طبيعياً وعادياً . كما يرود للفكرة القائلة ان تغيير وضعية الفرد رهن بقدراته الذاتية ومهاراته فقط دون أى مسئولية للنظام الاقتصادى أو الاجتماعى .

ينتج عن هذا التحول النوعى تغييرات كثيرة جداً ومتعددة المستويات تشمل الوضع الحالى والتوقعات المستقبلية ، بالنسبة لمختلف الفئات السكانية والاجتماعية ، وخصوصا للشباب والمراهقين . ويتجلى ذلك فى ظاهرات جديدة فى أوساط هؤلاء ، سواء من حيث الحجم والانتشار ، أو من حيث النوع ، والتي يمكن رصدها بشكل خاص من خلال تجلياتها المتطرفة (كالعنف والجنوح) ، وهو أمر ناتج عن حساسية المراهقين والشباب الكبيرة ازاء قيم المجتمع وفعالية مؤسساته واحتمالات المستقبل . وبالتالي فإن اشكاليات المراهقة والشباب (على الصعيد العالمى ، والاقليمى والوطنى) ترتبط مباشرة بالأسئلة والتحديات التي يطرحها العالم المعاصر ، والتي تختلف عن الأسئلة التي طرحها فى المراحل السابقة .

وهنا لابد من التنبه لبعدي الكونية والخصوصية . فثمة جامع مشترك اساسى يتشكل من اساسين : الأول هو وحدة الانسان فى خصائصه الاساسية من النواحي العقلية والنفسية والوجدانية الفسيولوجية ، واشتراك جميع المجتمعات فى أساسيات الهياكل المؤسسية وبعض الأدوار الرئيسية (العائلة والمدرسة على سبيل التخصيص) . أما الأساس الثانى للشبابه ، فهو العولمة ونتائجها وآلياتها ، التي تشكل اطار عاما وسياقا عاما موحدا لتطور المجتمعات وان كانت تختلف فى موقعها من العولمة وفى ردود فعلها عليها .

إلا أن آليات العولمة قادرة على اختراق الحدود الوطنية ، يساعدها فى ذلك ثورة الاتصالات ووسائل الأعلام الجماهيرية، بما يمكنها من التأثير أو حتى خلق سلوكيات ومفاهيم " عابرة للقوميات " فى بعض أوساط الشباب والمراهقين ، مما يجعل الاشكاليات المعاصرة - فى طبيعتها الاخيرة - حاضرة كعنصر داخلى فى المجتمعات كافة (29) .

وتخلق العولمة فرص جديدة غير مسبوقه ، وهو الأمر الذى يعد بمثابة القوة الأساسية الدافعة فى التسريع بتنمى النظام الاقتصادى العالمى . إلا أن عدم المساواة فى تلك الفرص كان يعد مجرد أمر استثنائى سواء فى داخل الدول أو فيما بينها . وقد بات واضحاً الآن أن الفوائد المنتظرة لا تصل للعدد الكافى من الناس فالعديد من الآباء ممن حققوا مستوى معيشى منخفض نجدهم يخشوا من أن أطفالهم ربما لا يصلوا إلى حياة أفضل من حياتهم . وفى العديد من الدول أدى تزايد المنافسة العالمية لفقدان الوظائف إضافة إلى ذلك فإن الوثبات التى تحققها الشركات الكبرى تؤدى إلى أزمات مالية واقتصادية مما يترتب عليه ارتفاع حاد فى معدل البطالة والفقر وعليه ، فإن كل تلك العوامل تسهم فى تنمى الإحساس بعدم الأمان وبالتالي - يخلق مزيداً من العنف (30) .

وتشير الإحصاءات إلى أن العولمة أفرزت حتى الآن 800 مليون إنسان يعانون من الجوع و3 مليارات إنسان لا يزيد دخل الفرد منهم على دولارين يومياً كما أصبح ثلث سكان العالم الثالث وعددهم 4.5مليار نسمة لا يحصلون على مياه نقيهه و 20% من الأطفال فى العالم الثالث ينقصهم البروتين ومليار إنسان فى الدول النامية أى حوالى 25% من سكان العالم الثالث يعانون من فقر الدم (31) .

ثالثاً : نتائج الدراسة الميدانية

وبتحليل استجابات حالات الدراسة الميدانية والمقابلات الحرة وجد أن هناك أنماط من التفكير والسلوك (تشمل اللبس وتسريحة الشعر "الشكل" وطريقة الكلام ولغته والتفكير ومنطقه "المضمون" والأكل ونوعياته والشراب وصناعته . والصدافة وأسسها ... الخ) متباينة تقف ورائها مرجعيات العولمة وآلياتها ومشكلات ليست على المستوى المحلى فقط ولكن لها اطار عالمى تعززها الفضائيات بتقاليعها والانترنت بدهاليزه . فشيوعها بين الشباب من الجنسين على حد سواء فمثلا روش .. طحن .. كبير .. كبول حتى وقت قريب كان مجرد سماع تلك الكلمات مثيراً للدهشة وربما يظن من يستمع إليها لأول مرة أنه يستمع إلى لغة أجنبية ولم تعد المشكلة فى استخدام الشباب لتلك المصطلحات وترديدها باستمرار ولكنها أصبحت أسلوب حياة منتشرأ بين الشباب خاصة من وسائل الإعلام فلم يعد مثلاً يوصف المطرب أو الممثل بأنه رقيق أو حساس وإنما روش وستايل ولم تعد الممثلة أو المطربة جميلة أو رقيقة بل أصبحت مطربة دمار وممثلة روشة . حتى إعلانات الموبايل أصبحت تصور لنا أنه من العار على الشباب أن تكون رناته قديمة بل يجب أن تكون رناته كبول حتى لا تتصرف عنه الفتيات لأنه عديم " الكولنة " مش كبول فهل أصبح بالفعل الهم الأعظم للشباب أن تكون رناته كبول وشكله ستايل .

وهذا ما يعتبره الشباب ثقافة العولمة أو " ثقافة الصورة " حسب تعبير " بلقزير " (32) وليس معنى شيوعها أو تداولها بين الشباب بـصور مختلفة أنها ثقافة أثبتت تفوقها وهذا ما أكده " برهان غليون " من أن الثقافة المسيطرة لا تحلل موقعها المتفوق بسبب تفوق منظومات قيمها الأخلاقية أو

الدينية أو الفنية ، ولكن لأنها ثقافة المجتمعات المسيطرة . أنها نتيجة للسيطرة المادية التي أثبتت استمراريتها النسبية (33) .

1 - قضايا العمل :

تشير أدبيات علم الاجتماع إلى أن أخلاقيات العمل تتمثل في الاتجاه الإيجابي نحو العمل المنتج وبذل الجهد فيه واتقانه ، والاعتقاد أن العمل فى حد ذاته هام وأن القيام بآدائه بشكل جيد يعتبر أمراً أساسياً وحيوياً . وأخلاقيات العمل كما يعكسها علم اجتماع العمل (34) ، كما ناقشها " ماكس فيبر" فى مؤلفه " الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية " من خلال دراسة الإلتناء للعمل وقيم العمل .

وعند تحليل ما جاء على لسان دراسات الحالة الميدانية وجد أن رؤية الشباب للعمل بنسبة 70% من الجنسين كمصدر للمال فقط كى يلبى رغباته وكى يستطيع أن يلهو ويلعب ويقتنى أحدث السيارات (استهلاك) ويصادق أجمل الفتيات (الاهتمام باللحظة الراهنة) ولذلك فلا مانع من أى عمل يدر ربحاً سريعاً وبدون تعب (ليس العمل المنتج وبذل الجهد فيه) .

وها هى حالة منهم ترى أن المسابقات عبر التلفاز أو الانترنت أو الموبايل ... الخ قد تدر دخلاً كبيراً ، وآخر يرى فى الهجرة للخارج مال كثير وهى الطريقة المثلى للعمل والكسب المحترم _ حسب تعبيره - وثالث يرى فى الفهلوه والشطاره والنصب والغش عمل الشباب الكوول .

وتشير حالة أخرى إلى أن العمل هو البيزنس والعربيات والموبايلات ومكاملة تكسب مليون .. الخ وعمليات البيع والشراء والسمسرة والمضاربات والعمولات وكلها عاوزه عيال مفتحة وروشة .

وتذهب حالة أخرى إلى أنه بعد تخرجه من الجامعة عاوز وظيفة محترمة تليق به أو يفتح شركة وتكون عنده سكرتارية مثلاً... الخ .

وأشارت 30% من دراسات الحالة الميدانية إلى التأكيد على أهمية العمل وأن يسعى الانسان كي يبني حياته ومستقبله على أسس سليمة ملؤها الإيمان بالله واتقان العمل وخاصة العمل الشريف المنتج من زراعة وصناعة وتقديم علمي كي نستطيع أن نرتقى بأمتنا العربية .

والملاحظ على الحالات السابقة أن النسبة الأكبر تنظر إلى العمل بإعتباره مصدر للمال من خلال قيم تحث على الكسب السريع وليس على العمل المنتج وبذل الجهد وتحث على الفساد الخلقى بجميع صورته فالغاية (المال) تبرر الوسيلة (النفاق والخداع والنصب والرشوة... الخ) والهدف هو الاستهلاك وليس الادخار والاستثمار ، واقتناء الأشياء وليس تنمية المواهب والقدرات ، فالانسان يقدر حسب ما يفتنى وليس حسب ما يتمتع به من امكانيات عقلية وخلقية .

2- الزواج

تشير حالات الدراسة الميدانية إلى أن النظرة للمرأة أو الجنس الآخر عبارته عن عملية إشباع مادي وهذا يؤكد أشكال مختلفة من مايسمى بالزواج العرفي . فبعد أن كان الزواج إشهار وفرح وإقامة للزينات أصبحت المشكلة الآن في إثبات الأنساب ... الخ .

وتذهب حالة أخرى إلى أن العلاقة بالمرأة هو المتعة والصدقة معها دون تحمل أعباء لذا فالنظرة إلى المرأة تكون جسدية وهذا يتضح من إنتشار سلوكيات لم نسمع عنها من قبل وغريبة على مجتمعاتنا وهي تحدث دون وجود بيت للزوجية .

وتشير حالة أخرى إلى أن الشباب مش بتاع جواز كله عاوز متعه
وخلص بدون أى مسئولية ولذلك انتشرت الجرائم والتسلية عن طريق
الانترنت والدرشة .

وتذهب حالة أخرى إلى أنه مع صعوبة تكاليف الزواج قل الاقبال
على تكوين أسرة وإذا كان هناك تفكير فهو محكوم بالنظرة إلى الفتاة بشروط
يعنى مش أى فتاة بمعنى بنت مين وعندها كام وعندها شقة أم لا ومفيش
مانع تصرف على البيت .

أما حالات الدراسة الميدانية من الفتيات فتذهبن إلى أنه لا سبيل
للتعامل مع أى شاب إلا فى إطار شرعى وأسرى وذلك من أجل تحقيق حلم
الزواج بفارس الأحلام والفتان الأبيض والزفة وهذا هو السبيل الوحيد
للزواج .

والملاحظ أن بعض هذه السلوكيات فى الزواج تتنافى مع قيم
المجتمع المصرى والأديان السماوية ولا يقبله أحد ولكن إن حدث فهو يكون
غلطه أو خطأ فى تقدير الموقف أو محاولة غش . لأن الزواج كما جاء فى
القرآن الكريم " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل
بينكم مودة ورحمة " . صدق الله العظيم

3 - علاقة الأبناء بالآباء

طراً الكثير من التغيير فى العلاقة بين الأبناء وآبائهم والملاحظ من
خلال دراسات الحالة الميدانية أن المسئولية مشتركة ولا نستطيع أن نلقي
اللوم علي طرف دون آخر .

إذ تشير حالات الدراسة الميدانية الي أن انشغال الآباء بتوفير المال للأسرة لمواجهة المتطلبات المادية والاستهلاكية التي تزداد يوماً بعد يوم يحرم الأبناء من الجلوس مع آبائهم وتعلمهم القيم والأخلاق السليمة .
وتشير حالة أخري الي أن الأبناء لا يسمعون كلام آبائهم ونصائحهم ويعتبرون ما يقوله الآباء مجرد عادات وقيم وموروثات قديمة لا تلائم العصر الحالى ولغته وأن هناك مصادر أخري يعتمد عليها الشباب فى اكتساب خبراتهم من خلال وسائل الاتصال الحديثة .
وتشير حاله أخري الي انعدام الحوار أصلا داخل الأسرة فكل فرد من أفراد الأسرة مشغول بعالمه الخاص (اللي أمام الكمبيوتر وآخر أمام الفضائيات وثالث مشغول بزملائه وآخر مشغول بالمال ... الخ) وهذه نتيجة طبيعية وتعبر عن حال ليس الأسرة فقط ولكن المجتمع ككل .

4 - لغة الحوار اليومي

الملاحظ على حالات الدراسة الميدانية أن الشباب يعانى من الفراغ الاجتماعى والنفسى الناتج عن اليأس عند مقارنة حياتهم بحياة شباب آخرين يشاهدهم عبر الفضائيات أو الانترنت (chat) يُذكى ذلك افتقادهم للقدوة مما جعله يقلد تقليداً أعمى مما أثر على نمط التفكير وعلى سلوكه الحياتى .
فاصبحنا نسمع شباب كحول وبنات روشنة وأطفال واوا .
ويذهب 60% من الشباب إلى أن لغة الحوار اليومي يجب أن تكون سهله وكوول وروشنة يعني أن يفعل الشباب ما يشاء بالطريقة التي يراها ويرى أن كل إنسان حر فى مظهره ما دام لا يتضايق غيره والهدف من ذلك يكون لفت الانتباه وهو لا يتضايق من النقد الذى قد يوجه له ما دام لا يضر أحداً بما يفعله .

وتشير حالة أخرى أنه لا يوجد شئ اسمه روشنة ولكن هناك شخصاً ملتزماً وآخر غير ملتزم ويمكن أن يعيش الشاب حياته ويكون حراً في مظهره على ألا يؤثر ذلك على دراسته أو أخلاقه أما روشنه لمجرد التقليد الأعمى فتكون ناتجة عن انعدام الثقة بالنفس والرغبة في التقليد ولفت الانتباه وإهمال الأسره لأدوارها .

وتقول إحدى الفتيات إن شيوع نمط جديد وتقاليع يأتي بها الشباب شئ عادي مرتبط بالسن والثقافة السائدة فالروشنة مثلا ليست مرتبطة فقط بالمظهر أو بطريقة اللبس ولكنها أيضاً أسلوب في الكلام وقد تكون الفتاة محبة ولكنها تحب أن تكون لها طريقة معينة في الكلام والفتاة تهدف من وراء ذلك أن تشعر أنها مرغوب فيها وهناك من يعجب بها وأنا لا أحترم الشاب الذي يحب أن يكون غريباً في مظهره من حيث الملبس وطريقة حلق الشعر أو لغة الكلام وأشعر أن ذلك ضعف في شخصيته .

وتقول طالبة أخرى أنني أحب أن أشعر أنى حره في مظهرى وأن أرتدى ما أشاء وأعمل شعرى بالطريقة اللى تريحنى حتى أتماشى مع الموضة وليس لمجرد التقليد وأحب أن أكون مميزة عن غيرى فى كل شئ حتى المظهر وطريقة الكلام وأشعر بالسعادة فى ذلك ، ويصنف هذا السلوك فى المجتمع حسب مايراه الناس مش مهم بالنسبة لي ودي حرية .

وإذا كان علماء الاجتماع يرجعون ذلك إلى عدم مناقشة قضايا الشباب وحل مشكلاتهم فعلماء النفس يروا أن هذا يعبر عن رفض الشباب لذاته وواقعه لعدم قدرته على تحقيق وإشباع حاجاته الأساسية . و أن ما يحدث من الشباب وثقافة النيولوك لا خوف منها لأنها مرحلة ستتتهى" إذ أن هناك تعارض فى العلاقة بين العولمة السائدة التى تحكم الأمور السياسية

والاقتصادية فى مجتمعات العالم المعاصر وبين الخصوصية الظاهرة التى تحكم الحياة الثقافية" (35). وهذه الثقافة لا تتوفر لها مرجعيات وبالتالى ستزول أو حسب تعبير الجابرى " لا تكتمل الهوية الثقافية إلا إذا كانت مرجعيتها جماع الوطن والأمة والدولة " (36) .

وقد جاءت الحلول المقترحة من الشباب بالتخطيط الجيد لمجالات العمل والحياة الاجتماعية والأخلاقية والتعليم الجيد المرتبط بسوق العمل وتوفير القدوة والنهوض بالمجتمع وتقديمه كما أنه من المؤكد أنه لولا الضعف الداخلى لما استطاع الفعل الخارجى أن يمارس تأثيره بالصورة التى تجعل منه خطرا على الكيان والهوية .

وأن التغيير وتقويم السلوكيات لا يتم إلا عبر تجديد الثقافة وأن تجديد أية ثقافة لا يمكن أن يتم إلا من داخلها بإعادة بنائها وممارسة الحداثة فى معطياتها وتاريخها .

التوصيات

- 1 - الإعلاء من قيمة العمل المنتج فى الارتقاء بالفرد ومجتمعه .
- 2 - التأكيد على أهمية الزواج على سنه الله ورسوله فى بناء الأسرة السلمية والمحافظة على الأنساب .
- 3 - إبراز أهمية دور الآباء فى تعليم القيم ونقل الخبرات وليس توفير المال لأبنائهم فقط.
- 4 - الحفاظ على اللغة العربية كأسلوب للحوار والتفاعل اليومي وانعكاس ذلك على تقدم المجتمع .

أسئلة على الفصل السابع

- 1- ما هي سلوكيات الشباب اليوم الخاص بالعمل ؟
- 2- ما اثر ثورة المعلومات على نمط تفكيره و حياة الشباب ؟
- 3- ما مدى تأثير نمط الزواج وتكوين الأسرة بالمتغيرات الدولية ؟

المراجع

- 1 - عبد الباسط عبد المعطى ، الوعى التنموى العربى : ممارسة بحثية ، دار الموقف الموقف العربى ، 1983 .
- * حول المعانى المتعددة لمعنى الوجود راجع :
- المعجم الوسيط ، مادة وجد . وأيضاً ، مراد وهبه ، المعجم الفلسفى ، دار الثقافة الجديدة ، ط2 1979، ص 466 وما بعدها .، وأيضاً على عبد المعطى ، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، دار المعرفة الجامعية ، 1983 ، ص ص 355-370، وأيضاً ولترستيس ، فلسفة هيجل ، المجلد الأول ، " المنطق وفلسفة الطبيعة " ترجمة : إمام عبد الفتاح ، دار التنوير ، ط2 ، 1982 ، الفقرة 171 .
- 2 - فلاديمير رازين ، حول نظرية التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية ، ترجمة عادل إسماعيل ، دار الفارابى ، 1980 ، ص ص 27 - 28 .
- 3- V.Allen, Social Analysis: A Marxist Critique and Alternative, London, 1975, pp. 5-7 .
- 4 - William Scheuerman, Stanford Encyclopedia of philosophy available at, http://plato.stanford.edu/entries/globalization_L.html Globalization Indiana University, Bloomington June, 21, 2002.
- 5 - محمود أمين العالم ، أزمة ثقافة أم أزمة حكم ؟ ، كتاب قضايا فكرية ، من الذى يحكم مصر، دار الثقافة الجديدة، الكتاب الأول ، يوليو 1985، ص ص 9-15 .
- 6 - خلدون حسن النقيب ، الآفاق المستقبلية للفكر الاجتماعى العربى ، عالم الفكر ، المجلد 30 ، يناير - مارس ، الكويت ، 2002 ، ص 7 .

- 7 - نبيل على ، العرب وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 184 ، الكويت ، أبريل ، 1994 ، ص 287 .
- 8- Welcome to the Globalcultures, Major and minor //www.humanities. aa.Edu/global_Cultures / faculty staffhtml 2006 .
- 9 - توفيق الطويل ، فلسفة الأخلاق : نشأتها وتطورها ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط4 ، القاهرة ، 2006 ، ص ص 35 - 36 .
- 10 - المرجع السابق ، ص 37 .
- 11 - عبد اللطيف محمد خليفه ، إرتقاء القيم (دراسة نفسية) ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 160 ، الكويت ، ابريل ، 1992 ، ص 55 .
- 12 - خلدون حسن النقيب ، مرجع سابق ، ص 13 .
- 13- United Nations, Responding to Golbalization Skill Formation and unemployment reduction policies, New York, 2003.
- 14 - خلدون حسن النقيب ، مرجع سابق ، ص 13 .
- 15 - إيمان فرج ، الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للشباب والمراهقة ، المنتدى العربي للسكان ، بيروت ، 1 - 19 نوفمبر 2004 ، ص 4 .
- 16- Violence and suicide on University Campuses shot up., Beijing Review, 2004, Available at. www. Ynw. NI/news. Html
- 17 - نبيل على ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 276 ، الكويت ، ديسمبر ، 2001 ، ص 402 .

18 - أديب نعمه ، اشكاليات البحث فى مجال الشباب ومقترحات مستقبلية ،
إجتماع الخبراء الاقليمى حول الحالة المعرفية لمسوح وبحوث الشباب فى
الاقليم العربى ، 19 - 21 نوفمبر شرم الشيخ ، 2005 .

19- Gary Browning and other, understanding contemporary
society, thories of the present, sage publications, London,
2000. pp. 248-249.

20 - عمرو عبد الكريم ، مفهوم العولمة، ص 1

. <http://www.Islamon line. Net/iol-arabic>

21- World youth report, [http/ www.un.org/ esa/ socdev/
unyin/ wpay globalization htm](http://www.un.org/esa/socdev/unyin/wpay globalization htm), 2005.

22 - نبيل على ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مرجع سابق ، ص
ص 405 - 406.

23 - إيمان فرج ، مرجع سابق ، ص 23 .

24 - عمرو عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص 1 .

25 - نبيل على ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مرجع سابق ، ص
401 .

26 - المرجع السابق ، ص 206 .

27 - على ليله ، تقاطعات العنف فى إطار التحولات العالمية المعاصرة ،
المؤتمر السنوى الرابع ، الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف فى المجتمع
المصرى ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، 20 - 24 أبريل
2002 ، ص 27.

28 - عمرو عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص 2.

29 - أديب نعمه ، مرجع سابق ، ص ص 11 - 12 .

30- United Nations, Globalization and labour Markets in the ESCWA, Region, New York, 2001, P. 11.

31 - سعيد اللاوندى ، بدائل العولمة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2002 ، ص 8 .

32 - عبد الإله بلقزيز ، العولمة والهوية الثقافية : عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة ، فى ندوة " العرب والعولمة " ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2 ، بيروت ، ديسمبر ، 1998 ، ص 314 .

33 - برهان غليون وسمير أمين ، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، ط 2 ، دار الفكر ، دمشق، 2000 ، ص ص 48 - 49 .

34 - اعتماد علام ، العولمة وقيم العمل المستحدثة لدى الشباب ، فى ندوة " الشباب ومستقبل مصر " ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 29 - 30 ابريل، 2000 ، ص ص 321 - 330 .

35 - سمير أمين ، برهان غليون ، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مرجع السابق ، ص 61 .

36 - محمد عابد الجابرى ، العرب والعولمة : العولمة والهوية الثقافية ، ندوة : العرب والعولمة ، مرجع سابق ، ص ص 297 - 303 .

الفصل الثامن البطالة وأثرها على الأسرة "دراسة حالة"*

* ألقى هذا البحث في ندوة : البطالة أسبابها ومعالجتها وأثرها على المجتمع العربي وكان تحت عنوان المصاحبات الاجتماعية للبطالة :ودراسة حالة ،كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ، جامعة سعد و حلب ، البلدية ، الجزائر ، 25-27 ابريل 2006.

مقدمة

يشكل السكان عنصر أساسى من عناصر التنمية الشاملة فى المجتمع، وأن تنمية رأس المال البشرى ، يفوق فى أهميته رأس المال المادى وبالتالى إهدارها وبقائها بدون عمل هو هدر للتنمية المجتمعية الشاملة التى تعد أساس بناء وتقدم المجتمعات 0

وتشير نتائج الدراسات والأبحاث الميدانية وكذلك الواقع الحياتى اليومي الملموس إلى تزايد مشكلة البطالة ، مما إنعكس على نسيج الحياة الاجتماعية وكرس الانقسامات الطبقية ومس الانتماء والهوية الوطنية 0 والبطالة تعد المشكلة الأساسية التى تعاني منها غالبية اقتصاديات العالم بدرجات متفاوتة (خاصة الدول العربية) لذا تتطلب سياسات شاملة للتشغيل داخل كل دولة عربية أو فى تبادل العمالة بين بعضها البعض ، وإجراءات كفيلة بمواجهة أنواعها المختلفة ، خاصة وان مصر تعاني من البطالة بأنواعها المختلفة 0

كما أن تزايد حجم البطالة عاماً بعد عام يعتبر إهدار واضح للقدرات البشرية واستمرارية ذلك يشكل خطورة بالغة ليس على الاقتصاد الوطنى فقط والتمثل فى شكل هدر لهذه الموارد وإنما يمثل خطوره على الأمن القومى لمصر 0 إذ أن الآثار السلبية للبطالة اجتماعياً وسياسياً (إضافة الى آثارها الاقتصادية الواضحة) يمكن أن تشكل خطراً على بقاء الوطن 0 لذا يجب على القيادة السياسية تركيز الجهود والسياسات لمحاولة التغلب عليها .

هدف البحث

يهدف البحث إلى الوقوف على أهم المصاحبات الاجتماعية السلبية في ظل تنامي ظاهرة البطالة وفشل سياسات التكيف الهيكلي في الحد من هذه الظاهرة وتداعيات ذلك على الشباب في مصر 0

منهجية البحث وتساؤلاته

يتبع البحث منهجا وصفيا تحليليا وتعد إشكالية البحث هي غياب الاستراتيجيات الفعالة لمواجهة عملية البطالة والتي تتضمن سياسات وبرامج وتخطيط علمي للقوى البشرية ، بما يستهدف بالأساس علاج مواطن القصور في أسواق العمل وزيادة الموائمة بين العرض والطلب على القوى العاملة بما أدت إليه هذه الإشكالية من تبعات وأزمات ليس على الصعيد الاقتصادي فحسب ولكن الأخطر مصاحباتها الاجتماعية الواضحة على الشباب أنفسهم وأسره والمجتمع بأسره 0

من خلال هذه الإشكالية يطرح البحث التساؤل التالي :

ما حجم البطالة في المجتمع وسياسات التشغيل المتبعة والآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ؟

وسيتم الإجابة على هذا التساؤل من خلال عرض لمشكلة البطالة وتناميها في ظل العولمة وتقليص دور الدولة في تعيين الخريجين والزيادة المستمرة في عدد السكان وما ترتب على سياسة الخصخصة ثم نعرض لسياسات عدد من الدول العربية في مواجهة ظاهرة البطالة وكذلك عدد دراسات الحالة الميدانية " عشرون حالة " من خريجي طلاب كلية الآداب - جامعة المنصورة - مصر من الجنسين بطريقة عشوائية وذلك خلال شهر يناير 2006 من خلال دليل للمقابلة شمل خمس محاور هي : حجم مشكلة البطالة ، دور الدولة فيها ، دور الشباب في التعامل معها ، أثرها على حياة

الشباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وانعكاس ذلك على المجتمع ككل ،
الحلول المقترحة والرؤى المستقبلية 0

واعتمدنا على المقابلة كوسيلة لجمع البيانات إضافة إلى المناقشة
الجماعية مع عدد من طلابي بجامعة المنصورة من خلال المقابلات الحرة 0
وتتمثل خصائص العينة في أنهم من خريجي كلية الآداب - جامعة
المنصورة أو ملتحقون بالدراسات العليا بها 0

وسننتقل من مفهوم أن البطالة هي حالة عدم توفر العمل لأى
شخص راغب فيه مع قدرته عليه نظراً لحالة السوق 0

وفيما يلي نعرض للمحاور التالية :

أولاً : أشكال جديدة للبطالة وخطورتها 0

ثانياً : سياسات الدول العربية فى مواجهة البطالة وتداعياتها 0

ثالثاً : نتائج الدراسة الميدانية : الواقع والرؤى المستقبلية 0

- خاتمة : أهم التوصيات 0

أولاً : أشكال جديدة للبطالة وخطورتها :

تعد تقارير التنمية البشرية التى يصدرها معهد التخطيط القومى منذ
عام 1994 وحتى الآن أساسا للحصول على معلومات غنية عن الاوضاع
التي يعيشها الناس ونوعية حياتهم ومستويات تعليمهم ومجالات عملهم ، كما
تركز على رأس المال البشرى وسبل تطويره ورفع كفاءة لىتمكنوا من
الحصول على فرص الحياة العادلة من خلال دخل يكفى للتمتع بنوعية حياة
أفضل ولا يتأتى ذلك الا بالحصول على فرصة عمل جيدة كريمة .

وفى ظل عصر الانفتاح الاقتصادى و التجارى والثقافى وسقوط
كافة الحواجز بفضل ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال والتى تمثل

تحديات تواجه جميع دول العالم وذلك من خلال التحول السريع فى فرص العمل والأسواق فى كل المجتمعات . فبعد إن حلت الميكنة بشكل كبير فى الزراعة وفقد العديد من فرص العمل استوعبت المصانع ملايين من فرص العمل التى فقدوها فيما بين الخمسينيات والثمانينات وقام النمو السريع لقطاع الخدمات بإعادة توظيف العديد من العمال ذوى الياقات الزرقاء الذين فقدوا أعمالهم فى ظل التقنيات العالية وبشكل عام فإن القطاعات الثلاثة (الزراعة - الصناعة - الخدمات) فى النظام الاقتصادي التقليدي، دخلت فى عصر الروبوت ، الأمر الذى سيؤدى إلى بطالة إجبارية للملايين ، كما لا يوجد الآن قطاع جديد يتوقع تطويره بحيث يكون قادر على استيعاب هؤلاء الملايين الذين سيتم الاستغناء عنهم فى الدول النامية بشكل أساسى كنتيجة لإعادة البناء السريعة . والاحتمال الوحيد لظهور قطاع جديد يتمثل فى قطاع المعلومات والذى يتطلب فئات قليلة مختارة ولن يعوض ذلك سوى جزء بسيط من الوظائف التى سيتم فقدانها فى العقود القادمة فى ظل ثورة المعلومات والاتصالات . (1)

والملاحظ أن ثورة الالكترونيات وما رافقها من تحولات فى انماط الانتاج واشكال التبادل وانماط الاستهلاك أدت الى : التغيرات والتحويلات فى مجال التوظيف وتنظيم العمل واداء اسواق العمل ومنها تغيرات فى التركيب المهارى والمهنى لقوة العمل إذ بدأنا نشهد النقل التدريجى لفئات العمالة (الماهرة) و(نصف الماهرة) لصالح الفئات (الفنية والمهنية) الأكثر اتصالا بأساليب تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كما ادت الى تغيرات جذرية فى مفهوم (تنقلية العمل) labour Mobility فلم يعد مفهوم (التنقلية) مرتبطا (بالتنقلية الجغرافية) Geographical mobility بل

اصبح هناك تنقلية محازيه للعمل على الصعيد العالمى . يضاف إلى ذلك
تغير نمط العلاقة التعاقدية بين (العامل) و (رب العمل) حيث أصبح
هناك مزيد من الاعتماد على (العمالة التي تعمل من منازلها) Out
Workers لحساب المنشآت الصناعية و الحرفية الحديثة 0

كما يتم اللجوء بشكل متزايد (للعمالة بعض الوقت) وليس (كل
الوقت)⁽²⁾. مما أدى إلى أنواع متعددة من العمل من بينها العمل الشامل
العمل الاستثنائي ، عمل السوق ، الساعات المنقطعة للعمل ، الفترة المحدودة
⁽³⁾ وسوق العمل ليس سوقا عادية حيث أن دور العرض والطلب على
العمل محدد نسبيا بأربعة أسباب رئيسية هي :

- أن العمل ليس سلعة يمكن رؤيتها ولمسها
- أنها تتعامل مع قوى بشرية لها أحاسيس ومسؤوليات
وظموحات لا يمكن تجاهلها فالإنسان يستخدم المعارف والمهارات التي
يمتلكها لكي يحصل على الدخل المناسب له ولاسرته .
- سوق العمل تعتبر سوقا غير مكتملة ، بسبب النقص فى
معلومات العرض والطلب وصعوبة الحصول عليها سواء بالنسبة للخريجين
أو أصحاب الأعمال .
- العلاقات الشخصية والدور الذى تلعبه فى الحصول على
الأعمال متجاهلة آليات السوق والتزاماتها .

وتقسيم الأسواق من منظور مستويات الأجور وشروط العمل
وظروفه الى قسمين: سوق عمل أولية وأخرى ثانوية فالسوق الأولية : توفر
الوظائف ذات الأجور العالية ، وشروط العمل الجيده ، والاستقرار والدرجة
العالية من المساواة فى تطبيق قواعد العمل وفرص الترقى أما وظائف

السوق الثانوية : فهي وظائف ذات أجور منخفضة وشروط عمل مجففة واستخدام غير مستقر، وقواعد عمل تعسفيه إضافة إلى فرص محدوده جدا للترقي (4) .

وفي ظل ذلك ساء الوضع الاقتصادي العالمي واتسم الاقتصاد بالترخي والتباطؤ، بل والكساد والأزمات ، مما أثر كثيرا في أداء الاقتصاد المصرى نتيجة ارتباطه بالاقتصاد العالمى ، بالإضافة إلى مشكلة الداخلية مثل مشكلة سعر الصرف وسعر الفائدة وما ترتب على الإصلاح الاقتصادي والخصخصة والمعاش المبكر ، مما أدى إلى عدم تحقيق أهداف التشغيل فى الخطة الثالثة حيث لم تحقق سوى 571 ألف فرصة عمل بمتوسط سنوي قدرة 114.2 ألف فرصة عمل وهو أقل من مقابل الإحلال والتقاعد كما أثرت الأحوال الاقتصادية على الخطة الرابعة للسنوات 1997 / 1998 - 2001 / 2002 وأخذت البطالة فى التزايد بشكل كبير نظرا لما يرضه قطاع التعليم سنويا فى سوق العمل الذى لا يستوعب أى داخل جديد من عرض العمل المتاح و أن قصور الاقتصاد المصرى عن استيعاب عرض العمل المتاح (البطالة الباحثة عن عمل) منذ أواخر السبعينيات وتفاقم الوضع فى عقد الثمانيات من القرن الماضى ، وتوقف التشغيل الكامل خلال التسعينيات وزاد عدد المتعطلين إلى أن بلغ 1.78 مليون فرد عام 2001 ، ولا تكمن مشكلة البطالة فى حجمها فقط ، بل تعدى ذلك إلى هيكل البطالة ، حيث تركزت بين صغار السن من الشباب خريجي مراحل التعليم من حملة المؤهلات المتوسطة والعليا كما أنها تنتشر بشكل أكبر فى الحضر عنة فى الريف . يؤكد ذلك قصور التشغيل فى الخطط الخمسية اعتبارا من عام 81 / 82 - 97/96 وتأثيرها فى تفاقم حجم البطالة (5) راجع الجدول رقم (1)

جدول رقم (1)

حالة التشغيل خلال الخطط الخمسية 81 / 82 - 96 / 97

فرص العمل بالألف

المحقق المتو	الزيادة المحققة في التشغيل		مستوى التشغيل المحقق	هدف الخطة		مستوى التشغيل المتوقع في نهاية الخطة	مستوى القائم فعلا
	سنويا	5 سنوات		سنويا	5 سنوات		
	301.32	1506.6	12209	422.3	2111.6	12814	10702.4
	338.2	1691	13900	490	2450	14659	12209
178	342.4	1712	15612	638	3190	17090	13900
519	114.2	571	16183	638	3190	18802	15612

المصدر : سيد محمد عبد المقصود ، قضية التشغيل ، مرجع سابق ،

ص 48 0

كما أدت ثورة الاتصالات والمعلومات الى تحولات مهمة في أنماط
وأساليب الإنتاج نتيجة استخدام الكمبيوتر ووصلات (الأقمار الصناعية)

مما أدى إلى تآكل مفهوم (المصنع التقليدى) و (خط الإنتاج) ولعل أهم التحولات فى مجال الإنتاج يمكن إيجازها فى الآتى :

- ظهور مجموعه جديده ومستحدثه من السلع غير الملموسة
- الاعتماد المتزايد على (مواد وخامات) من طراز جديد
- يجرى تخليقها بأساليب معملية تركيبية وتقنيه حديثه .
- الاعتماد المتزايد فى العمليات الإنتاجية على العمالة الاصطناعية التى تسمى بالروبوت .
- أدت ثورة المعلومات والاتصالات الى مزيد من (التوزيع غير المتكافئ) لعناصر القوة الاقتصادية . (6)

ما سبق يؤكد ان فرص العمل فى ظل العولمة يجب ان تتطور مع تطور مجتمع المعلومات ، وهذا يتطلب أساليب جديدة للتعليم والتعلم الذاتى والقدرة على الانتاج عالى الجودة والمعتمد على مواد غير تقليدية فى ظل بناء اجتماعى يُعلى من شان القيم الايجابية .

أما إذا كان بناء اجتماعيا مشوها ، من منظور التخلف وتطويرا مجتمعيا مشوها ، يصاحبه تطور علمى مشوه ، فانحسار الإنتاج ، وتعطيل القوى المنتجه عموما يصنع هو ، ويفصل بين العلم والعمل . (7)

مما ينعكس على فرص العمل حيث يعد التوظيف حلقة الوصل التى تترجم التعليم الى نمو وتوزيع عادل لهذا النمو وعلية فعند قطع هذه الحلقة ، تحدث آثار سلبية على الفرد والمجتمع . ويلقى هذا بظلاله على نظم التعليم التى لا توفر مهارات القرن الحادى والعشرين فهى وان وفرت تقنيات التعليم الأساسية إلا أنها تفنقر لروح الإبداع والخلق كما أنها تفنقد القدرة على الربط بين مخرجات التعليم وحاجات سوق العمل (8) .

وتعد هذه من المشكلات الواضحة فى العالم العربي فى بلدان مثل مصر والأردن إذ أن معظم خريجي الجامعات بدون عمل نظراً للفشل فى الارتباط بقنوات التجارة العالمية . وقاد هذا النوع من الانعزال النسبى إلى الركود الاقتصادى فى عديد من دول الشرق الأوسط فالهند على سبيل المثال قد استفادة من العولمة عن طريق بناء صناعتها الهندسية لبرامج الكمبيوتر (Soft Ware) من خلال مشروعات جديدة فى (بنجالور ، هايد باد) فهناك 80 ألف شخص يعملوا فى صناعات التكنولوجيا المتقدمة فى بنجالور. (9)

والبطالة تعد مظهر من مظاهر الخلل فى البناء الاقتصادى وأنوعها متعددة إذ تختلف باختلاف طبيعة النظر إليها لا من خلال الجنس أو العمر أو الحالة التعليمية ، أو المهنة ، فقط بل يمكن النظر إليها من خلال الدورة الاقتصادية ، فتسمى بطالة دورية ، أو بطالة احتكاكية ، وكما ينظر إليها من خلال التنقل بين المهن المختلفة ، وبطالة هيكلية وهى البطالة التى تحدث نتيجة حدوث تغيرات هيكلية فى الاقتصاد الوطنى وكذلك هناك البطالة الموسمية او العرضية .. الخ (10)

وبالرغم من إنشاء برنامج التوظيف القومى الذى يهدف لاستيعاب 896 ألف وافد جديد لقوة العمل فى وظائف حكومية محددة وبرامج تدريبية وبرامج الصندوق الاجتماعى .فإن البطالة لازالت من الموضوعان الملحة .أضف إلى ذلك أنه بالرغم من ارتفاع نسبة البطالة ، فإن قطاعات العمل يصعب عليها ايجاد العامل المؤهل ، وذلك لان النظام التدريبى يخفق فى إنتاج المهارات المطلوبة لسوق العمل . ووفقاً لتقرير منظمة العمل الدولية فإن مراكز التدريب تقليدية ومليئة بمعلمين غير مؤهلين ولا يتوفر لهم

الحافز أو المقابل المادي المناسب كما أنهم غالباً ما يفتقروا للخبرة العملية ولا يمتلكوا وسائل مواكبة التقدم (11)

وتشير البيانات أن البطالة من أهم المشكلات في مصر حيث تبلغ النسبة 9% كمتوسط من قوة العمل على مستوى الدولة ولكن هذه النسبة تزداد في بعض المحافظات كما أنها تظهر بصفة واضحة بين الإناث وكذا البالغين (15-29) (19.8% ، 22.4%) على الترتيب . كما أنها ترتفع في الريف بصفه عامة مقارنة بالحضر . ومشاركة المرأة في قوة العمل الرسمية منخفضة نسبياً حيث لا تتعدى 25% فى أى من محافظات الجمهورية . (12)

ويعزى " التقرير الاقتصادى العربى الموحد " تفاقم مشكلة البطالة فى الدول العربية الى جملة من الأسباب منها فى جانب العرض : المعدلات العالية لنمو السكان وبالتالي الأعداد المتزايدة للداخلين إلى سوق العمل والهجرة المتزايدة من الريف الى المدن ، ودخول المرأة إلى سوق العمل ، وضعف التعليم الجامعى وعدم مواكبة مع احتياجات السوق . وفى جانب الطلب : فإن من أهم أسباب تفاقم هذه المشكله . معدلات النمو غير الكافية التى سجلتها الاقتصاديات العربيه والتي لم تتمكن من خلق فرص العمل بما يتلاءم مع جانب العرض . وعدم احراز تقدم ملموس على صعيد تنويع القاعدة الانتاجية . وذلك بالاضافة الى السياسات الاستثمارية فى بعض الدول العربيه التى ركزت على الاستثمارات كثيفة رأس المال التى لا تحتاج لعمالة كبيرة (13)

هذا يعني أن هناك العديد من التحديات التى تقف فى سبيل توفير فرص عمل إلا انه من بين أهم المشكلات التى تواجه الحكومات هى مشكلة

البطالة التي تهدد بأخطار اجتماعية واقتصادية وسياسية كامنة وما يترتب عليها من هجرة العقول والمهارات إلى الخارج والتي تهدد آمال التنمية المستدامة وبناء القدرات التكنولوجية التي تمكننا من ملاحقة التطورات والمستجدات العالمية . ولا ترجع مشكلة البطالة فقط في تزايد أعداد العاطلين خاصة خريجي الجامعات والمعاهد العليا، بل أيضاً لأن البطالة تعد انعكاساً لقضايا أكثر خطورة ، ولا زالت تُلقى بتداعياتها على مختلف أوجه الحياه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية 0

ثانياً : سياسات الدول العربية في مواجهة البطالة وتداعياتها :

تعمل الدول العربية على وضع السياسات لحل مشكلة قلة فرص العمل باساليب متعددة، إلا انها في الأغلب الأعم تقدم حلول جزئية يغلب عليها الطابع الأني وتفتقر إلى سياسة عامة مستقبلية ومستمرة 0 وسوف نعرض لسياسات عدد من الدول منها : مصر وسوريا واليمن والكويت وتونس

1 - مصر :

لم يتضمن برنامج التكيف الهيكلي والتثبيت الذي انتهجته مصر في الثمانيات أى سياسات مباشرة تتجه نحو علاج الآثار الاجتماعية لهذه البرامج خاصة فيما يتعلق بالعمالة والفقير 0 ولهذا فقد خلا البرنامج من أى سياسات للتشغيل والتوظيف ، على الرغم من إشارته لضرورة حدوث معدلات عالية من البطالة خاصة في المراحل الأولى للبرنامج كنتيجة مباشرة للركود الناجم عن السياسات المالية والنقدية ذات الطابع الانكماش ، وأيضاً على الرغم من إعلان الحكومة تخليها عن الالتزام بتعيين الخريجين فى الوظائف العامة ، ووضع سقوفاً للأجور 0

وفى سنة 1991 أنشأ الصندوق الإجتماعى كآلية تستهدف حماية الفئات الأكثر تضرراً من برنامج التكيف الهيكلى 0 وهذا لا يمثل شبكة أمان كافية لهذه الفئات ، ذلك أن سياسة التشغيل التى ينطوى عليها الصندوق لا تتضمن توفير ضمان ضد البطالة أو برامج متكاملة للتوظيف 0 ورغم ذلك فقد تضمن برنامج الصندوق الإجتماعى عدة برامج تقترب من مواجهة تداعيات السياسات الاقتصادية الانكماشية على التشغيل والعمالة ، منها :

1 - برنامج تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة ، خاصة كثيفة العمالة والمدرة للدخل ، ويقدم الائتمان لتمويل رأس المال العامل والمعدات والمستلزمات ونفقات التشغيل ، كما يقدم فرصاً للتدريب المهنى والفنى والإدارى 0 كما يقدم البرنامج منحاً لأترد ، للمساعدة الفنية والتدريب بهدف خلق وظائف دائمة للخريجين العاطلين وصغار أصحاب المشروعات 0

2 - برنامج تنقل العمالة الذى يقدم خدماته للشركات التى تحدث تغييرات هيكلية تؤثر على العمالة بها ، مما يوفر بداية متاحة أما العامل ، مثل التقاعد المبكر أو إعانة التدريب أو إعادة البطالة أو مشروع صغير أو فرصة عمل بديلة 0

3 - برنامج تطوير المنشآت التى تتولى تنفيذ المشروعات ورفع كفاءتها الفنية والإدارية ، ودعم قدرتها التنظيمية ، وهو يستهدف المنظمات غير الحكومية ، ونقابات العمال والمنظمات النسائية ، وكذلك إعداد الدراسات والبحوث لقياس درجات الفقر ومدى انتشارها على خريطة المجتمع المصرى

4 - برنامج تنمية المجتمعات المحلية لدعم المشروعات الإنتاجية الصغيرة والتعاونية والخاصة ، وإتاحة فرص الإقراض والتدريب وتوفير المعدات لها وتسويق منتجاتها ، وهو يتجه بالأساس إلى الأسر منخفضة الدخل والنساء والأطفال والشباب العاطل ، كما يقوم بتمويل بعض الخدمات التعليمية والصحية 0

5 - برنامج الأشغال العامة الذى يمول مشروعات محددة كثيفة العمالة فى المناطق كثيفة البطالة والفقير فى قطاعات مثل الصرف الصحى والزراعى ومياه الشرب والرى وحماية البيئة والطرق 0

بالتالى فإن الصندوق الإجتماعى فى مصر لا يمثل سوى ترتيبات محدودة مؤقتة ذات موارد مقيدة بشروط الدول المانحة ، ومثل هذه الترتيبات والإجراءات الوقتية ذات الطابع الملطف ، لا يمكنها حل قضية البطالة التى وصلت لمعدلات مرتفعة 0

لذا فإن الصندوق لا يتخطى مهمة مواجهة حالات طارئة معينة تتعلق بأثار الخصخصة على العاملين ، ولا يمكن إعتبره إستراتيجية عامة للتوظيف يمكنها التصدى لبطالة تتزايد معدلاتها يوماً بعد يوم 0

ولعل الأمر يقتضى حفز القطاع الخاص على خلق فرص عمل يمكنها إستيعاب الأعداد المتزايدة من الخريجين والداخلين إلى سوق العمل ، وذلك بتشجيع الإستثمارات ، وخاصة تلك التى تستخدم تكنولوجيات كثيفة العمالة ، فى ظل إنخفاض قدرة المشروعات العامة على إستيعاب العمالة بعد تنظيم قطاع الأعمال العام ، بل وفى ظل وجود مشكلة بطالة مقنعة وعمالة زائدة ينبغى التخلص منها 0

وتتفاقم مشكلة البطالة فى الريف أيضاً فى ظل الإتجاه المتنامى لقطاع الزراعة نحو تكثيف الميكنة الزراعية كثيفة رأس المال منخفض العمالة ، خاصة فى مشروعات استصلاح الأراضى ذات التكنولوجيا المتقدمة وبالتالي فإن قدرة قطاع الزراعة على خلق فرص عمل جديدة تكاد تنحصر فى الصناعات الريفية 0 ويظل عبء امتصاص العمالة ملقى بالاساس على الصناعة والبناء والقطاع الخدمى 0

كما اختلفت سياسة التوظيف من عمليات التكيف الهيكلى التى تحكم التوجه الإقتصادى العام فى مرحلتها الأولى والثانية ، ولم تشير سوى لدعم موارد ودور الصندوق الذى لم تستفيد من مشروعاته سوى قلة من الفئات الأكثر فقراً ، بينما أكثر من أفاد منها أصحاب الدخل المتوسطة فى الحضر 0 لقد كان الصندوق الإجتماعى للتنمية فى مصر هو الأقل كفاءة فيما بين نظرائه بدول نامية أخرى ، حيث كانت (نسبة المشروعات ÷ عدد العاملين) هى الأقل ، وكانت تكلفة خلق فرصة عمل جديدة هى الأعلى ، حيث كانت فى مصر \$ 530 مقابل \$ 259 فى شيلى (14) 0

ولعل أفضل تعليق ما أشار إليه " رمزى زكى " وهو أن برامج التكيف الهيكلى تهدف فى حقيقة الأمر إلى توفير الموارد التى ترفع من قدرة هذه البلاد على دفع ديونها الخارجية مستقبلاً ، وقد تضمنت هذه البرامج ، فى بعض الحالات ، عن تحسن نسبى فى الأوضاع المالية والنقدية للبلاد (خفض نسبة عجز الموازنة ، خفض معدل التضخم ، زيادة حجم الاحتياطيات فى الدولة 000) وكان تحقيق ذلك بتكلفه اقتصادية واجتماعية مرتفعة ، كان أبرزها زيادة معدلات البطالة وخفض مستوى المعيشة (15) 0

ويعد عنصر العمل من أهم عناصر الإنتاج لليس فقط لدوره فى العملية الإنتاجية بل لماله من ارتباط مباشر بالإنسان ومستوى المعيشة والرفاهية وكذلك بالنسبة للمجتمع واستقراره السياسى والإجتماعى (16) ويشير تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003 إلى تزايد تركيز الدخل والثروة فى أيدى قلة قليلة لم يصابها ارتفاع فى الاستثمار بما يساعد على قيام نمو أسرع ومن ثم لا تبدو فرصه لمكافحه البطالة على صعيد العالم أو حتى التخفيف من الفقر (17) 0 وتشير نتائج مسحى الدخل والإنفاق فى مصر فى النصف الأول من التسعينيات إلى تحسن معامل جينى بمعنى توزيع الدخل أصبح أكثر عدالة 0 الأمر الذى لا يستقيم مع مجمل تطور الأوضاع الاقتصادية خاصة على معيار البطالة والفقر والمشاهدات على توزيع الثروة فى الفترة نفسها ، هذا فى حين قُدر معامل جينى فى العام 1997 بما يقارب 37% مقارنةً بحوالى 28% فى العام 1995 وهو ارتفاع ضخم فى مدة قصيرة يدل على تفاقم سريع فى سوء توزيع الدخل ، كما انخفض نصيب العمل من القيمة المضافة من قرابة 40% فى عام 1975 إلى حوالى 25% فى العام 1994 يعنى ذلك تدهور توزيع الناتج القومى لمصلحة عوائد الثروة (18) 0

ويشير التقرير العربى الموحد إلى أنه من الأمور التى ساهمت فى زيادة البطالة فى عدد من الدول العربية إجراءات إصلاح مؤسسات القطاع العام التى جرى إتخاذها فى إطار برامج التصحيح الاقتصادى بالإضافة إلى الجهود الرامية إلى نقل ملكية هذه المؤسسات إلى القطاع الخاص مما أدى إلى فقدان بعض العاملين لوظائفهم - كما تشير البيانات المتاحة إلى تراجع أعداد العاملين فى قطاعى الصناعة والزراعة لصالح قطاع الخدمات 0 فقد

تراجعت نسبة العاملين فى قطاعى الصناعة والزراعة إلى إجمالى القوى العاملة من 42% ، 26% عام 1985 إلى 36% ، 20% عام 1998 ولم يقابل الانخفاض فى نسب العاملين فى هذين القطاعين زيادة فى الإنتاجية⁽¹⁹⁾ والأمل معقود على القطاع غير الرسمى فى مصر والذى يضم نحو 2.8 مليون وحدة مسئولة عن إيجاد نحو 6 مليون فرصة عمل أى 36% من إجمالى قوة العمل ويساهم بنحو 20% من الناتج المحلى الاجمالى ، 82% من إجمالى الوحدات صغيرة الحجم - إلى القطاع الرسمى من جهة ومشاركته فى الأسواق من جهة أخرى يتطلب إعادة هيكلة الإجراءات وإزالة المعقوقات لتسجيل مشروعاتهم⁽²⁰⁾ 0

2- سوريا :

فى ظل غياب إستراتيجية واضحة للتشغيل تنبثق منها برامج وسياسات للتوفيق بين عرض العمالة المحلية والطلب عليها ، لذا ظهرت مشاكل عديدة بمجال التشغيل هى :

1 - تشكل عمالة الإنتاج أعلى نسبة من العاطلين ممن سبق لهم العمل ، حيث بلغت نسبتهم 56% يليهم عمال الزراعة 20% سنة 1991 0 ووفقاً للنشاط الإقتصادى تبلغ نسبة البطالة بين من سبق لهم العمل أعلاها بين عمال الخدمات الاجتماعية وهى 25% تليها النسبة بين عمال الصناعات التحويلية 20% (21) 0

2 - تتركز مساهمة المرأة بالنشاط الإقتصادى فى الإنتاج الزراعى 72% ، ثم فى الخدمات 19% ، وعمال الإنتاج 3% 0

3 - لا تتوافر بيانات عن البطالة المقنعة والهجرة الخارجية ومستويات المهارة وفق تعريفات ومعايير واضحة ومحددة 0

أ - سحب هذا القطاع العمالة الماهرة من القطاع العام ، وليس من العاطلين ، وهو ما أدى لانخفاض إنتاجية القطاع العام ، الذى يلجأ للتخلص من العمالة الزائدة ، فنتفقم مشكلة البطالة بدلاً من تخفيضها 0

ب - استخدام القطاع الخاص تكنولوجيات كثيفة رأس المال لتحقيق أرباحاً أعلى، وهو ما يؤدي أيضاً لتفقم البطالة 0

فى النهاية يبدو من الواضح أن سوريا لم تتهج سياسة واضحة المعالم بشأن التشغيل ، وهو ما جعل منها مثلاً حياً يجسد ظاهرة هجرة العقول ، التى لم تشكل حلاً لمشكلة البطالة فى سوريا ، بل على العكس فقد طالت مستويات وظيفية ضرورية للتنمية ، ظهر بها عجزاً واضحاً 0 وذلك نتيجة عدم دراسة وتقييم هذه الظاهرة والنمو السكانى الكبير وضيق فرص العمل والتقدم فى التعليم الجامعى ، وعدم وجود أى قيود على هجرة السوريين للخارج ، ولا على عودتهم حين يشاءون 0 فكانت عملية إطلاق لحرية الهجرة بلا ضوابط ، رغم إشارة الخطط الشاملة للتنمية للانعكاسات السلبية لهذه الهجرة (22) 0

3 - الكويت :

تقوم سياسة التشغيل الكويتية على إعادة تقييم آليات الهجرة ، ووضع معايير لانتقاء العمالة الوافدة ، للحد من العمالة الهامشية وإحداث التوازن الأمنى بين تركيبة الجنسيات القادمة 0 ولازالت هذه السياسة تفتقد لآليات واضحة لتنفيذها وبرامج مدروسة ومؤسسات مسؤولة عن سياسات التوظيف واستقدام العمالة 0 وهو ما أدى لتعقد مشكلة البطالة بين الشباب وما تتبعها من تداعيات اجتماعية خطيرة على المجتمع الكويتى 0

ورغم قيام وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بإنشاء مركز لتنمية وتشغيل القوى العاملة الوطنية سنة 1993 ، إلا أنها لم توفر له الإمكانيات اللازمة لتوسيع رقعة أنشطة ومجال عمله ، واكتفت الوزارة بمجرد تسجيل أسماء وأعداد الباحثين عن وظائف⁽²³⁾ مع القيام بعدة إجراءات مؤقتة وحلول شكلية لمشاكل البطالة وعدم التوازن بين مخرجات التعليم واحتياجات سوق العمل بالكويت 0 مثل خفض الدرجات الوظيفية ورفع الحوافز ومنح العلاوات ، وغيرها من الامتيازات المادية 0 مع قيام الحكومة بمحاولات توظيف الشباب بقطاع النفط ، وهي محاولات لم يكتب لها النجاح بسبب ارتفاع الكثافة الرأسمالية لهذا القطاع وانخفاض الأعداد التي يتطلبها من العمالة مع التركيز على المهارات العالية منها 0

وفشلت خطط التنمية التي وضعتها الحكومة في تشغيل الكويتيين خارج القطاع العام ، بسبب عدم التدخل الحكومي المباشر ، حيث لم تنجح آليات السوق وحدها في دفع القطاع الخاص لتوظيف المواطنين ، وكان يمكن للحكومة أن توظف المواطنين في شركات مشتركة بينها وبين القطاع الخاص ، أو أن تقدم الدعم للقطاع الخاص لدفع رواتب هذه العمالة لفترة محدودة ، كما كان يمكنها تشجيع القطاع الخاص على المساهمة في تمويل عمليات التدريب والتأهيل ، وتشجيع العمل الحرفي باستخدام ودعم الصناعات الصغيرة والمتوسطة للشباب الكويتيين 0

ولازال الشباب الكويتي ينتظر الكثير مما يمكن للحكومة أن تقوم به

مثل :

1 - وضع إستراتيجية سكانية واقعية توازن بين هدفين متناقضين الأول إحداث التوازن الأمني بين الجنسيات الوافدة ، والثاني هدف تعجيل

عمليات النمو الإقتصادي والتنمية الشاملة وهو هدف يعتمد على فتح باب الهجرة والتوسع في منح التراخيص التجارية طبقاً لاحتياجات السوق والنشاط الإقتصادي ، مما قد يعمق من فجوة التركيبة السكانية لصالح الأجانب ، ولكنه سيؤدي للانتعاش وتوسيع حجم السوق والسكان 0 بعكس الهدف الأول الذي تصحبه إجراءات انكماشية مثل الحد من الهجرة ، مع انتقاء أعداد وجنسيات القادمين ، مع المحافظة على معدل الزيادة الطبيعية في حدود 3.4% ، وهي إجراءات تكتمش النشاط الإقتصادي وتعمل في اتجاه الركود 0

2 - قيام هيئة مستقلة بالتعامل مع الوافدين بدلاً من تعدد الجهات والإجراءات المختلفة ، مع وضع المعايير اللازمة لمنح التراخيص التجارية ، وتنظيم استقدام العمالة 0

3 - قيام وزارات الشؤون الاجتماعية والعمل والتجارة بتحديد متخصصين لتقدير الحاجات الوظيفية ومتطلبات سوق العمل الكويتي (24) 0

4 - اليمن :

قامت الدولة بإنشاء الصندوق الإجتماعي للتنمية في منتصف سنة 1997 كمؤسسة مستقلة ضمن خمسة أجهزة تستهدف معالجة الآثار الاجتماعية لبرامج التكيف الهيكلي ومكافحة الفقر بشكل أساسي 0 وهذه الأجهزة هي :

- 1 - صندوق الرعاية الاجتماعية 0
- 2 - وحدة تنمية المشروعات الصغيرة 0
- 3 - برنامج التدريب وإعادة التأهيل لتخفيف حدة الفقر ، وتوفير فرص عمل للفقراء 0
- 4 - صندوق رعاية المعاقين 0

5 - الصندوق الإجتماعى للتنمية ، والذى يستهدف توفير العمل فى الأجل الطويل عن طريق تمويل البرامج والمشروعات ، وذلك فى اتجاهات ثلاث :

الأول : توفير خدمات أساسية عن طريق مشروعات التنمية الخاصة بالمجتمعات المحلية فى مجالات مثل المياه والمرافق والتعليم والصحة وشق الطرق ، وإنشاء مشروعات كثيفة العمالة بشكل عام ، وكذلك تمويل الخدمات الاجتماعية الأساسية فى المناطق المحرومة التى ينتشر فيها الفقر ، وذلك بغرض بناء القدرات وتشجيع الإدارة الذاتية0

الثانى : توفير الائتمان لتمويل المشروعات الصغيرة جداً من خلال قروض قصيرة الأجل لمساعدة الفقراء والعاطلين على زيادة الدخل وتنمية مواردهم ، وتخليق فرص تشغيل دائمة من خلال تزويدهم برأس المال اللازم الثالث : التنمية المؤسسة الهادفة لبناء القدرات المؤسسية للمنظمات غير الحكومية النشطة ، والأجهزة الحكومية المختصة والمشروعات الفردية 0 وذلك بتوفير الدعم لها ، ولصغار المقاولين لتمكينهم من القيام ببعض مشروعات التنمية 0

وحيث ينتشر الفقر فى المجتمع اليمنى الذى يمثل فقراءه حوالى 83% من السكان يعيشون فى المناطق الريفية التى يقطنها 70% من إجمالى سكان اليمن ، فمن الصعب تحديد واستهداف الفئات الأكثر فقراً من غيرها ، كما يذكر البنك الدولى 0 فيبدو أن كل سكان اليمن يحتاجون إلى شبكات الأمان الاجتماعية لحمايتهم من آثار الإصلاحات الاقتصادية ، فضلاً عن أن ضعف الهيكل المؤسسى الشديد فى اليمن خاصة فى المناطق الريفية ،

يصعب على الصندوق الوصول إلى الشركاء المناسبين للتنمية وتنفيذ مشروعاته التي يمولها ويقدم لها المساعدة العينية (25) 0

5 - تونس :

تتركز سياسة التوظيف في تونس على مكافحة البطالة خاصة بين المتعلمين 0 وفي إطار برنامج إعادة الهيكلة الاقتصادية ، تأسس صندوق التأهيل المهني سنة 1990 تحت إشراف البنك الدولي ، بهدف تأهيل عاطلين من الشباب لتلبية الطلب على العمالة في سوق العمل التونسي 0 وتدريب وإعادة تدريب العمالة على ممارسة المشروعات الخاصة والأعمال الحرة والمؤقتة والحرفية 0 ولقد نجح هذا البرنامج في إدماج حوالي 74% من طالبي العمل في المؤسسات الإنتاجية 0

ورغم ذلك لا يمكن القول بنجاح برامج التشغيل التونسية في تحقيق أهدافها في استيعاب ومحاصرة أزمة البطالة مع الموائمة بين العرض والطلب على القوى العاملة 0 ذلك أن هذه البرامج المخصصة لمكافحة البطالة وتأهيل الشباب المتعلمين قد إتسمت بضعف مردود عقود الانتداب والالتزام 0 بل كان هذا المردود سلبياً في بعض هذه البرامج بحيث أدت إلى زيادة البطالة بدلاً من الحد منها ، نتيجة عدم استخدام تحليل المنفعة / التكلفة للمبالغ المنفقة على هذه البرامج والتي كانت بالإمكان استخدامها بفعالية أكبر في خلق فرص عمل دائمة 0 والمثال على ذلك في برامج الأشغال العامة التي أنشأت ورشاً وطنية لضمان فرص عمل مؤقتة في صيانة الطرق وتأهيل المباني العامة 0

هذا فضلاً عن الانخفاض الملحوظ في نوعية التدريب 0 أما أكثر المستفيدين بأغلب مساعدات بنك الدولة فهم مجموعة من أصحاب الأعمال

الذين استخدموا هذه المعونات فى استخدام عمالة رخيصة مدعومة الأجور ،
لأعمال تتطلب مؤهلات منخفضة (26) 0

ثالثاً : نتائج الدراسة الميدانية : الواقع والرؤى المستقبلية :

بتحليل استجابات الباحثين وجد ان هناك تداعيات كثيرة وأمراض
اجتماعية وظواهر غير صحية ومشكلات اقتصادية واجتماعية ونفسية تكشف
فى مجملها عن حجم البطالة بين الشباب وخاصة المتعلم منهم وآثارها السلبية
ومصاحباتها على الفرد ومجتمعه والرؤى المستقبلية لسبل حلها أو التخفيف
من حدتها 0

تشير أدبيات علم الاجتماع ونتائج البحوث الميدانية وتقارير التنمية
البشرية إلى أن قلة فرص العمل أمام الشباب تمثل عقبة يترتب عليها هدر
لرأس المال البشرى (يعود بالسلب على وجود الفرد ووعيه وعلى المجتمع
واستقراره وتنميته ورفاهيته) وأن هذه المشكلة (ندرة فرص العمل) التى
يعانى منها الشباب ليست مشكلة شخصية ولا يمكن حلها أو استيعابها إلا
نظرنا إليها فى سياقها الكلى وإدراكها بوصفها مسألة اجتماعية (وليس
مجرد مشكلة فردية) ليس فى المحيط المباشر فقط ولا فى المجتمع المحلى
فحسب ولكن فى الإطار العالمى لها 0

يعن هذا أن مشكلة الطالب الجامعى عندما يتخرج من الجامعة بأعلى
التقديرات ورغم ذلك يعجز فى العثور على فرصة عمل لا ترجع إلى قصور
فى إمكاناته الذاتية ولكنها لا بد أن تُفهم على أساس التحديات المحلية والعالمية
وما يترتب عليها من تداعيات ومصاحبات اجتماعية متعددة وفيما يلى
نعرض لأهم المصاحبات الاجتماعية 0

فقد أشارت 85% من حالات الدراسة الميدانية إلى أن ضعف الاستثمارات وطبيعتها يأتي في ضوء التدهور الأمني الحادث على مستوى المنطقة العربية 0 وما تقوم به أمريكا على صعيد المنظمات الدولية احتلالها للعراق ودعمها لإسرائيل وانحيازها ضد العرب والمسلمين وتهديدها لسوريا وإيران بأساليب متعددة وغيرها مما اثر بالسلب على مناخ الاستثمار 0

كما أشارت نسبة 70% من حالات الدراسة إلى أن من أهم أسباب انتشار البطالة هو ان منظمة التجارة العالمية وغيرها من مؤسسات يستخدمها النظام العالمي الجديد لاستعمار العالم باستغلاله بأساليب جديدة (اللافتة تتغير والمضمون باق) مما يشكل عبئاً على الاقتصاديات الوطنية، كما أنه في ظل التخصصية يتم تسريح عدد كبير من العمال واستبداله بالتكنولوجيا الحديثة ، يؤكد ذلك نتائج بحث أشار إلى أن تطبيق التكنولوجيا عالية التقنية أصبحت تمثل 80% من اقتصاديات العالم المتقدم بينما 20% فقط هي نصيب رأس المال والعمالة والموارد الطبيعية (27) مما أثر على معدل التشغيل 0

وذهب 65% من أفراد العينة إلى قلة فرص العمل المتاحة وأن البطالة أصبحت أمراً مألوفاً وهي الحالة الطبيعية لذا يجب (والكلام على لسان حالات الدراسة) أن تسألنا كام واحد ممكن يلاقى شغل فعلى سبيل المثال دفعة كبيرة تفوق الأربعة آلاف طالب وطالبة (بكلية الآداب - جامعة المنصورة) ربما لا يحصل من هذا العدد الكبير على وظيفة إلا قلة تعد على أصابع اليد ولا بد أن تتوفر لها شروط أخرى كالوساطة والوضع المالى للأسرة 00 الخ 0

وها هي حالة منهم تشير بان لها أخوة وأخوات خريجي الجامعة منذ سنوات فى تخصصات مختلفة من كليات ما يسمى بالقمة ولم يجدوا فرصة

عمل وأنهم يعملون فى أى مجال (بأجر يومى) أو أعمال مؤقتة وكلها أعمال عضلية 0

كما تشير حالة أخرى تقول بأن جلوس الواحد بدون عمل مع وجود حاجة مادية (فقر) بينتج عنه توتر وقلق لأى شاب مثلى لأننى عاوز آكل وأشرب ونفتح بيت ونعيش ذى كل الناس وعدم تحقيق ذلك بيترتب عليه انتشار السرقات والزواج العرفى 00 الخ وتشير الدراسات إلى أن المجتمعات العربية مثل شعوب العالم الثالث يعيش أغلبهم فى حالة فقر ويسقط عدد كبير منهم فى هوة الحرمان مع فشل خطط التنمية (28) 0

وتصرح حالة أخرى بقولها أنا عاوزة أتزوج وكل واحد يتقدم لخطبتى نسأله عندك شقة يقول ربنا يفرجها طيب بتشتغل فىن آهوه يوم هنا شغلانه أو هناك مندوب مبيعات يعنى مفيش استقرار وده حال الشباب كله فطبعاً بنرفض وفى نفس الوقت بدأ العمر يجرى ومش عارفه اعمل إيه !! ما هوه لو فيه شغل كانت إتحت كل مشاكلى علشان كده الشباب بيعانى والأمل فى الله سبحانه وتعالى 0

وتشير حالة أخرى إلى أن الطلاب أثناء أدائهم للامتحانات لا يريدون النجاح لأن الواحد طول ما هوه فى الدراسة الأسرة بتوفر له كل متطلباته ولكن المشكلة شيفينها مع أخواتنا الكبار اللى أخرجوا من الجامعة من معاناة فى البحث عن فرصة عمل وكم التوبيخ من الأسرة لحتهم على البحث عن فرصة عمل بدون جدوى لذا يعيش الشباب حالة من التهميش والرفض للواقع 0 يؤكد ذلك نتائج الدراسات التى تشير إلى أنه فى ظل تزايد البطالة وتفكك نظام العمل المستقر نتجت مجموعة كاملة من المشكلات الخاصة (بما فيها ظاهرة التهميش الاجتماعى والتهميش الذاتى ، الرفض والعنف 00 الخ (29)

كما تشير حالة أخرى إلى أن خالتها تعمل فى وظيفة إدارية مرموقة بالجامعة وتسعى بإلحاح شديد وتطرق كل الأبواب كى تعين أبنتها فى وظيفة (عاملة مؤقتة) بشهادة الابتدائية - رغم أن ابنتها حاصلة على الشهادة الجامعية - وهذه الحالة تظهر بوضوح مدى وحجم البطالة التى يعانى منها الشباب فى المجتمع 0

وذهب 90% من حالات الدراسة الميدانية إلى أن الشباب يعانى من اضطراب وإحباط شديد سواء من ضعف الأمل فى وجود فرصة للعمل أو الزواج وتكاليفه وما يترتب عليه من انتشار القيم السلبية والهابطية والانحرافات بأنواعها حتى وصلت لدرجة تخريب الذات 0 مما يفضى إلى التهميش والإحساس بالاغتراب وضعف الانتماء 0 وها هى حالة منهم تقول (بعد التخرج كنت فرحان إننى أنهيت دراستى بنجاح وفاكر العملية سهلة وأن الشباب لا يبذل الجهد الكافى للحصول على فرصة عمل ولكن : بعد أن سُدت جميع الأبواب فى وجهى على مدار الثلاث سنوات الماضية فقدت الأمل وكل يوم بيغوت بيزيد إحباطى لدرجة أننى عاوز أفضل نايم فى البيت مش عاوز النهار يطلع وها هى حالة أخرى تقول (ما يحسش بالنار إلا اللى كبشها) لأن فاقد العمل فاقد لكل شىء فاقد لهويته وشخصيته ملء باليأس والإحباط ، يحس بالعجز - رغم ما بداخله من طاقة وقدره على العمل والإبداع - والظلم لذا فشباب وصل إلى هذا الحد من التهميش والاغتراب والإحباط يعد بمثابة قنبلة موقوتة يُتوقع منه أى شىء 0

يؤكد ذلك ما حدث فى " المغرب " حيث قام مجموعة من الشباب بما يزيد على 300 شاب لا يجدون فرصة عمل باعتصامهم فى مقر احد مراكز الحرف اليدوية لمدة كبيرة بلغت عدة أشهر فى يوليو عام 1991م فى مدينة

سالة وسميت " بحركة سالة " وقامت الحكومة والقطاع الخاص بتوفير فرص عمل للبعض منهم⁽³⁰⁾ وكان من الممكن أن تتحول إلى ثورة لا يحمد عقبائها نتيجة ما يعانونه من بطالة 0

وتذهب حالة أخرى إلى أن الشباب الذى يحتاج إلى المال تنازل عن بعض طموحاته فى ظل ندرة فرص العمل وقبوله أعمال يدوية أو حرفية (رغم نظرة المجتمع الدونية للبعض منها) أو قبول العمل فى بعض المناطق السياحية والمطاعم ، والجرى وراء حلم السفر عبر قنوات ربما تكون وهمية أو بطرق غير شرعية وجميعها تخضع لقانون الصدفة وقد تكلفه أحياناً حياته لا قدر الله 0 أو تهبط عليه ثروة (من سيربح المليون00) 0 أما إذا كان الشباب ينتمى إلى أسرة غنية فتفتح له مشروع غير منتج كوفى شوب ، نادى كمبيوتر 00 ومن لم يجد هذا ولا ذلك فهو يكون عرضة لتيارات مختلفة أو يقبل على الإدمان أو السرقة أو العنف إلى غير ذلك 0

يؤكد ذلك نتائج دراسة ميدانية أشارت إلى أن معظم أعمال العنف ترتكب من أفراد لا يجدون فرصة عمل مناسبة وجاءت فى المرتبة الأولى بنسبة 73.8% وهذا يدعم انتشار الممارسات الغير سوية فى المجتمع نتيجة قلة فرص التشغيل⁽³¹⁾ 0

ونكتفى بعرض ما جاء على لسان هذه الحالة التى أشارت إلى أن هناك أفكار خطيرة يتناقلها الشباب - وهى فى تزايد - وتتمثل فى الزواج من أجنبيات للحصول على الجنسية وحلم السفر 00 الخ بل يذهب الشباب خصيصاً للعمل فى شرم الشيخ كى يتزوج من أجنبيه 0 مما يشكل خطراً على الانتماء الوطنى وتهديد لكيان المجتمع وهدر لطاقاته الشبابية 0 يدعم ذلك نتائج بحث أجراه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة،

إذ ذهب إلى أن أخطر المشكلات التي تترتب على بطالة الشباب ما يتولد عنها من مشاكل تمس الجوانب السياسية والأمنية في المجتمع (32) 0

وفي ظل هذه السلبيات أشارت حالات الدراسة إلى أن الحل بسيط ويمكن في التخطيط الجيد المستمر والمتكامل والاستثمارات الوطنية في مشروعات منتجة والعمل من أجل المصلحة العام وكل ذلك يتحقق من خلال الاعتماد على الذات وتحسين التعليم وتطوير القوانين والمشاركة المجتمعية لكل شرائح المجتمع في ظل تعاون عربي مشترك 0

كل ما سبق يؤكد أن العمل هو نقطة الانطلاق الأساسية لمواجهة الحياة العامة كفرد مستقل ومسئول ، ويأتي تناولنا لقضية البطالة وتداعياتها كواقع يعيشه ويتعايش معه الشباب ويؤثر عليه سلبياً (بتدمير للذات - هدر للطاقات - الاغتراب - ضعف الانتماء - التهميش - الجريمة بأنواعها - العنف - إنهيار القيم 000) ؛ فالعمل يعد المرحلة الأساسية بعد التعليم من أجل بناء مستقبله وإشباع حاجاته الأساسية وتحقيق حلمه في الزواج وتكوين أسرة وتحمل مسؤولياته 0

وعلى هذا الأساس فمدى رضائه أو إحباطه ، نجاحه أو فشله في تحصيل فرصة عمل يحدد موقعه / موقفه ، على آفاق المستقبل 0 بل ويحدد أيضا النقطة التي يقع فيها مجتمعه على متصل التقدم والتأخر 0

خاتمة :

تعد البطالة من أكثر المشكلات التي استحوذت على اهتمام الباحثين العرب ، ولا يرجع ذلك فقط إلى تزايد أعداد العاطلين بالدول العربية خاصة

فيما بين الخريجين من الجامعات والمدارس العليا ، بل أيضا لأن البطالة تعد انعكاسا لقضايا أخطر بكثير لم تحل حتى الآن ، ولا زالت تلقى بتداعياتها على مختلف أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالدول العربية 0 مثل قضية نوعية التعليم ، وقضية الزيادة السكانية بمعدلات أعلى كثيراً من مثيلاتها بالدول الأخرى ، حيث يبلغ معدل نمو السكان 3% سنوياً بالدول العربية ، حتى وصل حجم سكان الوطن العربي إلى حوالى 266 مليون نسمة سنة 2000م ، وهى زيادة ضخمة تستدعى بذل جهوداً مضنية لاستيعاب وتدريب وتقديم الخدمات لهذا التكديس البشرى الضخم بما يتماشى مع التطورات العالمية من خلال خطط وخدمات التعليم والصحة والاتصالات ومن الصعب القول بأن أى دولة عربية تمتلك إستراتيجية ومنهجاً واضحاً للتوظيف ينطوى على سياسات تشغيل متكاملة تتضمن برامج لحماية المعرضون للبطالة ، وبرامج لتطوير فرص العمل والعمالة والإنتاجية بالسوق 0 ذلك أن سياسات التوظيف الفعالة والمتكاملة ينبغى أن تتضمن :
أولاً : إجراءات علاجية لمشكلة البطالة مثل : الإعانات الاجتماعية والتأمين الصحى وتوفير فرص عمل مؤقتة ، وغيرها من الإجراءات السريعة لمواجهة الأزمة ، والمساعدة على تحمل تكاليف الاقتصاد الرأسمالى، من خلال برامج لزيادة الدخل ودعم الأنشطة الإنتاجية 0
ثانياً: إجراءات تعتمد على المبادرة والعمل الإيجابى بهدف محاصرة مشكلة نقص التوظيف منذ البداية ، وعدم الانتظار حتى تتفاقم وتظهر بشكل حاد ، يصعب على الإجراءات العلاجية مواجهته 0 ومثل هذه تستهدف إعادة تدريب العمالة بغرض إعادة توظيفها ، وتطوير مهارات جديدة ، بما يودى لزيادة الاستثمار البشرى الذى يعد أفضل أنواع

الاستثمارات 0 أى أنها إجراءات تتخذ من خلال الجهود التنموية فى إطار خطة الدولة ، وعادة ما تشمل عدة عناصر :

1 - محاولات التوفيق بين جانبى العرض والطلب على العمالة بالأسواق ، بحيث ألا يعمل النظام التعليمى على تفريخ أعداد من الخريجين لا يجدون فرصاً حقيقية للاستفادة بمؤهلاتهم ، بما يتيح للدولة إكتساب المردود الحقيقى للاستثمارات التى أنفقتها على التعليم والتربية 0 وبحيث تتجه خطط وبرامج الاستثمار بشكل عام لاستخدام تكنولوجيا أكثر كثافة فى العمالة ، وتتطلب مهارات متوافرة محلياً 0

2 - توظيف الأفراد الذين يعانون من البطالة الاحتكاكية Frictional ، وتوفير السبل الملائمة لتسهيل حركة تنقلات العمالة بين الوظائف المختلفة 0

3 - التعامل الإيجابى مع البطالة الهيكلية ونقص الطلب على العمل ، عن طريق رفع قدرات وكفاءات الأفراد الإنتاجية ، وتحسين درجة الموائمة بين العامل والوظيفة 0

4 - توفير قاعدة بيانات عن أسواق العمل ، ووضع البرامج اللازمة لعلاج القصور فى الأسواق

5 - برامج التدريب والتأهيل الهادفة لزيادة إنتاجية الفرد ، وبالتالي زيادة دخله ، وزيادة معدلات التراكم الرأسمالى ، مما يوفر المناخ لإقامة وحدات إنتاجية واستثمارات جديدة يمكنها خلق فرص العمل للقادمين الجدد إلى أسواق العمالة 0

أهم التوصيات :

- مما سبق يؤكد أنه بتوفير فرص عمل للشباب نقضى على معظم إن لم يكن كل المصاحبات الاجتماعية السلبية وذلك من خلال :
- الاهتمام بجودة التعليم وربطه بسوق العمل واكتساب المهارات الجديدة 0
 - زيادة الاستثمارات 0
 - الاهتمام بالزراعة وزيادة رقعة الأرض الزراعية 0
 - تشجيع المشروعات الصغيرة 0
 - تفعيل التعاون العربى 0

أسئلة على الفصل الثامن

- 1- ما أثر البطالة على الشباب وأسرته ومجتمعه ؟
- 2- ما المشكلات التي يعاني منها الشباب فى عدم وجود فرص عمل ؟
- 3- قارن بين الحياة الأسرية لشباب يعمل وآخر عاطل عن العمل ؟

المراجع

- 1 - United Nation Globalization And Labour. Markets in the Escwa Region, new York, 2001, p. 16.
- 2 - محمود عبد الفضيل ، مصر والعالم على أعتاب ألفية جديدة ، مكتبة الأسرة ، 2001 ص ص 10 - 12 0
- 3 - Assaad, Regui, the Effect of Child Work On School Enroiment In Egypt the Workshop is Organized by the Economic Research Fortum for the Arab Countries, Iran, Turkey and World bank, July, 2001, pp. 4 - 5 .
- 4 - أسامة ماهر حسين ، دراسة نقدية لمشروع مبارك / كول فى مجال التعليم الفنى فى مصر ، مجلة مستقبل التربية العربية ، المجلد الثامن ن العدد 26 يوليو 2002 ، ص ص 187 - 188 0
- 5 - سيد محمد عبد المقصود ، قضية قصور التشغيل " البطالة وعلاقتها بجودة التعليم ، سلسلة قضايا التخطيط والتنمية ، رقم 174 ، معهد التخطيط القومى ، يوليو 2003 ، ص ص 47 - 48 0
- 6 - محمود عبد الفضيل ، مرجع سابق ، ص ص 13 - 15 0
- 7 - عبد الباسط عبد المعطى ، البحث الاجتماعى ، محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده ، دار المعرفة الجامعية ، 1987 ، ص ص 362 0
- 8 - United Nations, Responding to Globa Lization: Skil formation and Unempbyment Policies, New York.
- 9 - Bloom, David E., Mastering Globalization: From Ideals to Action on Higher Education Reform Harrard University, 19 September, 2002, pp. 2 - 3 .

- 10 - خالد الزواوى ، البطالة فى الوطن العربى : المشكلة والحل ،
مجموعة النيل العربية ، 2002، ص 19 0
- 11 - United Nations, responding to Globalization, Op.
Cit., p. 37.
- 12 - تقرير التنمية البشرية ، معهد التخطيط القومى ، 2003 ، ص 2 0
- 13 - جامعة الدول العربية ، التقرير الاقتصادى العربى الموحد ، 2002 ،
ص 24 0
- 14 - UNCTAD, "Mobilization of Domestic Resources
for Poverty Alleviation" Geneva 24, Jan, 1994,
pA/3022 .
- 15 - رمزى زكى ، الاقتصاد السياسى للبطالة : تحليل لأخطر مشكلات
الرأسمالية المعاصرة ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 226 ، الكويت ، أكتوبر
1997ن ص 501 - 507 0
- 16 - يوسف إبراهيم ، اتجاهات سوق العمل فى الاقتصاد الكويتى ، مجلة
العلوم الاجتماعية ، مجلد 24 ، عدد 4 ، الكويت ، شتاء 1996، ص 31 0
- 17 - تقرير التنمية الإنسانية العربية ، نحو إقامة مجتمع المعرفة ، 2003
، ص ص 155 - 156
- 18 - المرجع السابق ، ص 138 0
- 19 - التقرير العربى الموحد ، مرجع سابق ، ص ص 24 - 25 0
- 20 - معهد التخطيط القومى ، تقرير التنمية البشرية ، مرجع سابق ،
2003 ، ص 87 0
- 21 - أسماء اللحام ، " أوضاع القوى العاملة والنشغيل فى القطر العربى
السورى " ندوة سياسات التشغيل فى البلدان العربية ، القاهرة ، 10 -
12مايو 1992، ص ص 2 - 10 0

- 22 - أحمد الأشقر ، " العمالة السورية فى دول الخليج ، الهجرة والاستخدام والبطالة فى ظل الإصلاح الاقتصادى والمتغيرات الإقليمية فى ج0م0ع0 ، الاتحاد العام لنقابات عمال مصر مع منظمة العمل الدولية ، القاهرة ، 1991 0
- 23 - عبد الله غلوم ، التركيبة السكانية وأزمة توظيف العمالة فى الكويت " ، مجلة الكويت الاقتصادية ، العدد الأول ، السنة الأولى ، ص 46 0
- 24 - المؤسسة العربية للتشغيل ، "الوضع الحالى للقوى العاملة والتشغيل فى البلاد العربية " ، ندوة سياسات التشغيل فى الأقطار العربية ، منظمة العمل العربية بالتعاون مع البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة ومنظمة العمل الدولية ، القاهرة من 29 - 31/3/1993 ، ص ص 74 - 163 0
- 25 - الإسكوا " الأثر الاجتماعى لإعادة الهيكلة مع تركيز خاص على البطالة " الأمم المتحدة ، نيويورك 2000 ، ELESCWA/SD/9914
- 26 - W.B. "Republic of Tunisia, the Social, Protection system" April, 1993.
- 27 - نجاح عبد العليم ، الخيار التكنولوجى وحل مشكلة البطالة فى مصر ، ندوة "مشكلة البطالة فى جمهورية مصر العربية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 14 - 16 يوليو ، 2001 0
- 28 - إسماعيل صبرى عبد الله ، العرب والعولمة : العولمة والاقتصاد والتنمية العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ندوة : العرب والعولمة ، تحرير : أسامة أمين الخولى ، ط2 ، بيروت ، ديسمبر ، 1998 ، ص 368
- 29 - أديب نعمه ، إشكاليات البحث فى مجال الشباب ومقترحات مستقبلية ، اجتماع الجراء الأقليمى حول الحالة المعرفية لمسرح وبحوث الشباب فى الإقليم العربى ، شرم الشيخ ، القاهرة ، 19 - 21 نوفمبر ، 2005 0

- 30 - إيمان فرج ، الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للشباب والمراهقة ، المنتدى العربي للسكان ، بيروت ، 19 نوفمبر ، 2004 ، ص 0 28
- 31 - مهدي محمد القصاص ، عنف الشباب : محاولة في التفسير ، ندوة : قضايا الشباب المصري تحديات الحاضر وآفاق المستقبل ، كلية البنات - جامعة عين شمس ، 16 - 18 ابريل ، 2005 ، ص 0 29
- للمزيد راجع أيضا : سميحة نصر ، العنف بين طلاب المدارس : التقرير الاجتماعي ، إشراف : احمد زايد ، المجلد الأول ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، 2004 0
- 32 - سلوى العامري ، أجيال مستقبل مصر : أوضاعهم المتغيرة وتصوراتهم المستقبلية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، 2002 ، ص 0 211
- راجع أيضا : مجلة الديمقراطية ، الأجيال والسياسة ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، العدد السادس ، القاهرة ، ربيع 2002 ، ص ص 65 - 140

الفصل التاسع التمكين الاجتماعي لذوى الاحتياجات الخاصة "دراسة ميدانية"*

* ألقى هذا البحث فى المؤتمر العربى الثانى عن الإعاقة الذهنية بين التجنب والرعاية ، نظمه منتدى التجمع المعنى بحقوق المعاق ، جامعة أسيوط ، ديسمبر 204.

فكرة البحث

التنمية البشرية هي تنمية الفعل من ناحية وتنمية التفاعل من ناحية أخرى أي أن التنمية البشرية لا بد أن تشمل تنمية رأس المال البشري ورأس المال الاجتماعي في آن واحد ، ويشير رأس المال الاجتماعي إلى النظام المؤسسي والعلاقات و الثقافة السائدة و العادات و التقاليد التي تؤثر علي كافة أفراد المجتمع ومن بينها ، ذوي الاحتياجات الخاصة ، بما ينعكس علي المشاركة في التفاعلات الاجتماعية و الاقتصادية ذات التأثير المباشر علي عملية التنمية واستمرارها (1).

وتقوم فكرة البحث علي عملية إدماج وتفعيل دور ذوي الاحتياجات الخاصة داخل مجتمعهم المحلي حيث تكمن مشكلة المعاق والإعاقة في الظروف والسياقات الاجتماعية المختلفة و المهياة للإعاقة و التي تضع قيود وعقبات غير مبرره ولا تستند إلي رؤى علمية أمام مشاركة المعاق في فعاليات الحياة الاجتماعية وتشير العدد من الأبحاث إلي أن مشكلات المعاق الحياتية و التوافقية لا ترجع إلي الإصابة أو الإعاقة في ذاتها ، بل تعود بالأساس إلي الطريقة التي ينظر بها المجتمع إليهم . وتفسر المداخل التقليدية الإعاقة بوصفها موضوعا طبييا ، حيث تنحصر أي محاولة للتعامل مع أو التخلص من الصعوبات التي يعاني منها ذوي الاحتياجات الخاصة علي ما يُعتقد أنه السبب في الإعاقة و المشكلات المرتبطة بها .

وترتب علي ذلك أن هُتمش واستبعد الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة من مسار الحياة الطبيعية مما أدى إلي فقدان أو محدوديه مشاركتهم فيها نتيجة العقبات، الموانع Barriers الاجتماعية و البيئية التي تحول دون تفاعلهم مع المجتمع كالتحيز ضد الإعاقة و المعوقين و الميل إلي الوصم و

التميط وبيروقراطية الإجراءات ، وتعذر وجود وسائل المواصلات المناسبة كما أن مؤسسات التربية الخاصة تقوم علي فكرة العزل وبالتالي تفشل في تزويدهم بالمناهج التربوية العادية ، مما يترتب عليه الاستبعاد من فعاليات الحياة الاجتماعية كما ذهب إلي ذلك تحليل " هنت "(2) وأن السبب الأساس في هذه المشكلات إنما يعزي إلي فشل المجتمع في التسامح مع / و التقبل للاختلافات و الفروق بين المعاقين من المشاركة العادية في فعاليات و أنشطة وخبرات الحياة الاجتماعية اليومية.

ولا يفهم من ذلك إغفال الفروق الفسيولوجية ولكن الهدف يتمثل في علاج هذا التأثير دون الالتزام بالأحكام ذات الطابع التقويمي مثل السواء / في مقابل غير السواء أو العادي / في مقابل غير العادي مع التركيز بصفة أساسية علي الجوانب و الأبعاد المجتمعية التي يمكن تغييرها من خلال الافتراضات العامة للنموذج الاجتماعي في تفسير الإعاقة الذي يؤصل فيه بصفة خاصة ما يعرف بثقافة التمكين Empowerment

هدف البحث

يهدف البحث إلي إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة داخل المجتمع وتغيير الثقافة السائدة عن الإعاقة ، من خلال تحديد الأدوار التي يمكن أن يسهم بها أفراد المجتمع ومؤسساته لتحقيق التطبيع الاجتماعي مع هذه الفئة وقبولهم وذلك بغرض الوصول إلي وضع سياسات وآليات تعمل علي إدماجهم في كافة قضايا التنمية

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من التأكيد علي أن الإعاقة تتخلق أساسا في ظل ظروف اجتماعية معينة حتى وأن كانت ذات منشأ تكويني أو وراثي ، فإن

السياق الاجتماعي هو المتغير الأساسي و الفارق في نشأة المصاحبات الاجتماعية والسلوكية بكل تداعياتها السلبية علي المعاق مما يلزم معه تغيير الثقافة السائدة علي الإعاقة وذلك من خلال تبني استراتيجية دمج وتمكين ذوي الاحتياجات الخاصة من المشاركة الاجتماعية و الاستفادة من المميزات و الخدمات التي تنتجها مؤسسات المجتمع للعاديين .

مفاهيم البحث

مما لا شك فيه أن بناء وتنمية القدرات البشرية المصرية هي إحدى قضايا الساعة التي تفرضها التحولات المعرفية و المعلوماتية الحادثة عالميا ومما لا شك فيه أيضا أن بناء وتنمية القدرات البشرية المصرية يجب أن يشمل كافة الفئات و الطبقات هنا تبرز قضية التمكين الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة وكيفية بناء قدرات تلك الفئة اجتماعيا وتعليميا واقتصاديا وهو ما يسمى (بالتمكين) و التعاضد الجماعي (3) في مواجهة وضعهم الذي يوسم بالعجز و القصور و العزل أحيانا أو بالتعاطف و الشفقة

وإذا كانت الإعاقة تعرف أنها التداعيات و الآثار الاجتماعية المترتبة علي معاناة الفرد من إصابة أو تلف عضوي وظيفي بدني أو عقلي (4)

التمكين في جوهره العام يعني تمكين الأفراد لتحرير أنفسهم وفي مقابل مفهوم التمكين والقوة كان مفهوم الأضعاف إذا لم يتجاهل هذا الاقتراب الحيلولة دون حصول الآخر ذوي الاحتياجات الخاصة علي القوة أو ما يطلق عليه مفهوم الإضعاف لتلك الفئات ما يعني الحيلولة بين الاحتياجات الخاصة ووصولهم إلي مدخل القوة.

الإعاقة موقف يفتقد فيه الفرد القدرات الضرورية و اللازمة لإشباع حاجاته الأساسية وتطلعاته ومشاركته في فعاليات الحياة الاجتماعية والإعاقة بذلك هي نقص الأحقية الضرورية لمشاركة المجتمع .

فالأحقية هي مزيج من القانون و القوة ويتم بمقتضاها تحويل مطالب الفرد إلي أمر واقع ف يظل امتلاكه للقوة وتحت مظلة القانون وبمقتضي نظام أحقية معينة ويطرح مفهوم الأحقية ثلاثة أسس وهي

حقوق الإنسان وحقوق المواطن و حقوق الرفاهية الإنسانية أو تستند حقوق الإنسان علي الحق في قدر معين من الخدمات الصحية و التعليمية وغيرها . في حين يرتبط مفهوم حقوق المواطن بمفهوم الطاعة وأداء الضرائب وخلافة . كما يهتم مفهوم الرفاهية الإنسانية بكيفية تطوير حياة الفرد واستغلال قدراته كاملة دون التميز ضد الإعاقة و المعاقين أو الميل إلي الوصم و التمييز وإذا كانت التنمية هي توسيع خيارات البشر فإن الأحقية تعني تأسيس حق البشر الجوهري في هذه الخيارات (5) .

مفهوم التمكين الاجتماعي : يقصد به إكساب ذوي الاحتياجات الخاصة مختلف المعارف والاتجاهات و القيم و المهارات التي تؤهلهم للمشاركة الإيجابية الفعالة في مختلف أنشطة وفعاليات الحياة الإنسانية إلي أقصى حد تؤهله لهم إمكانياتهم وقدراتهم إضافة إلي تغيير ثقافة المجتمع نحو المعاقين والإعاقة من ثقافة التهميش إلي ثقافة التمكين

مفهوم ذوي الاحتياجات الخاصة : هو مفهوم بنائي يتسع ليشمل فئات اجتماعية كثيرة غير ذوي الحاجات الخاصة (الجسمية أو الذهنية) فهناك الإعاقاة (العقلية - السياسية - القانونية - الاقتصادية ---) أن ذوي الاحتياجات الخاصة وهم معاقين لأسباب بعضها

وراثي وبعضها بيئي (حادث سيارة - إصابة عمل - سوء تقديم الخدمة قبل الحمل وأثناء الولادة --- كذلك يضم إليهم المعاق ثقافيا وسياسيا و الموهوبون لأنهم ذو احتياج خاص في التعامل) ويعكس ذلك مدى اتساع فئات الإعاقة .

وتعرف الإعاقة Handicap بكونها فقدان أو تهميش أو محدودية المشاركة في فعاليات وأنشطة وخبرات الحياة الاجتماعية عند مستوى مماثل للعاديين وذلك نتيجة العقبات و الموانع Barriers الاجتماعية و البيئية (6)

تساؤلات البحث

ينطلق البحث من التساؤل الرئيس التالي :

ما الأدوار التي يمكن أن يقوم بها المجتمع بكافة نظمه ومؤسساته لإكساب ذوي الاحتياجات الخاصة المعارف و الاتجاهات و القيم و المهارات التي تمكنهم من الاندماج في فعاليات الحياة الاجتماعية ؟

ويتحقق ذلك من خلال الإجابة علي عدة أسئلة فرعية شملها دليل

دراسة الحالة :-

- ما طبيعة إدراك أفراد المجتمع لذوي الاحتياجات الخاصة ؟
- ما تصور أفراد المجتمع للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة ؟
- كيف يمكن تنمية نظره الإيجابية لدور ذوي الاحتياجات الخاصة ؟
- ما أشكال الرعاية الاجتماعية المقدمة لذوي الاحتياجات الخاصة ؟
- ما السبل لتمكين ودمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع و

الاستفادة منهم ؟

العينة ومجتمع البحث

طبق البحث في مدينة كوم حمادة - محافظة البحيرة في شهرى
سبتمبر و أكتوبر 2004 علي عدد خمسة عشر حالة ثم اختيارهم بطريقة
عمدية تتفق وطبيعة البحث وجاءت كالاتي :

خمس حالات عاملون في قطاع تعليم ورعاية ذوي الاحتياجات
الخاصة ،خمس حالات من المهتمون بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة . وتم
اختيارهم بعد توجيه عدة أسئلة إليهم توضح مدي اهتمامهم ولديهم معرفة
مسبقة بذوي الاحتياجات الخاصة وهم عادة من أقربائهم أو جيرانهم ... إلخ)
خمس حالات لأرباب أسر لديهم طفل معاق ، تم دراسة هذه الحالات من
خلال المقابلة وكذلك المقابلات الجماعية المفتوحة .

أولاً:- ذوي الاحتياجات الخاصة بين التجنب و الرعاية

عندما نتحدث عن ذوي الاحتياجات الخاصة بشكل عام ، فإننا نتجه
إلي التركيز علي الإعاقة ، بكل أسف ، بدلا من الاهتمام بالفرد ذاته وما لديه
من مميزات وقدرات خاصة لذا جاءت النظرة سلبية إليه فقيما كان ينظر
للإعاقة علي أنها عاهة ثم بعد ذلك صنف بحكم قرارات إدارية مما ساهم في
عزلتهم وتهميش دورهم و الصاق المسميات السلبية بهم وفي ظل المبدأ
التوجيهى الذي ينادي بجعل المعاق إنسان طبيعيا وهو اتجاه اجتماعي يهدف
إلي إتاحة الفرصة أمام ذوي الاحتياجات الخاصة للحياة مثل الأفراد العاديين
وهذا يتطلب التعامل مع هؤلاء الأفراد علي نحو طبيعي وإعطائهم الفرص
ومساواتهم في الحقوق ، وجعل الظروف المحيطة بهم عادية وهناك العديدة
الأفكار التي تبنت وجهات نظر مختلفة وفيما يلي نعرض لبعض هذه الأفكار.
فقيما أرجع الناس الإعاقة إلي قوى غيبية أو تصورات غير منطقية
ومنهم من اعتبرها نذير شؤم بمقدمها إلي الحياة ، أو هي دلالة علي غضب

الآلة ، وكانت الكنيسة في أوروبا تقول بأن المرض بجميع أنواعه قصاص علي ما اقترفه الإنسان من ذنوب ، وأن الإعاقة تفهقر فكري تصنف فيها الروح وتسير عليها المادة .

شهد العصر الإغريقي التخلص من الأطفال المعوقين عن طريق قتلهم للمحافظة علي نقاء العنصر البشري كما نادي أفلاطون في جمهوريته وكذلك الحال في إسبارطة

أما في العصر الروماني فقد بقي مصير المعوقين بين شيخ القبيلة الذي كان بيده وحده تقرير مصائرهم اعتمادا علي درجة تقدير الإعاقة إلا أنه كان يتم التخلص من المعوقين عن طريق إلقاءهم في الأنهار أو تركهم علي قمم الجبال ليموتوا بفعل الظروف المناخية

أما في العصور الوسطي بأوروبا - بما صاحبها من مظاهر الجمود الفكرى - فقد عملت محاكم التفتيش علي اضطهادهم وإيذائهم حتى الموت بوسائل متعددة من خلال اتهامهم بممارسة السحر أو تقمص الشياطين لأجسامهم وبذلك فقد أصبحوا صنائع الشيطان .

وعندما جاء الإسلام نادي بعدم التفرقة بين البشر وأقامه المساواة كما أكد علي وجوب النظر إلي الإنسان علي أساس عملة وقلبه وليس علي أساس شكله أو مظهره وطلب كف الأذى المعنوي المتمثل في النظرة و الكلمة و الإشارة وغيرها من وسائل التحقير و الاستهزاء

ويشير كتاب تاريخ " البيمارستانات " في الإسلام إلي النظرة الإيجابية التي كان ينظر بها أفراد المجتمع الإسلامي للمعوقين ومساواتهم بغيرهم إذ يروى أن " الوليد بن عبد الملك " قد أعطي الناس المجذوبين وقال

لا تسألوا الناس وأعطي كل مقعد خادما ، وكل ضرير قائدا ولم يهمل المجتمع الإسلامي أمر علاج الإعاقات التي كان لها علاج معروف في ذلك الوقت (7) . وأكد ابن القيم الجوزية علي أهمية الاهتمام بالطفولة المبكرة وتوفير الرعاية المتكاملة لها ، وحث الأسرة علي ملاحظة نمو أطفالها مما يسهم في الاكتشاف المبكر للإعاقة . وأشار إلي أهمية راحة الجسم من الاضطرابات الانفعالية السلوكية (8)

وفي العصر الحديث اهتمت الحكومات بذوي الاحتياجات الخاصة من خلال إنشاء مؤسسات إيواء لهم وتعليمهم وتأهيلهم بصورة منعزلة ثم تطورت إلي عملية دمجهم داخل مجتمعاتهم وهذا ما نهدف إليه من هذا البحث

ويشير بيان " سلامنكا " بشأن المبادئ و السياسات و الممارسات في تعليم ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة ، إلي إعلان حقوق الإنسان لسنة 1948 ، الذي يؤكد علي حق كل فرد في التعليم وجاء المؤتمر العالمي حول التربية للجميع في 1990 وكفل هذا الحق للجميع بعض النظر عما بينهم من فروق فردية ، ونذكر بمختلف الإعلانات الصادرة عن الأمم المتحدة ، التي توجت سنة 1993 بإصدار القواعد الموحدة بشأن تحقيق تكافؤ الفرص للمعوقين (9)

وهناك خطوات عديدة اتخذتها الحكومة المصرية لحماية المعاق في المجتمع ومن بينها ما يلي :-

قانون التأهيل الاجتماعي للمعاقين /29 لسنة 75 تحت رعاية
وزارة الشؤون الاجتماعية وهي تعتمد في تقديم برامجها علي ما يلي :

أ- مكاتب التأهيل الاجتماعي ويبلغ عددها 115 مكتبا موزعة
علي كافة أنحاء الجمهورية وهي تتولى تأهيل المعاقين ممن ليسوا في حاجة
إلي رعاية داخلية وتعتمد في تدريب الحالات علي المؤسسات الموجودة
بالمجتمع

ب- مركز التأهيل المهني : وعددها 17 مركزا وهي مؤسسات
يقيم بها المعاقون الذين تقتضي ظروفهم الخاصة الإقامة الداخلية لشده
إصابتهم أو حاجاتهم إلي مراقبة مستمرة وهي تضم أقسام للبحث الاجتماعي
و العلاج الطبيعي ، والتدريبات العلاجية و التدريب المهني .

ج- مصانع الأجهزة التعويضية : وعددها 10 مصانع متخصصة
في الأجهزة التعويضية والأطراف الصناعية

د- المصانع الخاصة أو المحمية : وعددها 4 مصانع متخصصة
لتنشغيل المعاقين الذين يتعذر إلحاقهم بالعمل في سوق العمل الحر لحاجتهم
إلي رعاية خاصة أو نظام معين في التشغيل

هـ- مراكز العلاج الطبيعي : وعددها 51 مركزا

و- حضانات الأطفال المعاقين : وعددها 35 حضانة

ز- مؤسسات التنقيف الفكري وعددها 14 مؤسسة وهي دور معده
لرعاية المتخلفين عقليا من النوع الخفيف و المتوسط أي القابلين للتعلم و
التدريب بالنظام الداخلي أو الخارجي (10)

وفيما يلي جدول يوضح عدد المستفيدين من خدمات التأهيل الاجتماعي

عدد المستفيدين من خدمات التأهيل الاجتماعي حسب الجنس و نوع الخدمة لعام 1998

المجم	بطاقة معوق		علاج طبيعي		أجهزة		إناث
	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	
	1519	7009	268	334	1569	2436	614

المصدر : الكتاب الإحصائي السنوي 99\98 ، وزارة الشؤون الاجتماعية : مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار ، جمهورية مصر العربية ، ص 135 ،

- وقانون رقم 39 لسنة 1975 بشأن تأهيل المعوقين (11)
- وقانون رقم 49 لسنة 1982 بتعديل بعض أحكام القانون رقم 39 لسنة 1975 بشأن تأهيل المعوقين (12)

أ- نص المادة الثالثة التي جعلت التأهيل حق لكل معوق تؤدي الدولة خدماتها له دون مقابل .

ب- نصت المادة التاسعة علي إلزام كل صاحب عمل يستخدم 50 عاملا فأكثر بتشغيل 5% من عدد العاملين من بين المعاقين .

ج- نصت المادة العاشرة التي خصصت 5% من مجموع وظائف المستوى الثالث الخالية بالجهاز الحكومي و القطاع العام لشغلها بالمعوقين الحاصلين علي شهادات التأهيل الاجتماعي

إنتاج خمس برامج software مشتملة علي القاموس المرئي لخدمة التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة (الصم - البكم) وقد تم توزيع هذه البرامج علي 275 مدرسة (13)

وتعد هذه بعض خطوات التمكين الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة بالإضافة إلي التأكيد علي تنمية وعي الجمهور وبوسع وسائل الإعلام أن تلعب دورا هاما في تشجيع المواقف الإيجابية إزاء دمج الأشخاص المعوقين في المجتمع و التغلب علي التمييز و المعلومات المضللة و غرس المزيد من التفاؤل وسعة الخيال بصدد قدرات الأشخاص المعوقين ، وكذلك تشجيع أرباب العمل علي أن يتخذوا مواقف ايجابية إزاء استخدام الأشخاص المعوقين وكذلك اطلاع الجمهور علي النهج الجديدة في التعليم وخاصة فيما يتعلق بتوفير خدمات تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس العادية ، وذلك بالترويج لأمثلة من الممارسات الجيدة و التجارب الناجحة في هذا المجال (14)

وترتب علي ذلك تغيير مفهوم الإعاقة من حيث

كيفية الفحص ، إذ أنها لم تعد تتمثل في تصنيف الأفراد ، بل أصبحت تستهدف وصف احتياجات كل واحد منهم وتحديد ما ينبغي الاحتياط له استجابة لهذه الاحتياجات

أن مؤسسات التربية الخاصة أصبحت تتخلى عن النظام القائم عل العزل الموجود للأطفال المنتمين إلي صنف معين لتقديم تشكيلة كاملة من أنماط الخدمات المختلفة لكل من لهم احتياجات خاصة أيا كان المقر الذي يتلقون فيه الخدمة

تطور مجموعة المصطلحات المتعلقة بأنماط العجز و الإعاقة و أصبحت المصطلحات تصف مجالات مخصصة لأصحاب المهنة (15)

ثانيا : المدخل النظري لفهم الإعاقة

من المتفق عليه بين عامة الناس و المختصين أن ذوي الإعاقة لا تتاح أمامهم مختلف فرص التفاعل مع مختلف مواقف و خبرات الحياة الاجتماعية ، ويعيشون في نوعية حياة أقل كثيرا مقارنة بأقرانهم العاديين ، وتعتمد أي محاولة للتعامل مع أو للتخلص من الصعوبات التي يعاني منها المعوقين علي ما يعتقد انه السبب في الإعاقة و الصعوبات المرتبطة بها و يوجد طريقتين مختلفتين لتفسير ما يعتقد انه السبب في الإعاقة و تداعياتها النفسية وقد أمكن بلورة هاتين الطريقتين فيما يطلق عليه نمودجا تفسير الإعاقة وهما :

(أ) النموذج الطبي للإعاقة **Medical Model of Disability**

(ب) النموذج الاجتماعي للإعاقة **Social Model of Disability**

يركز أنصار النموذج الطبي بشكل كبير علي الملامح و الخصائص الأساسية للفرد من حيث البنية التكوينية العضوية ، في حين يتبنى مؤيدو النموذج الاجتماعي التفسيرات التي تعتمد علي الخصائص الأساسية للمؤسسات الاجتماعية و ما يسود المجتمع بشكل عام من أنساق قيم و معتقدات تجاه الإعاقة و المعوقين و فيما يلي تناول موجز لكلا النموذجين :

1- النموذج الطبي للإعاقة :

ينظر في ظل هذا النموذج للإعاقة علي أن عجز أو عدم قدرة المعاقين علي الارتباط و المشاركة في أنشطة وخبرات الحياة ترجع بالأساس إلي معاناة الفرد من إصابة Impairment تتلف أو تحدث تدميرا لعضو ما من جسده يترتب عليه قصور أو عجز وظيفي شديد لا يمكن من الاستفادة و المشاركة في فعاليات وخبرات الحياة الاجتماعية ولا يرجع هذا العجز من قريب أو بعيد لملاح وخصائص و أنساق القيم و المعتقدات في المجتمع .

وعندما يفكر صناع السياسة في الإعاقة وفق النموذج الطبي فإنهم يميلون إلي تركيز مجهوداتهم في تعويض ذوي الإصابات أو التلف العضوي وما يرتبط به من قصور وظيفي وذلك من خلال صياغة نظم تربوية ورعاية وتزويدهم بالخدمات العلاجية و التأهيلية في مؤسسات قائمة علي العزل والاستبعاد من فعاليات وخبرات الحياة الاجتماعية العادية

ويؤثر النموذج الطبي للإعاقة أيضا علي الطريقة التي ينظر ويفكر المعاقون بها حول أنفسهم إذ عادة ما يتبنى الكثيرون منهم رسالة سلبية مفادها أن كل المشكلات التي تواجه ذوي الإعاقة تنشأ عن امتلاكهم أجساد غير عادية أو بها عيب تكويني ، وعادة ما يميل المعاقين إلي الاعتقاد بأن إصابتهم تحول بالضرورة دون مشاركتهم في الأنشطة الاجتماعية ، ويؤدي إستدخال هذه الأفكار و المعتقدات في البنية الفكرية لذوي الإعاقة إلي عدم مقاومتهم محاولات استبعادهم من الاندماج Mainstreaming في فعاليات وخبرات الحياة الإنسانية في المجتمع⁽¹⁶⁾

2- النموذج الاجتماعي للإعاقة :

تبدأ الرؤى التفسيرية للإعاقة وفق النموذج الاجتماعي من التحديد للاختلاف بين مفهومي الإصابة أو التلف أو العطب Impairment و العجز أو الإعاقة Disability وقد بدأت صياغة النموذج الاجتماعي من قبل بعض العلماء إثر إظهار العديد من المعوقين استيائهم وامتعضهم من النموذج الفردي أو الطبي لكونه لا يقدم تفسيرات مقنعة لاستبعادهم من الاندماج في مسار الحياة الاجتماعية ولأن هناك العديد من الخبرات لمعايقين أظهرت أن مشكلاتهم الحياتية و التوافقية لا ترجع إلي الإصابة أو الإعاقة في ذاتها ، ولكن تعود بالأساس إلي الطريقة التي ينظر بها المجتمع إليهم (17) ويتجاوز هذا النموذج المسلمات التي ينطلق منها النموذج الطبي و التي تتمثل في عدم التفرقة بين الإصابة و التلف و العطب ، و العجز لأن كليهما يؤدي إلي قصور وظيفي وان هذا القصور الوظيفي كامن داخل الفرد نفسه ومنعزل عن المتغيرات الخارجية ، مسلما بأن العجز وليس العقبات أو العناصر الأساسية للمؤسسات الاجتماعية التي لا تلقي بالاحاجات وخصائص المعوقين بأي شكل من الأشكال ، وهنا يبدو أن المجتمع هو سبب الإعاقة بمعنى أن المجتمع هو المعوق لأن الطريقة التي يشيد بها تمنع ذوي الإعاقة من الاشتراك في فعاليات و أنشطة وخبرات الحياة اليومية ، وإذا ما أريد اشتراك واندماج ذوي الإعاقة في مسار الحياة الاجتماعية لابد أن يعاد تنظيم المجتمع من حيث بنائه ووظائفه ، وأيضا لا بد من القضاء علي كل الحواجز و الموانع و العقبات التي تحول دون هذا الاندماج . ومن هذه العقبات أو الحواجز :

- التحيز ضد الإعاقة و المعوقين والميل إلي الوصم و التمييز .
- عدم مرونة الإجراءات و الممارسات المؤسساتية

- تعذر الحصول علي المعلومات الصحيحة
- تعذر وجود البيانات و المؤسسات المناسبة
- تعذر وجود وسائل المواصلات و النقل المناسبة (18)

ويشير تحليل " هنت " (Hunt) إلي أنه يعتقد أن المعوقين يواجهون اضطهاد وإساءة معاملة من قبل الآخرين وتتضح تجليات ذلك في ظاهرة التمييز discrimination والاستبعاد من فعاليات الحياة الاجتماعية الطبيعية ، وخلص " هنت " من تحليله لهذه الأوضاع إلي التأكيد علي وجود علاقة مباشرة بين الاتجاهات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية نحو الإعاقة و المعوقين ، و التداعيات النفسية و السلوكية للإعاقة باستخدام مصطلحات القيود و الحدود ، و العقبات التي تفرض Imposed علي المعاقين من قبل المؤسسة ، وقد استخدم المعوقون في بداية السبعينيات من القرن العشرين خبراتهم الشخصية مع الإعاقة وعن حياتهم في المؤسسات (مؤسسات الرعاية والإيواء و التربية القائمة علي العزل) ليظهروا أن إصابتهم أو نواحي العجز لديهم ليست السبب في المشكلات العديدة التي يواجهونها في حياتهم أو في التداعيات النفسية و السلوكية المصاحبة للإعاقة ، وأن السبب الأساسي في هذا العجز وهذه المشكلات إنما يعزي إلي فشل المجتمع في التسامح مع / والتقبل للاختلافات و الفروق بين المعوقين من المشاركة العادية في فعاليات وأنشطة خبرات الحياة الاجتماعية اليومية ، وقد أطلق علي هذه الطريقة في التفكير حول / ومناقشة وتحليل الإعاقة بالنموذج الاجتماعي للعجز أو الإعاقة ، إذ يفسر فيه العجز أو التعويق بوصفة نتاج أي سلوك أو عقبات تمنع أو تحول دون قيام المعوقين من الاشتراك في فعاليات الحياة في المجتمع ولا يفهم من ذلك أن النموذج الاجتماعي يغفل أو

ينكر تأثير الإصابات و الفروق الفسيولوجية ولكنه يعالج هذا التأثير دون التقيد أو الالتزام بالأحكام ذات الطبع التقويمي لذا فمن المتصور أن استخدام النموذج الاجتماعي يؤدي إلي التمكين الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة(19)

وباختصار يؤكد النموذج الاجتماعي أن العجز و الإعاقة ناتجة عن عدم إدراك وعدم رغبة المجتمع في التعامل و التسليم بالاختلافات و الفروق في الخصائص والإمكانات البدنية و العقلية بين ذوي الإعاقة وأقرانهم العاديين

3- الدمج الاجتماعي :

الدمج كلمة تكتسي معاني مختلفة حسب المستعملين لها ، فهي تعني عند بعضهم وجود أطفال معوقين داخل فصول مدرسية عادية ويتابعون تعليمهم في ظروف الأسوياء نفسها ، وتعني عند بعضهم الآخر وجود أطفال معاقين داخل فصول مدرسية عادية مع تحويل جزئي في وسائل وظروف التعليم مثل الاعتماد علي بعض طرائق التربية الخاصة مثل طريقة برايل والاستفادة من دعم تعليمي خارجي ، وتعني عند فريق آخر من المهتمين بالتربية الخاصة استفادة المعوقين من بعض المواد المدرسية المدرجة ضمن الفصول العادية كالأشغال اليدوية و الرسم مع مواصلة تعليمهم بمراكز التربية الخاصة ، أما المعني الرابع للدمج فيعني وجود فصول للمعاقين داخل المدارس العادية لها مربوها المختصون ووسائلها المناسبة ولا يختلط المعوقون بالأسوياء إلا في فناء المدرسة أو في بعض المناسبات(20)

وهناك من يري أن الدمج يعني تمكين بعض فئات المعاقين من متابعة تعليمهم في الفصول العادية وما يترتب علي ذلك من إعداد التلميذ المعاق وظروفه التعليمية و للمعلم من حيث برامج الإعداد و التأهيل ويجب

أن لا يفهم من الدمج علي أنه مجرد حضور الطلاب المعاقين في الفصول المدرسية العادية ، بل هو محاولة لمساعدة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة من أجل أن يتطورا اجتماعيا وعقليا وشخصيا من خلال الاتصال و التفاعل مع أقرانهم العاديين ، وهذا يتطلب إحداث تغيير في المدرسة و المناهج و طرائق التعليم المستخدمة في الصفوف وأنظمة التقويم ، فالدمج ليس اختيارا بين كل شئ أو لا شئ لأنه يستند إلي فكرة أن تكون التربية أكثر مرونة ، ولهذا السبب فإن التلاميذ الذين يعانون من أي صعوبات سوف يكونون قريبين من أقرانهم بالقدر الذي يستطيعون وبما يسمح لهم بالنمو والاندماج الاجتماعي . ومهما تعددت الآراء و الاتجاهات تباينت وجهات النظر فإن الدمج كإستراتيجية جديدة في التربية الخاصة ينطلق من :

التغيير الواضح في الاتجاهات الاجتماعية نحو الأطفال غير العاديين من السلبية إلي الإيجابية.

توفير الفرصة الطبيعية للأطفال غير العاديين للنمو الاجتماعي و التربوي مع أقرانهم العاديين .

إزالة الوصمة المرتبطة ببعض فئات التربية الخاصة ، ويقصد بذلك الآثار السلبية الاجتماعية لدي بعض فئات التربية الخاصة وذويهم و المرتبطة بمصطلح مثل الإعاقة (21)

وقد ترتب علي ما سبق ظهور أفكار جديدة دفعت بحركة تربية ورعاية المعاقين إلي الاتجاه الإنساني وتنادي بالأخذ بمبدأ جعل المعاق طبيعيا أو سويا Normalization وهو اتجاه اجتماعي يهدف إلي إتاحة الفرصة أمام المعاق للحياة مثل الأفراد العاديين و التعامل معهم علي نحو طبيعي وإعطائهم الفرص ومساواتهم في الحقوق وجعل الظروف المحيطة

بهم عادية ، ولكي يتم هذا الهدف استخدمت العديد من المصطلحات كمحطات أساسية في طريق تحقيقه ، مثل مصطلح :التحرر من المؤسسات least restrictive : وبيئة تربوية أقل تقييدا Deinstitutional Educational Environment أو التكامل التربوي Mainstreaming ، والاحتواء أو الدمج أو توحيد المجري التعليمي ، و inclusive school وقد استخدم مصطلح التحرير من المؤسسات ليشير إلي تلك العملية التي تتضمن إبعاد المعوقين عن المؤسسات الخاصة الداخلية ووضعهم في بيئات مفتوحة وأقل تقيدا لحياتهم قدر الإمكان ، وبما يسمح بإسهام المجتمعات المحلية في رعاية المعوقين بصورة تساعد علي تعويدهم الحياة بين أقرانهم العاديين (22) مفهوم التحرير من المؤسسات يستند إلي ثلاث مفاهيم أساسية هي : التعويد أو التطبيع - بيئة أقل تقييدا.

• الأسلوب النمائي

وهكذا ظهر مصطلح التعويد أو التطبيع الذي يقضي بأن تتاح للمعوقين نفس أساليب وظروف الحياة العادية المتاحة لبقية أفراد المجتمع ، وذلك باستخدام وسائل الثقافة العادية لمساعدة المعوقين علي الحياة في ظروف أو مستوي يماثل تلك الظروف التي يعيش فيها الأفراد العاديون ، كما أنه يتضمن تعليم المعوقين أساليب السلوك المناسب وتشجيعهم علي استخدامها وتعويدهم علي الظهور بالمظهر اللائق ، وتعريضهم لخبرات متعددة تقربهم من أساليب الحياة العادية وتيسر لهم الاندماج فيها .

وقد استخدم البعض مصطلح التكامل ليشير إلي ضرورة تعليم المعوقين ورعايتهم وتدريبهم مع أقرانهم العاديين ، ويرى أصحاب هذا الرأي أن مصطلح التكامل يعد أكثر ملاءمة حيث يتضمن عملية تكيف الجوانب

الاجتماعية و العضوية و المهنية للمعوقين مع المجتمع ، مع مراعاة الحاجات الخاصة بكل فرد واختيار ما يناسبه من الظروف البيئية (23) . وبناء عليه فإن ما يقوم به المعوق لا يمثل سوء نصف المطلوب ، حيث يقع النصف الآخر علي عاتق الأطراف الاجتماعية الأخرى التي ستتولى مهام استقبال المعوق و التعرف عليه و يتطلب ذلك عدد من القضايا المرتبطة بقضية دمج المعوقين في المجتمع وهي ضرورة العمل علي نشر جمعيات أصدقاء المعوقين و لا تذكر قضية دمج المعوق في المجتمع إلا وتذكر معها قضية تشغيل المعوق وتوفير مواقع العمل المناسبة له (24) . وهناك وسائل مساندة أو دعم لذوي الاحتياجات الخاصة اجتماعيا من خلال :-

- خدمات الإرشاد و التوجيه.
 - خدمات المساندة الاجتماعية
 - خدمات المساندة الصحية
 - نظم خدمات المساندة المتبادلة أو التكاملية (25)
- وتتنوع طرق التدريس الخاصة بذوي الاحتياجات الخاصة ومنها :

- مدخل التدريس المضبط
- مدخل التعليم أو التدريس المباشر
- مدخل تدريب القدرة

وسوف نركز علي مدخل تدريب القدرة لأنه يعتمد علي أسلوب الممارسة المركزة في المجال الذي يعاني فيه التلميذ من صعوبة كذلك يساعد التلاميذ علي حسن توظيفه جوانب القوة و التميز لديهم في تعويض أي خلل أو تقصير في قدراتهم علي سبيل المثال يمكن تعليم الطفل الذي لديه قصور

في التميز السمعي باستخدام ما يعرف بالمدخل الكلي في تعليم اللغة
WHOLE – Language approach كذلك يستخدم عندما يحتاج
التلاميذ إلي إتقان المهارات قبل الأكاديمية التي بمقتضاها يكتب التلاميذ
المهارات الأكاديمية القراءة ، الكتابة ، الحساب (26) ذلك لأن حرمان الطفل
من التعرض للمثيرات واكتساب الخبرات ، ومن تنمية قدراته العقلية و
الجسمية والاجتماعية ، ومن تطوير مهاراته وبخاصة الحسية منها ، مهما
كان شكله وطبيعته ، يؤدي إلي وقف نموه وعدم تطوره لافتقاره إلي التعليم
و التدريب (27)

وقد شهدت التربية الخاصة تفسيرات جذرية ففي منتصف القرن
الماضي كان التوجه نحو التربية الخاصة من منظور التأهيل ومن منظور
الفئوية أي تصنيف المعاقين في فئات خاصة ومن ثم تميزهم بنوع من
التربية منفصلا عن مجتمع العاديين وتربيتهم أما التربية الخاصة المعاصرة
فهي تقوم علي الوصل لا الفصل بين مجتمع العاديين وغير العاديين *
وتهدف إلي توفير مكان ومكانة لذوي الاحتياجات الخاصة سواء في المدرسة
أو في المجتمع (28)

ويذهب (بنكس وما يناهان) pincus and Minaham إلي
القول بضرورة الاهتمام بالتفاعل الذي يحدث بين المعوقين وبيئاتهم
الاجتماعية بهدف مساعدتهم علي القيام بواجباتهم الحياتية وتحقيق آمالهم بأقل
قدر من الضيق و التوتر ومن ثم فإن الخدمة الاجتماعية تهدف إلي مساعدة
الأفراد المعوقين علي اكتساب مقدرة متزايدة لحل ما يقابلهم من مشكلات
وربطهم بالأنظمة الاجتماعية التي تمدهم بالموارد و الخدمات و الفرص التي

يحتاجون إليها ، مع تقوية وتدعيم تلك الأنظمة حتى تتمكن من تأدية وظائفها بفاعلية متزايدة . (29)

4- عملية الدمج وتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة :

يعد دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة من الموضوعات الهامة التي تنتج عنه تغير النظرة التقليدية لعملية التعليم و التي كانت تتم في مدارس خاصة بالمعاقين بما لا يسمح للمعاق بالتعامل أو التفاعل مع مجتمع العاديين ، مما دفع المهتمين بشئون تعليم وتأهيل المعاق إلي إعادة النظر في الأسلوب المتبع في رعايته وتربيته ، ومن هنا انبعثت فكرة دمج أو توحيد المجري التعليمي Mainstreaming أو تكامل التعلم بالنسبة للمعاق مع الأطفال العاديين وبدأت فكرة عزل المعاقين بعيدا عن العاديين تلقي رفضا من بعض العلماء المتخصصين ، وخصوصا إن المناهج التي تقدم للمعاقين ضعيفة ويقوم بتدريسها مدرسون غير متخصصون (30) . ومن المسلمات التربوية المعروفة أن لكل طفل الحق في الحصول علي قدر معين من التربية و التعليم ، لا فرق في ذلك بين سوي ومعاق ، كما أن أغراض التربية وأهدافها متماثلة بالنسبة لجميع الأطفال بالرغم من أن المتطلبات اللازمة لإتمام عملية التربية لكل طفل قد تختلف تبعا لقدراته وإمكاناته واستعداداته.

وقد أكدت الإحصائيات المنشورة بمنظمة الصحة العالمية World Health Organization (W.H.O) أن حوالي (10%) علي الأقل من جميع الأطفال يولدون بإعاقة بدنية أو عقلية أو يكتسبونها بالدرجة التي تجعلهم في حاجة ماسة إلي مساعدة خاصة من أجل ممارسة الحياة اليومية العادية (31) وقد تبين أن هذه النسبة قد تصل إلي 15% بل 25% في بعض المناطق من دول العالم الثالث ، وهذه التقارير تعد بمثابة ناقوس الخطر

لمدي الكارثة التي سوف نواجهها في مستقبل حياتنا بفقد نسبة ليست بالقليلة من سكان المجتمع ، تعيش في عزلة عن مجريات الأمور ، ولا يسعى المجتمع إلي اشتراكها في حياته العامة (32).

وإذا كانت منظمة الصحة العالمية ترفع شعار " الصحة للجميع " إستراتيجية للصحة مع مطلع القرن الحادي و العشرين فإن هذا الشعار لم يجد طريقة للمساواة بين الشخص المعاق و السوي ، وما زال المعاقون في معظم أنحاء العالم يعانون من مشكلات تتعلق بحصولهم علي الخدمات التربوية والاجتماعية و الصحية التي يحتاجون إليها (33)

ويكفي للتدليل علي ذلك أن منظمة الصحة العالمية تقدر بأن الخدمات التي تقدمها المدارس الخاصة في الوقت الراهن لا تليي سوي نسبة تتراوح بين (1%) إلي (3%) من احتياجات الأشخاص المعاقين الذين يحتاجون إلي التأهيل في البلدان النامية أكثر من ذلك نجد أن نسبة المعوقين في المؤسسات الخاصة في معظم بلدان العالم (فيما عدا الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوربا لا تتجاوز (5%) وبعبارة أخرى فهناك (95%) تقريبا من المعوقين في تلك البلاد لا يتلقون رعاية منظمة(34) .

وفي إطار هذه الحقائق ومع التسليم بأن التفوق في حد ذاته ليس له دور يذكر في حياة الفرد من المعوقين ، بقدر ما يكون لاتجاهات المجتمع و الأفراد المحيطين به دورهم في اضطراب حياته النفسية بسبب الإشفاق عليه والإعفاء من المسؤولية ، والإشعار المستمر بعدم القدرة و الحد و الحرمان من الحياة الطبيعية وإبراز جوانب العجز فيه وإهمال جوانب القوة فيه ، مما يزيد حالته النفسية تعقيدا ويجعل المعاق أميل و أسرع إلي العزلة وتحاشي الصدام الاجتماعي أو المناقشة حتى مع من يشبهونه في جوانب العجز أو

نواحي القصور الجسمي أو العقلي ، وهنا يجب إشباع الحاجات الأساسية كالحاجة إلي الأمن و الحاجة إلي الشعور بالنجاح و الحاجة إلي إثبات الذات و الحاجة إلي الحب و التواد حتى يستعيد المعاق توازنه النفسي بينة وبين البيئة (35)

برزت علي الساحة قضية الدمج الاجتماعي و الأكاديمي كإستراتيجية تربوية بديلة أصبحت معظم بلدان العالم المتقدمة تأخذ بها بأمل أن يؤدي الفهم الأكبر لأوضاعهم إلي قبولهم و مراعاة احتياجاتهم المتنوعة في مدارسنا ومجتمعنا بهدف التمكين الاجتماعي لهم (36) .

ثالثا :- وعى المجتمع بمتطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة

لقد أدي الالتفات إلي الأهمية البالغة لمفهوم رأس المال البشري ودوره في نهضة المجتمع وتقدمه إلي أيلأ أولوية متقدمة للتنمية البشرية في مجالات مثل رعاية الفقراء المهمشين وذوي الاحتياجات الخاصة وغيرهم كي نستفيد بما لديهم من طاقات وتركيزنا هنا علي ذوي الاحتياجات الخاصة فلكي نمكن لهم داخل المجتمع لا بد من تأهيلهم وتعليمهم وإدماجهم في مجتمعهم كقوي منتجة وفاعلة فذوي الاحتياجات الخاصة مصطلح يشمل كل الفئات التي تحتاج إلي نوع خاص من الرعاية سواء كانت جسمية أو نفسية أو اجتماعية أو تربوية وتختلف قضايا ومشكلات وطرق رعاية كل فئة من هذه الفئات لاختلاف احتياجاتهم (37).

إن من أهم متطلبات تمكين ذوي الاحتياجات الخاصة هي توفير كافة أشكال المساندة الاجتماعية و الخدمات الصحية لأسر ذوي الاحتياجات الخاصة لخفض مستويات الضغوط النفسية الواقعة علي هذه الأسر (38).

وتشير " fahmeeda wahab " إلى أن ذوي الاحتياجات الخاصة يتعرضون في كافة المجتمعات إلى مختلف صور التمييز السلبي وخاصة الاستبعاد من كافة فعاليات وخبرات الحياة الاجتماعية ، وتعد الإناث أكثر فئات المعاقين تعرضا للإهمال و التجاهل بصورة خاصة في المجتمعات النامية ، وفي المناطق الريفية وترصد " fahmeeda " الكثير من صور التمييز السلبي ضد النساء المعاقات في الدول النامية في آسيا منها : قلة الدعم المادي المخصص للإنفاق في مجال تعليم الأطفال و المراهقين من الإناث المعاقات ، إضافة إلى عدم تأهيلهم بالصورة الكافية لدمجهم في المجتمع وبناء عليّة تترك المرأة المعاقة علي هامش المجتمع تعاني من العزلة الاجتماعية و النفسية وتعرض للنّبذ والإهمال الاجتماعي وينظر إليها بوصفها عبئ علي المجتمع ويدلّل علي ذلك الكثير من الإحصائيات التي تظهر بوضوح الظلم الاجتماعي البين الواقع علي النساء المعاقات في العديد من الدول الآسيوية .

وترجع ذلك إلي القصور في التشريعات القانونية المتعلقة بتعليم ورعاية هذه الفئة وهي تعد من ضمن أهم الأسباب التي ترتبط بهذا الظلم الاجتماعي وتؤكد بناء علي ذلك علي ضرورة إدخال تشريعات قانونية تدعم حق هذه الفئة وتمكن لهم فرص متكافئة⁽³⁹⁾ وأحيانا ما تتسم النظرة إلي وصول طفل معوق في الأسرة بالخوف و القلق و الشعور بحلول كارثة .. وقد تعمد الأسرة إلي عزل الطفل المعوق عن البيئة المحيطة (الخوف عليّة من عدم التكيف ، التجنب لما يرتبط بتدريبه وتعليمه وخدمته ، الصعوبات و المشاكل المترتبة علي ذلك الوقت و الجهد) - وقد يكون للأسرة بعض العذر في ذلك - غير أن ما يجب الإشارة إليه هو أن آثار الإعاقة السلبية

تؤثر تأثيراً عميقاً في نفسية المعوق ، وأنه إذا ما عزل فسوف يحرم من فرص استخدام ما لديه من قدرات واستعدادات ومهارات وتستطيع الأسرة إذا ما تقبلت الطفل المعوق بشكل طبيعي أن تساعد علي تقدير نفسه بشكل واقعي و التخطيط لحياته أو تقييم قدراته واستعداداته بصورة صحيحة دون زيادة أو نقصان(40) .

وقد نبهت نتائج البحوث التربوية إلي أهمية المشاركة الكاملة للأسرة لما لها من آثار إيجابية وفعالة في تحقيق التوافق الاجتماعي والإنجاز و التحصيل التعليمي لهؤلاء الأطفال (41)

وهنا تطرح قضية العلاقات المتداخلة بين مستوى التحصيل الدراسي للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة و النموذج الاجتماعي و الانفعالي لهم . إذ يمكن التأكد بصفة عامة على أن ذوي الاحتياجات الخاصة – يتعلمون بصورة أفضل حال تواجدهم في بيئة تفاعل اجتماعي يشعرون فيها بالأمن و القيمة و الثقة في المعلمين و التفاهم التام و التقبل للتنوع والاختلافات في القدرات و الخصائص بينهم وبين الأطفال العاديين و يعد الاهتمام بالسياق أو المناخ الاجتماعي والانفعالي للتعلم من القضايا ذات التأثير الفعال (42)

ويعد التعليم من أهم أساليب التمكين إذ تعد عملية تعليم ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بصورة أساسية علي ما يعرف " بالخططة التربوية التعليمية (IEP) Individual Educational plan و يقصد بها أن تعلم ذوي الاحتياجات الخاصة يجب أن يعتمد علي أسلوب تفريد التعليم فلكل طفل احتياجات تعليمية خاصة يفترض أن تقوم مناهج وطرق التعليم علي تلبيتها وذلك من خلال طرق التدريس الخاصة التي تعكس التنوع في المداخل المستخدمة لتحقيق أو تلبية الاحتياجات التعليمية الخاصة للتلاميذ غير

العاديين في فصول التعليم سواء أكانت ضمن إطار ما يعرف بالتربية العادية أو التربية الخاصة (43).

وهناك خبرات ناجحة لم يتم الاستفادة منها كخبرات الأزهر الشريف في رعاية المكفوفين بجانب أقرانهم الأسوياء ودمجهم داخل المجتمع العادي و الذي نادي به ديننا الحنيف (44)

يشير (ألفرد أدلر) الذي تأثر بوجهة النظر الاجتماعية التي تنادي بأن العوامل الثقافية و العلاقات الاجتماعية السائدة في البيئة و العناصر المكونة لها هي المؤثر الأول علي السلوك ، ولا يعني ذلك إنكار الدور الذي تلعبه العوامل الفطرية و القدرات الطبيعية و الاستعدادات الجسمية ، إلا أن ما يهمننا بالدرجة الأولى تحقيق التمكين الاجتماعي هو التأكيد علي تأثير البيئة الاجتماعية و العوامل الثقافية علي الطريقة التي يستخدم بها الفرد قدراته و استعداداته (45)

ويري الأفراد المعاقين الراشدين المدافعين عن تطبيق وتنفيذ تشريعات ما يعرف بقانون الحق في التربية لكل المعاقين أن العجز في حد ذاته لا يؤدي بالضرورة وتلقائيا إلي الإعاقة والاتجاهات الاجتماعية (46) والتصورات النمطية الجامدة وظروف الإسكان و النقل وغيرها من المعوقات الاجتماعية التي تسهم في تحويل القصور أو العجز إلي إعاقة حقيقية تحد من المشاركة في فعاليات وخبرات الحياة الاجتماعية

إن قضية تمكين ذوي الاحتياجات الخاصة ودمجهم في المجتمع اندماجا كليا هي قضية إنسانية تتعلق بالمجتمع ككل وتحتاج إلي كامل جهوده حتى يتحقق الإقبال الجماهيري و الوعي بها وإزالة المعوقات والاتجاهات السائدة التي تعزز المفاهيم الاجتماعية الخاطئة التي تري أن الإعاقة مصدرا

من مصادر النقص التي تحط من قدر صاحبها . لأن الناس بطبيعتها تكره المواقف التي تؤثر فيها انفعاليا و تجعلها تشعر بعدم الراحة وبالتالي الابتعاد عن مصدر القلق أو علي أحسن تقدير لا يملكون - لأن الناس لم تتعلم بعد كيفية التفاهم مع المعوق بشكل سليم ومقبول بدلاً من البعد عنه وتماشيه - إلا أن يشعروا حيال المعوق بالرتاء دون أن تسمح لهم خبرتهم بعمل شئ إيجابي تجاه المعوق بشكل سليم ومقبول بدلا من البعد عنه وتماشية - إلا أن يشعروا حيال المعوق . كما أن الإنسان بطبيعته يخشى ما لا يفهمه و يهاب الشئ الجديد أو غير المفهوم والمألوف فمن يشاهد مريضا صرعيا أثناء النوبة الصرعية لأول مرة أو مصابا بالشلل المخي وهو يعاني من التشنجات قد يشعر بردة فعل سلبية تجاه ما يري لأنه لا يفهم له تفسيراً أو تعليلاً مما يجعله يقف موقف العاجز الذي لا يدري ما يفعل وقد يسارع بالابتعاد عن الموقف (47)

ويذهب William Roth إلى أن إعاقة مثل الشلل المخي لا يعد مأساة أو كارثة ويقول أن للبيئة دلالة أكثر أهمية من التكوين الجيني ، مثال ذلك الشخص الفقير الذي يعيش في منزل غير جيد التهوية ومحاط بمصادر التلوث (الرصاص مثلاً) ويصعب التحكم في درجة الحرارة وهو غير قادر في نفس الوقت على تقديم الخدمات الطبية لأطفاله والتي تعد الانتصار الحقيقي للطب الحديث ، لاشك أن تواجد الأطفال في مثل هذه الظروف يفضي إلى معاناتهم من إعاقات شديدة وتلقى هذه التصورات مسئوليات جسام على المجتمع لتغيير مختلف الظروف المجتمعية التي تفضي إلى الإعاقة أو التي تعمق حالة الإعاقة لدى المصابين بها (48).

ففى ألمانيا (على سبيل المثال) يتمتع المعوقون بالمساواة مع سائر المواطنين ولهم كل الحقوق والمجتمع لا يحرمهم أو يعوق حركتهم حيث يتكامل المعوقين مع المجتمع على أساس برنامج حكومى شامل وجامع يقدم لهم إجراءات تنسيقية فى مجالات مختلفة من الحياة الإجتماعية فى مجال الصحة العامة والرفاهية الإجتماعية والتعليم العام والعمل والثقافة بالإضافة إلى التعرف المبكر وتعليم الأطفال المعوقين بدنياً وعقلياً وتوضح نمو عملية تحقيق الأهداف العامة للتعليم سواء بطريقة كاملة أو حسب ظروف الإعاقة وشدتها . ويعتبر تعليم المعوقين فى الدنمراك ضمن النظام التعليمى العادى واندماجهم فى الحياة المدرسية . وتقوم سياسة المدرسة وسياسة المجتمع على خلق صلات وثيقة بين الناس على حد سواء لا فرق بين العاديين منهم والمعوقين . ونجد فى إيطاليا القانون ينص على التعليم الإلزامى للأطفال المعاقين مع الأسوياء باستثناء حالات الإعاقة الحادة التى تعوق الإدماج فى الفصول العادية (49).

ولقد توصلت نتائج البحوث والدراسات السابقة من أن البرامج الموجهة لهؤلاء الأطفال أثبتت كفاءتها وفعاليتها فى تنشيط قدراتهم العقلية وتحسين مستوى كفاءتهم الشخصية والإجتماعية وتمكينهم من الإنخراط فى علاقات وتفاعلات إجتماعية مثمرة مع أقرانهم من العاديين (50) .

ويستخدم أسلوب العلاج الجماعى فى علاج الكثير من المشكلات التى تعانىها الأسرة ، حيث تمثل الجماعة أداة فعالة لعلاج الكثير من المواقف وذلك بتكوين جماعات للمساعدة الذاتية حيث أن هذه الجماعات تتكون من أسر لديها اهتمامات مشتركة ويأتون معاً فى فترة زمنية معينة ويقوم كل

منهم بمساعدة الآخر والعمل على حل مشاكله وتعتبر الخبرة الجماعية جزء مهم فى حياة الفرد فاشترك الأسر الذين يعانون من مشكلات نوعيه فى جماعة واحدة يعطى إحساسا بالأمن . حيث تشعر كل أسرة بأنها ليست وحدها التى تعاني من تلك المشكلات أو الضغوط وانما يشاركها آخرون مثلها ، وذلك يعزز من استعداد كل منهم لمواجهة تلك المشكلات (51) .

اشكالية الإعاشة والسكن :- يعمل المعلمون مع الآباء ورجال الأعمال وهيئات المجتمع لتحسين نوعية حياة ذوى الاحتياجات الخاصة على المستوى المجتمعى أو على المستوى المنزلى فبعد إكمال مشوار التعليم نجد السؤال يفرض نفسه .. أين يفضل أن يعيش الأفراد المعاقين ؟ . فبعد الإنتقال من المدرسة إلى عالم العمل يتضمن التعامل مع العديد من الإشكاليات أهمها ازدياد مسئولية ذوى الإحتياجات الخاصة فى الإعتماد على أنفسهم . وهل يعنى ذلك انهم سيظلون معتمدين على أبائهم أم سيكونوا قادرين على العيش بصورة مستقلة . ففى الماضى كان يعيش الأشخاص ذوى الإعاقات المتوسطة والشديدة فى مؤسسات ايواء كامل . وتوجد الآن خيارات أخرى متاحة لمن لا يرغب من المعاقين فى العيش مع اسرته فى المنزل منها :-

- البيوت المجتمعية : وهى بيئة أقل تقييدا اقتضت العيش فى مؤسسات اجتماعية تتشابه إلى حد ما مع ترتيبات الحياة العادية كلما أمكن .
- بيوت التبنى : يعيش بعض المعاقين فى أسر بديلة توفر لهم رعاية مؤقتة إلى أن يتم توفير ظروف حياة طبيعية بديله لهم . وتوفر بيوت التبنى خبرات حياة ايجابية للمعاقين مثل المشاركة فى الخبرات الأسرية العادية وتكوين صداقات ايجابية .

- العيش بصورة مستقلة : وهى تتيح فرص كبرى للمشاركة الإجتماعية الطبيعية ، وهذا الأمر قد لا يتاح للكثير من ذوى الإحتياجات الخاصة خاصة ذوى الإعاقات المتوسطة والشديدة منها .
- المؤسسات : وتوفرها الدول لمن لمن لا يستطيعون العيش بصورة مستقلة (52) .

رابعاً نتائج الدراسة الميدانية

يتضح من تحليل استجابات حالات الدراسة الميدانية للشرائح الثلاث (العاملون في مجال تعليم الإحتياجات الخاصة – المهتمون بقضايا ذوى الإحتياجات الخاصة : المواطنون والجمعيات الأهلية – أسرة الاطفال ذوى الإحتياجات الخاصة) كي يمكن لذوى الإحتياجات الخاصة في المجتمع ما يلي :-

1- العاملون في مجال تعليم ذوى الإحتياجات الخاصة :

وقد جاءت آرائهم معبره عن معاناه ذوى الإحتياجات الخاصة من حيث طريقة معاملتهم وما يرتبط بها من افكار مجتمعية خاطئة وسائده منها ، انه انطوائي ، عديم الثقة في نفسه او في الاخرين .. الي غير ذلك من صفات سلبية ، كما اشارت نتائج الدراسة الميدانية الي انه لا يكفي ان نزود المعوق باداه معينة في شكل اسلوب تعليمي او تدريبي ولكن الاهم هو مساعدته كعاملين في هذا المجال علي تقبل اعاقته بشكل طبيعي وواقعي بالاضافة الي دور افراد المجتمع في الوعي بمتطلباتهم النوعيه من خلال تقديم كافة اشكال الدعم الحكومي والاهلي من تشريعات وخدمات صحية واجتماعية وترفيهية وفرص العمل المناسبة كما اشارة الحالات الي تدني كفاءة عدد من زملائهم المعلمين العاملين في هذا المجال بما لا يفي

باحتميات ومتطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة اجتماعيا وتعليميا ، اضافة الي قصور البرامج اذ ان هناك حالات يتطلب التعامل معها في بيئة معينة او وفق برنامج خاص يصلح للتعامل مع صاحب الاعاقة علي ضوء ما يشعر به وما يفكر فيه وكيفية تعامله مع الاشياء ، وليس كيفهما يريد غيره له يؤكد هذا التجربة الرائدة لجامعة اسبوط والتي تتمثل في ان انسب الحلول في تعليم العاقين يتمثل في عملية التاهيل والتي تنقسم بدورها الي رعاية الذات والتنمية (53) وهذا يتطلب التوسع في انشاء مدراس التربية الفكرية كما ذهبت نتائج الدراسات (54) كما يؤكد ذلك تقرير التنمية البشرية (55) ويتضح من تحليل استجاباتهم ما يلي : -

أ - وجود اتجاهات اجتماعية سلبية تجاه المعاقين

ب- النظرة الي المعاق بوصفة عبء اجتماعي لا مردود من وراثة لعجز المعاق عن الإتيان باية سلوكيات تفيد المجتمع

ج - الاساس في تحسين وضعية المعاقين في المجتمع في العاملين يعتمد علي تغيير الاتجاهات والمعتقدات الاجتماعية ، وذلك من خلال برامج توعية افراد المجتمع بكافة قضايا الاعاقه والمعوقين

د- احداث تغييرات هيكلية جوهرية في النظام التعليمي العام من حيث اطرة التشريعية واجراءاته ليستوعب المعاقين في اطاره بتوفير مختلف الفرص التعليمية المتاحة لغير المعاقين .

2- المهتمون بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة .

وقد جاءت آرائهم متمثلة في ان نظرة المجتمع تقوم على تجنبهم وعدم تقبلهم خاصة في حالات الاعاقه الشديدة . يذكي ذلك سلوك أسرهم

بمحالة عزلهم . كما يرون ان المجتمع مسئول مسئولية كاملة ومباشرة عن رعاية وتعليم وتأهيل ذوى الاحتياجات الخاصه . وذلك تغير المناخ الاجتماعى بما يحقق لهم الاندماج داخل المجتمع والتركيز على ان المعوق انسان يمكن ان يعطى ولديه قدرات وله قيمه ، والعمل على تصحيح المفاهيم الخاصة بهم لان هذا يمنعه بل يحرمه من العيش فى بيئة اجتماعية ترفضه وبالتالي تؤثر على خبراته وعلاقته بالآخرين ، كما جاءت آرائهم متبنية لمشكلاتهم وان قضاياهم يجب التعامل معها على انها واجب إنساني واخلاقى قبل ان تعتبر واجبا اجتماعيا ووطنيا ، بل وتهيئة البيئة المناسبة التى تسهم فى توافقهم وتكيفهم مع اقرانهم الاسوياء من خلال جعل الظروف المحيطة بهم عادية وعدم اساءة معاملتهم بأى شكل من الاشكال .

ويتضح من تحليل استجاباتهم ما يلى .

أ- العمل على تفعيل الاهتمام بالشخص ذاته وما لديه من قدرات ومميزات خاصة يتم التركيز عليها وتميئتها

ب- تدنى مختلف أشكال المساندة الاجتماعية والنفسية للمعاقين أسرهم

ج- المطالبة بتوفير كافة خدمات الرعاية الصحية

د - دعم مؤسسات التأهيل المهنى العاملة فى المجال .

3- أسر الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة

وقد جاءت آرائهم معبره عن رضائهم بقضاء الله عز وجل وان هذا قدرهم ، أما المجتمع فمشغول عنهم - الا فى بعض الأمور الشكلية وغالبا لا تنفذ حسب قول حالات الدراسة المدائنة - وما يواجهونه من مشاكل فهى

كثيرة ومتنوعة (تمثل فى مجملها عبئاً ثقيلاً على اهله) منها ما هو على مستوى الاسرة وتتمثل فى أحاسيسهم بأن طفلهم معاق فهم يقدمون له كل المساعدة وبالتالى فهم يضرونه لانهم لا يساعدوه على استخدام قدراته ومحاولة تنميتها - رغم علمهم بذلك - ويقولون ان مثل هذه الحالات تحتاج الى مؤسسات اخرى تتعامل مع الطفل بصورة علمية موضعية خارج اسرته وهى غير متوفرة فى المجتمع الريفى . اما على صعيد المؤسسات والخدمات فهناك قصور واضح على المستوى الصحى والتعليمى اما على مستوى افراد المجتمع فتتراوح النظرة بين الشفقة او الابتعاد والرفض خاصة اذا كانت حالة من الاصابات الشديدة مما يضطر الاسرة الى القيام بعزلة باعتبارها وصمة عار ارتبطت بالاسرة خاصة فى المجتمع الريفى وقد كشفت بعض الدراسات الميدانية فى هذا المجال على ان اتجاهات الاسرة نحو ابنها المعاق تتمثل فى عدة مراحل تبدأ بالصدمة عند الولادة وعند العلم باعاقة الابن ثم الانكار ويظهر فى رفض الاسرة اعاقه طفلها والتشكك فى رأى المتخصصين ، يلى ذلك الغضب ، فالشعور بالذنب والحزن ثم التقبل والاعتراف (56)

ويتضح من تحليل استجابتهم ما يلى :

أ - قلة خدمات الرعاية الصحية لهذه الأسر وخاصة خدمات

الاكتشاف المبكر

ب - قصور خدمات التدخل المبكر

ج - محاولة توفير دور الحضانة الخاصة بذوى الاحتياجات

د - العمل على توسيع شبكة العلاقات الاجتماعية لتتمكن هذه الاسر من تجاوز محنة اكتشاف وتشخيص الاعاقة .

أهم النتائج

- 1- تدني وضعية ذوي الاحتياجات الخاصه فى المجتمع ومعاناتهم من الكثير من المشكلات الاجتماعية والنفسيه الناتجه اصلا عن نظره المجتمع اليهم وليست المترتبة على الاعاقه فى حد ذاتها
- 2- لوحظ عدم حصول المعاقين على الكثير من الحقوق والخدمات مقارنة بأقرانهم العاديين
- 3- عدم توافر فرص العمل الكافية لذوى الاحتياجات الخاصه حتى فى إطار نسبه الـ 5% من فرص العمل حسب ما ورد فى القانون وفى حاله عمل هؤلاء الافراد يلاحظ انهم يعملون فى اعمال او وظائف لا تتناسب مع مايرد فى شهاده التاهيل الاجتماعى التى تعطى لهم من مكاتب العمل والشئون الاجتماعيه
- 4- العجز المادى وفقر الرعاية الصحيه يزيد من معاناة ذوى الاحتياجات الخاصه وأسرههم وينعكس ذلك على تدنى مشاركتهم فى الانشطه المجتمعيه المختلفه وميلهم للعزله .

أهم التوصيات

باستعراض نتائج البحث يمكن الانتهاء الي التوصيات التاليه :

- 1- الإعاقة قضية اجتماعية في المقام الأول تتخلق في ظل ظروف اجتماعية معينة تحد من تفعيل ما يمكن تسميته بفائض الطاقة لدي ذوي الاحتياجات الخاصة ، وبالتالي فان استغلال فائض الطاقة هذا متوقف

علي وعي وادارك المجتمع بمختلف أنظمة ذات العلاقة بالتفاعل الاجتماعي والخصائص النفسية والسلوكية للمعاقين ، ومن هنا تأتي وجاهة المناداة بإنشاء مراكز علمية متخصصة لدراسة كافة الموضوعات المرتبطة بالإعاقة والمعوقين

2- دعم أنشطة وبرامج الجمعيات الأهلية العاملة في مجال رعاية وتربية ذوي الاحتياجات الخاصة بمختلف أشكال الدعم المالي والفني

3- إنشاء نوادي اجتماعية ورياضية متخصصة توفر سياقاً لممارسة ذوي الاحتياجات الخاصة وأسرتهم كافة الأنشطة الرياضية والترفيهية

4- إنشاء مراكز التدريب والتأهيل المهني لإكساب ذوي الاحتياجات الخاصة المهارات التي تمكنهم من العمل المهني بمختلف صيغته لمساعدتهم علي الحياة المستقلة .

أسئلة على الفصل التاسع

- 1- ما هي الفرص التي توفرها الدولة لذوى الاحتياجات الخاصة ؟
- 2- اعرض لأساليب تمكين ذوى الاحتياجات الخاصة ؟
- 3- الإعاقة تتخلق أساسا فى ظل ظروف اجتماعية معينة حتى وإن كانت ذات منشأ تكوينى أو وراثى . اشرح ذلك مع التوضيح بأمثلة ؟

المراجع

- 1- تقرير التنمية البشرية 2003 معهد التخطيط القومي ، ص 56
- 2- Hunt,P- (ed) stigma : the Experience of Disability, London, Geoffrey Chapman, 1966
- 3- أحمد عبد العزيز البقلى ، قضية تمكين المهمشين ، سلسلة قضايا التخطيط والتنمية ، معهد التخطيط القومي ، يوليو 2003 ، ص ص 130 - 134
- 4- W. H. O., international classification of : functioning and Disability, 1999, [http:// www.who. int / icidh/index- htm-](http://www.who.int/icidh/index-htm)
- 5- أحمد عبد العزيز البقلى ، سابق ، ص 135
- 6- Manchester, city council, the social Model of disability , 2002
- 7- رمضان محمد القذافى ، سيكولوجية الإعاقة ، الجامعة المفتوحة ، الجمهورية العربية الليبية ، 1994 ، ص ص 13-20
- أيضا : أحلام رجب عبد الغفار ، الرعاية التربوية لذوي الاحتياجات الخاصة، دار الفجر للنشر و التوزيع ، 2003 ، ص ص 13-14
- 8- فيوليت فؤاد إبراهيم وآخرون ، بحوث ودراسات في سيكولوجية الإعاقة، مكتبة زهراء الشرق ، 2001 ، ص 79
- 9- اليونسكو ، المؤتمر العالمي المعني بتعليم ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة : فرصة ونوعية ، بيان سلامنكا ، أسبانيا ، 7-10 يونيو ، 1994 ص 63
- 10 الكتاب الإحصائي السنوي لعام 98/ 1999 ، وزارة الشؤون الاجتماعي ، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار ، ، جمهورية مصر العربية ، 130.

- 11- الجريدة الرسمية في 3 يوليو سنة 1975 - العدد 27 ، ص ص
3191-3171
- 12 الجريدة الرسمية في 26 يونية سنة 1982- العدد 25 (مكرر) ، ص
ص 2781 - 2789
- 13- ministry of information, state in formation service,
Arab Republic of Egypt, year Book , 2002 , P. 162
- 14- اليونسكو ، بيان سلامنكا مرجع سابق ، بند 69، ص 101
- 15 فيوليت فؤاد إبراهيم و آخرون ، مرجع سابق ، ص 03
- 16 - Mike olive, the individual and social models of
disability , 1990 , http : // www- . Leeds ac .uk / disability -
studies / archiveuk / Oliver/ in %20 Soc. % 2 odis . pdf
- 17- Richard L. Disability Awareness in action the
international . disability and human rights network, 2002
- 18 - Gerry zarb, Modeling the social Model of disability ,
critical public health, vol. .6, No . 2, 1995, pp 1-10
- 19- Hunt,p .(ed) , op . cit .
- 20 - مصطفى النصاروى ، دمج المعاقين في المدارس العادية ، مجلة
التربية ، عد 115، اللجنة الوطنية القطرية للتربية و الثقافة و العلوم) ،
ديسمبر ، 1995 ، ص 81
- 21- اليانور وتسيد لينش ، بيتي هوالد سيمز ، التخلف العقلي ، دمج
الأطفال المتخلفين عقليا في مرحلة ما قبل المدرسة (برامج وأنشطة) ،
ترجمة / سمية طه جميل ، هالة الجرواني ، توزيع مكتبة النهضة المصرية
، القاهرة ، 1999 ، ص 9
- 22- عبد العزيز السيد الشخص ، دراسة لمتطلبات إدماج المعوقين في
التعليم العام في المجتمع العربي ، وزارة التربية و التعليم ، المؤتمر القومي

الأول للتربية الخاصة (نحو تربية خاصة أفضل ، بحوث ودراسات في التربية الخاصة ، المجموعة الأولى ، الاستراتيجيات و النظم ، القاهرة ، 1995- ص 19

23- سعاد بسيوني ، التكامل التربوي للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في ضوء مبدأ التربية للجميع ، المؤتمر الدولي الثالث : الإرشاد النفسي في عالم متغير ، مركز الإرشاد النفسي ، جامعة عين شمس، المجلد الأول ، 1996- ص ص 1- 64 ،

24- رمضان محمد القذافي ، مرجع سابق ، ص ص 227-228
25 sally Beveridge , special Educational Needs in schools , Routledge London , 1995, PP- 111-112.

26- James E. ysseldyke, BoBalgazzino special Education : Apractical approach for teachers, Houghton Mifflin company , Boston, U. S. A, 1995, P 135

27 - رمضان محمد القذافي ، مرجع سابق ، ص 11

28 - محمد عبد الظاهر الطيب ، سيكولوجية الفئات الخاصة برامج تعلمها منشورات كلية التربية جامعة طنطا ، 2004 ص ص 8-9

29 - إقبال إبراهيم مخلوف ، الرعاية الاجتماعية وخدمات المعوقين ، دار المعرفة الجامعية

الإسكندرية ، 1991، ص 22

30 - اليانور وتسيد لينش ، بيتي هوالد سيمز ، مرجع سابق / ص 8

31- إيمان فؤاد الكاشف ، عبد الصبور منصور محمد ، دراسة تقويمية لتجربة دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة مع الأطفال العاديين بالمدارس العادية في محافظة الشرقية ، مركز الإرشاد النفسي ، جامعة عين

شمس ، المؤتمر الدولي الخامس : الإرشاد النفسي و التنمية البشرية ، 1998 ، ص 83

32- بريان جول أوتول، دليل لخدمات التأهيل في المجتمعات المحلية ، سلسلة ارشادات في التربية الخاصة رقم (8) ، اليونسكو ، 1991

33- Goldstein, H., Pee, intervention effects on communicative interaction among handicapped and non handicapped preschoolers, Journal of applied behavior analysis, vol. 19, N2 1992, P . 205

34- عبد العزيز السيد الشخص ، مرجع سابق ، ص 17

35- شحاتة هلال شريف ، المعاقون والاندماج في المجتمع ، المشاكل النفسية والاجتماعية للمعاقين ، مجلة التربية ، اللجنة الوطنية القطرية للتربية و الثقافية و العلوم ، العدد 18 ، 1995 ، 56

36- رونالد كولاروسو ، كولين أورورك ، تعليم ذوي الاحتياطي الخاصة ، كتاب لكل المعلمين ، ترجمة أحمد الشامي و آخرون ، الجزء الثاني ، مركز الأهرام للترجمة و البشر ، ط ، 2003 ص ص 17-25

37- أحلام رجب عبد الغفار ، الرعاية التربوية لذوي الاحتياجات الخاصة ، مرجع سابق ص 9

38 - Egan, J, Empowering families of exceptional children . available at [http : // auseinet. Flinders . edu.Au / resources / auseinet/ confggempowering. Pdf](http://auseinet.Flinanders.edu.Au/resources/auseinet/confggempowering.Pdf), 1999

39- Fahmeeda wahab , Disabled women in rural areas of the region , Development Adviser , Canadian High commission, 1997

40 - رمضان محمد الفذافي ، مرجع سابق ، ص ص 53-54

- 41- فيوليت فؤاد إبراهيم و آخرون ، مرجع سابق ، ص 88
- 42- sally Beveridge , op. Cit , pp. 91-92
- 43- James E. ysseldyke, BoBalgazzine , op. Cit, p. 134
- 44- فيوليت فؤاد إبراهيم و آخرون ، مرجع سابق ، ص 123
- 45- رمضان محمد القذافي ن مرجع سابق ، ص ص 81- 82 .
- 46- Frank G. Bowe, Birth to five : Early childhood special Education, Dolman p publishers Inc., Washington DC , U.S.A . 2000, P. 427
- 47- رمضان محمد القذافي ، مرجع سابق ، ص ص 225- 226
- 48- frank G . ,op. Cit ,p428
- 49- محمد عبد الظاهر الطيب ، مرجع سابق ، ص ص 87- 93
- 50 - فيوليت فؤاد إبراهيم و آخرون ، مرجع آخر ، ص 35
- 51- محمد السيد حلاوة ، التخلف العقلي في محيط الاسرة ، المكتب العلمي لنشر والتوزيع ، 1998 ص ص 158- 159
- 52- James E., op . cit. , PP . 481-483
- 53- عليه محمد حماد الحسيني ، تجربة رائدة لجامعة أسيوط : في رعاية ذوي الحاجات الخاصة ، المؤتمر السنوي الثالث بعنوان " التربية لذوي الحاجات الخاصة " كلية التربية ، جامعة المنوفية ، 18-19 يوليو ، 1998 ، ص ص 167-175
- 54- سميحة محمد أو النصر ، حنان أحمد رضوان ، تطوير مدارس التربية الفكرية في ضوء الخبره العالمية و دراسة تحليلية ميدانية ، مجلة مستقبل التربية العربية ، المجلد التاسع ، العدد 28 ، المركز العربي للتعليم و التنمية، يناير 2003، ص ص 99-196

- 55- تقرير التنمية البشرية ، 1999-98، معهد التخطيط القومي ، ص 37
- 56 - بدر الدين كمال عبده ، محمد السيد حلاوة ، قضايا ومشكلات الرعاية الاجتماعية للفئات الخاصة (الجزء الاول) ، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، 1996 ، ص 66 - 67 .

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
15	1. العائلة - الأسرة ودورة حياتها
53	2. المداخل النظرية فى دراسة العائلة
91	3. الزواج وتكوين العائلة
137	4. العائلة بعض القضايا والأدوار
169	5. المرأة والحياة العائلية
187	6. الاقتصاد ومشكلات الأسرة
207	الجزء الثانى : دراسات تطبيقية
211	7. سلوكيات الشباب فى ظل المتغيرات الدولية
247	8. البطالة وأثرها على الأسرة
285	9. التمكين الاجتماعى لذوى الاحتياجات الخاصة